

ملفن برجس

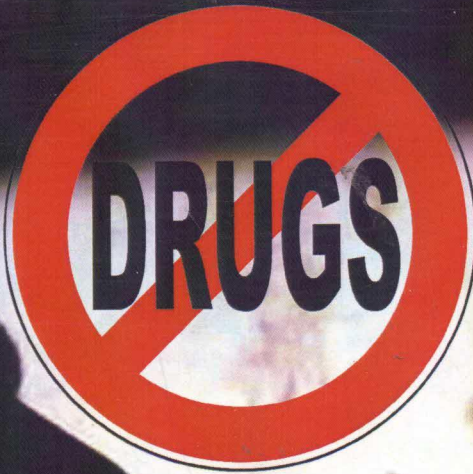


المركز القومي للترجمة

مخدرات

ترجمة: سميرة أبو الحسن

2179





قد تبدو هذه القصة وكأنها جرس إنذار للفتية والمراهقين، تدق ناقوس الخطر محذرة من التمرد اللا واعي والجموح المجنون، لكنى أرى أنها دعوة حية موجهة إلى كل الآباء والأمهات "افهموا أبناءكم وصادقوهم قبل أن تحاسبوهم أو تعاقبوهم"، تعلموا أن تكونوا آباءً وأمهات جيدين، يتقنون مهارات الوالدية وتربية الأبناء، فالوالدية الحققة ليست مجرد طبيعة فطرية بحتة، ولا غريزة متأصلة فينا، إنها قبل ذلك إحساس، ووعى، ومعرفة بحاجات كل مرحلة عمرية فى حياة أبنائنا ومتطلباتها وخصائصها، وإذا نجحنا فى التعرف عليها وإشباعها وفتح قنوات قوية واعية للتواصل معهم، سرنا بهم إلى بر الأمان، أما إذا أخفقنا فى ذلك، فسوف يدفع أبنائنا ثمننا باهظاً لذلك الإخفاق.

مخدّرات

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2179
- مخدرات
- ملفن برجس
- سميرة أبو الحسن
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2014

هذه ترجمة كتاب:

JUNK

By: Melvin Burgess

Copyright © Melvin Burgess. 1996

Arabic Translation © 2014, National Center for Translation

All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة
شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة.

ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: nctegypt@nctegypt.org

Tel: 27354524

Fax: 27354554

مخدرات

تأليف: ملفن برجس

ترجمة: سميرة أبو الحسن



2014

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

برجس، ملفن.

المخدرات / تأليف: ملفن برجس، ترجمة: سميرة أبو الحسن

ط ١ - القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤

٤٠٨ ص، ٢٤ سم

١ - المخدرات

(أ) أبو الحسن، سميرة (مترجمة)

٦١٣،٨٣

(ب) العنوان

رقم الإيداع: ٨٩٦٧ / ٢٠١٢

الترقيم الدولي: 4 - 088 - 216 - 977 - 978 - I.S.B.N

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

| | |
|-----|---------------------|
| 7 | كلمة المؤلف |
| 9 | (١) |
| 15 | (٢) حديث جيما |
| 33 | (٣) تار |
| 47 | (٤) سكولى |
| 69 | (٥) تار |
| 83 | (٦) جيما |
| 107 | (٧) ريتشارد |
| 117 | (٨) جيما |
| 137 | (٩) فونى |
| 145 | (١٠) جيما |
| 163 | (١١) تار |
| 169 | (١٢) روب |
| 183 | (١٣) تار |
| 195 | (١٤) للى |
| 201 | (١٥) جيما |
| 219 | (١٦) تار |
| 229 | (١٧) جيما |
| 243 | (١٨) تار |

| | |
|-----|--------------------------|
| 255 | جیما (۱۹) |
| 269 | روب (۲۰) |
| 285 | جیما (۲۱) |
| 289 | سکولی (۲۲) |
| 297 | تار (۲۳) |
| 319 | سالی (۲۴) |
| 329 | ریشارد (۲۵) |
| 343 | جیما (۲۶) |
| 357 | فونی (۲۷) |
| 363 | ایمیلی تروجان (۲۸) |
| 367 | تار (۲۹) |
| 377 | جیما (۳۰) |
| 387 | والد تار (۳۱) |
| 399 | تار (۳۲) |

كلمة المؤلف

لقد بدأت أحداث هذه القصة فى أوائل الثمانينيات ومنتصفها تقريبًا، عندما كنت أعيش فى بريستول، وقد حدثت معظم الأحداث الرئيسية فى هذا الكتاب بالفعل، ولا تزال تحدث حتى الآن، وسوف تستمر فى الحدوث بلا شك، لقد رأيت وعاشت معظم هذه الأحداث بنفسى، وسمعت عن الكثير منها، أما بالنسبة لأشخاص هذه القصة فقد اخترعت بعضهم من محض خيالى وبعضهم يبدو حقيقيًا، أما البعض الآخر فهو من خيالى، مع إضفاء بعض شذرات من الحقيقة والقليل من الواقع عليهم، أما الشخص الوحيد الحقيقى هنا، فهو ريتشارد الذى يعد واحدًا من أفضل الشخصيات التى قابلتها فى حياتى وأظرفها وأغربها، والذى أقدم له اليوم الشكر والثناء، وأطلب له الرحمة والمغفرة؛ لأنه توفى فى طريق الأوتوستراد منذ عدة سنوات مضت.

هذه القصة ليست حقيقة خالصة ولا خيالاً محضًا، ولكنها كلها حقيقية وكل كلمة كتبت فيها تعتبر صادقة.

ملفن برجس

(١)

كان فتى وفتاة يقضيان الليل معاً في المقعد الخلفى لسيارة فولفو كبيرة،
السيارة كانت داخل جراج، وكان المكان مظلمًا تمامًا.

راحت الفتاة تشكو: "إنى جائعة".

أضاء الفتى مصباحاً يدوياً، وأطل داخل حقيبة ظهر رمادية مصنوعة من
قماش سميك كانت خلفه قائلاً: "توجد تفاحة".

- "هل بقيت أية شرائح بطاطس مقلية؟"

- "لا، لم يبق شيء".

تتهددت جيما وتمددت داخل السيارة، ثم غطت نفسها ببطانية وهى تقول:
"الجو بارد".

فقال تار: سيأتى بارى إلى هنا حالاً، ثم أخذ فى مراقبتها عن قرب فى
ضوء المصباح اليدوى وقال متسائلاً فى اتجاههم وقلق: "هل أنت آسفة على مجيئك؟".

نظرت جيما إلى أعلى وابتسمت قائلة: "لا".

مال تار نحوها محاولاً عناقها. ربت جيما على رأسه، وقالت بعد لحظة:
"من الأفضل توفير حجارة البطارية".

أطفأ تار المصباح، أظلم المكان فى الحال حتى إن المرء لم يكن يستطيع رؤية يديه واستمرا فى حديثهما متعانقين فى الظلام ومحاطين برائحة الخرسانة الرطبة والزيت والبنزين.

قال تار: "تعالى معى".

اندھشت الفتاة وقالت متعجبة: "ماذا؟"، فهذه الفكرة لم تخطر على بالها من قبل... واستطاع تار أن يشعر بحملقتها فيه على الرغم من ذلك الظلام الحال ك المحيط بهما، والذي لا يمكن رؤية أى شىء فيه، واحمر وجه تار فى الظلام بشدة.

قالت جيما: "لا بد .. إنك مجنون"

- "لماذا؟".

- "ما الذى أواجهه لكى أهرب منه؟".

- "انتظرى حتى تعودى إلى البيت... ولأخذ الاثنان فى الضحك.

كانت جيما، منذ أسبوع قد مُنعت من رؤية تار، ولم يكن لدى والديها أية فكرة عن مكان وجودها فى تلك الليلة، لكن كانت لديهما فكرة جيدة عن الشخص الذى كانت موجودة معه.

قال تار بعد لحظات: "هذا يدفعك إلى القيام بشىء... أنت دائمة الشكوى من شدة الملل الذى تشعرين به".

- "هذا صحيح"، كانت جيما أكثر الأشخاص تبرماً ومللاً على الإطلاق، أحياناً أثناء جلوسها داخل الفصل فى المدرسة كانت تشعر بالدوار من شدة الملل، وأنها توشك على الإغماء أو الانفجار إذا لم يتوقف هذا الشعور، كانت تشعر أنها مستعدة لفعل أى شىء فى سبيل أن تكون لها حياتها الخاصة، ولا تزال لديها تلك المشاعر حتى الآن...

- "وماذا عن المدرسة ومثل هذه الأمور؟".

- "تستطيعين العودة إلى المدرسة وفي أى وقت".

- "بل أستطيع الهروب فى أى وقت فى حياتي".

لعل جيما أحبت أن تهرب. كانت تريد الهرب لكن... لماذا تفعل ذلك؟.

إنها لم تكن تحب تار، لكنها كانت معجبة به فقط، كان والداها، ووالدها على وجه خاص رهيبًا جدًا لكنه لم يضربها، لم يفعل ذلك حتى الآن.

- "هل الشعور بالملل سبب كافٍ لدفع الإنسان للهروب إلى المدينة فى الرابعة عشرة من العمر؟".

قالت جيما: "لا أعتقد ذلك يا تار".

استلقى تار بغير حركة على حجرها، وكانت تعرف ما يشعر به؛ لأنها رآته فى وجهه عدة مرات، فقد كان قلب تار مرسومًا على وجهه بوضوح.

انثنت جيما مقتربة منه وهمست: "أنا آسفة".

كان لدى تار سبب، بل العديد من الأسباب... وكان السبب الأخير مرسومًا أيضًا على وجهه، كانت شفته العليا متورمة فوق أسنانه كالبرقوقة الكبيرة، وحول عينه اليسرى كانت توجد هالات سوداء وزرقاء وصفراء وحمراء، كان ينبغي على جيما ألا تمس جروحه عندما ربتت على وجهه.

وسمعا بعض الضوضاء عند باب صغير خلفهما، فانضغط تار وجيما، واختفيا خلف المقاعد بعيدًا عن الأنظار.

- "إنه أنا"...

قالت جيما وهى تجز على أسنانها: "اللعة! لقد كنت تقتلنى رعبًا".

- "أنا آسف، أشعل هذا المصباح هنا؛ لكي أستطيع أن أرى إلى أين أذهب..."

وجه تار شعلة المصباح نحو فتى أشقر سمين يحمل كيسا من البلاستيك، فابتسم الفتى ابتسامة عريضة وتقدم للأمام.

قال الفتى: "أقترح أن يكون لدينا دقة سرية أو شيء من هذا القبيل، هكذا..." وقام بالدق على الحقيبة بطريقة معينة.

نظرت جيما داخل الكيس، وقال بارى معتذرا: "إنها مجرد لفافات وجبن فقط"، لقد نسوا أن يضعوا أشياء أخرى.

قالت جيما في عتاب: "ألم تحضر بعض الزبد معك؟".

- "لا، ولكنني أحضرت بعض المخللات..." قال بارى ذلك وهو يتناول إناء من جيب معطفه.

وبدأت جيما في تمزيق اللفافات وأوراق قطع الجبن وهي تقول: "ياله من جبن رائع"، لكن بارى نسي إحضار سكين، لذا توجب عليها أن توزع المخلل بأصابعها.

وراح بارى يراقب وجه تار على ضوء المصباح اليدوي قائلا: "يا للمسيح... لقد ضربك ونال منك كثيرا هذه المرة، أليس كذلك؟".

قالت جيما: "إنه يبدو مثل سلطانية من الفواكه المتعفنة، أليس كذلك؟"

لم يكن الطعام مثل ذلك الذي تريد أكله... وضحكوا جميعا.

وقال بارى متعجبا: "بالمناسبة إنك لم تقم بإشعال المصباح اليدوي، أليس كذلك؟ لأنهم قد يرون الضوء من خلال الشقوق الموجودة في باب الجراج؟".

- "قلت لك إننى لم أفعل".

- "حسنًا".

وبدأت جيما فى حشو فمها بقطع المخلل، وسألت تار بلزاجة: "ألا تريد الفوز ببعض الطعام؟" ... فابتسم بارى قائلاً: "نعم من فضلك".

ساد الصمت أثناء تناول جيما للفاقة أخرى مقسومة إلى نصفين.

وتساءل بارى وهو يريد أن يعرف: "متى ستذهبان؟".

قال تار: "غذا".

-: "هل جهزتما كل شىء؟".

فانحنى تار على المقعد الأمامى، وربت على حقيبة الظهر الخاصة به التى لم تكن مملوءة تمامًا، فأومأ بارى برأسه، وراح يراقب تار وهو يأكل لبرهة، ثم قال وهو شارد الذهن: "ولكن ماذا عن والدتك؟".

بدا تار مصدومًا من شدة المفاجأة.

قالت جيما محمقة: "أمه ستكون على ما يرام وربما تشعر بالراحة والتخفف من الحمل بمجرد ذهاب تار، وعلى أية حال فقد ظلت باقية مع والده من أجله هو فقط، ويمكنها أن تترك والده وتذهب الآن، لقد قالت ذلك آلاف المرات، أليس كذلك؟".

أومأ تار برأسه ببطء مثل سلحفاة معذبة، فحملت جيما فى بارى، وقالت: "أغلق فمك".

فأولاً بارى قائلاً بكل قوته: "حسنًا. إن أفضل شيء يمكن أن تفعله من أجلها هو أن تجعلها تتخفف من عبئك، ولن يوجد بعد ذلك أي شيء يمكن أن يربطها بذلك العجوز الحقيير عندئذ".

فقال تار: "هذا ما آمله".

أصبح الجو باردًا جدًا في الجراج، فاقترب تار وجيما برأسيهما معًا ونفا البطانية حولهما وغابا معًا في قبلة طويلة، ولم توقفه جيما عندما انزلت يده تحت بلوزتها، لكن عندما شعرت بيده تنزلق لأسفل لتصل إلى بطنها، ربتت على أصابعه بخفة وقالت له: "أيها الشقي".

فقال تار في دهشة: "لماذا لا؟".

- "ليس هنا".

لم يكن يهمها أن يلمس تار هذه المنطقة، لكنها خشيت من قضاء هذه الليلة معه.

- "أنا لا أريد أن تذهب أبعد من ذلك".

فقال تار بمكر: "قد لا ترينى أبدا مرة أخرى بعد هذه الليلة".

هزت جيما رأسها قائلة: "لن تذهب أبعد من ذلك".

- "حسنًا".

(٢)

حديث جيما

والداى غير أكفاء وليس لديهما أية قدرة على فهم المؤشرات والدلائل، وهما يعتقدان أنهما لمجرد كونهما والدى فهما مثل المهندسين الذين يخططون لى حياتى بأكملها أو شىء من هذا القبيل، ويظان يقولان افعلنى هذا- افعلنى ذاك، وكانت هذه هى النتيجة، لقد وصلت إلى الطرف الآخر لنصبح على طرئى نقىض تمامًا، لابد من وجود شخص ما يعطى الوالدين دروسًا فى مهارات الوالدية قبل أن يُسمح لهما بانجاب الأطفال.

لم نقم بفعل أى شىء فى تلك الليلة فى الجراج، أقصد أننى أردت النوم بجواره فقط، فقد كانت تلك طريقة لطيفة لوداعه، لكن تار المسكين لم يستطع أن يقول وداعًا بطريقة لطيفة فعلاً، لو كنت قد فعلت ذلك من قبل لكانت قد أصبحت طريقة لطيفة للوداع، ولكنى لا أدرى ما إذا كان اللقاء الأول هو الطريقة المناسبة للوداع.

أنا لم أفعلها بالنسبة لوالدى ولم أقل لهما وداعًا عندما تركت المنزل، لقد أردت أن أصبح قادرة على أن أقول لهما، انظرا... هذا الفتى كان صديقى، لقد كان حقًا يعانى من مشكلات صعبة، وكان مضطربًا حقًا وغير متوازن، وكان مجروحًا وحزينًا، لقد صدمه والده فى بداية حياته، وكان هاربًا بعيدًا عنهما، وقد

قضيت هذه الليلة معه لأنه كان محتاجاً إلى الصحبة، وأعتقد أنه كان واقفاً فى غرامى، لكن لم تكن هناك أية علاقة جنسية بيننا، إننا لم نفعل ذلك أبداً، لقد كان مجرد... أن نكون قريبين من بعضنا.

هل كان هذا مجرد إحساس إنسانى أم ماذا؟.

وكان الشيء الوحيد الذى ندمت عليه هو أننى فضلت والديّ على تار.

إننى لن أقترف هذا الخطأ مرتين، لأننى عندما عدت إلى المنزل فى اليوم التالى انفتحت على أبواب الجحيم كلها.

كان أبى يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً قائلاً: "لا بد من وجود حدود... يجب أن تكون هناك قواعد!!".

وكانت أمى جالسة على حافة المقعد بدون أن تتفوه بأى كلمة أو تفتح شفيتها، كانت تحاول ألا تصرخ.

- "يجب علينا جميعاً اتباع القواعد يا جيما، وعندما أحرم عليك فعل أى شىء فأنا أتوقع منك أن تطيعينى...".

حاولت أن أبتسم لأمى، ولكنها نظرت فى الاتجاه الآخر، ثم أطل على أبى بطلعته البهية قائلاً:

"إن سمعة الفتاة هى أعظم ممتلكاتها...".

تفكير العصر الحجرى!

فقلت له: "وماذا عن شهادتها؟ وماذا عن قدرتها على أن تضع أحمر شفاه على شفيتها بطريقة جيدة وجذابة".

حاولت أُمى أن توجه المناقشة إلى عالم الواقع فبدأت قائلة: "أنت لا تزالين صغيرة جدًا يا عزيزتى".

لا يزال يجب عليها أن تتعلم.

- "ماذا سنفعل يا جيما، إن والدك على حق، يجب أن تكون هناك قواعد، يمكنك إدراك ذلك بالتأكيد؟".

قال والدى: "أين دافيد؟".

إنه يعنى تار، لقد أطلق والدى اسم تار (أى قطران) على دافيد، وهو الاسم الذى سيناديه به معظم أصدقائنا فيما بعد، واستمر أبى قائلاً: "لقد عمدته باسم تار؛ لأنه يطلب منى دائماً أن أفلح عن التدخين، وكان يقول لى باستمرار: إن القطران سوف يدخل إلى رئتيك".

قلت لوالدى: "اتصل بمنزله واكتشف الأمر بنفسك".

- "لقد فعلت وقال لى والده إنه لم يذهب للمنزل، ولكنه وعدنى بأن يعطيه ما يستحق عندما يصل للمنزل".

وكدت لأقول له إنه سوف ينتظر كثيراً ولكنى أمسكت لسانى وقلت له: "لقد فعل ذلك بالفعل وقد ضربه والده مرة أخرى أول أمس".

قال أبى مخرجاً صوت شخير من أنفه: "هل تقصدين أنه اشتبك معه فى معركة أخرى".

إن والد تار يعمل معلماً فى إحدى المدارس العليا المحلية، ويمكننا أن نرى الطريقة التى يعمل بها عقل والدى: معلم = شخص جيد، وعلاقة سيئة مع تار = خطأ تار نفسه وليس خطأ والده.

أخبرت والدى أن والده يحطم زجاجات الخمر بعد شربها، وقلت له: "اذهب وانظر إليه فى المرة القادمة، سوف تشم رائحة الخمر تفوح من فمه، إن هذا هو التأثير الذى ننظر إليه نحن الشباب".

- "لا تحاولى أن تكونى ماهرة معى".

- "انظر... لقد كان تار مضطربا وغير مستقر، وكان فى حاجة فقط إلى شخص يمكث معه، ولكن لم يكن هناك علاقة جنسية بيننا، لقد كان كل شيء على ما يرام".

سادت لحظة صمت، كان والدى ينظر خلالها إلى ويمكنك أن ترى كم كان والدى غاضبا، كما لو أننى كنت مسئولة بطريقة ما عن تهديد سلطته.

ثم قال: "كاذبة".

أصبحت الغرفة كلها باردة، كانت أمى غاضبة، وكنت أنا أفكر فى الأمور، وكانت أمى تحملق فى والدى، أقصد أننى لم أكن أعرف ما إذا كانت تصدقنى أم لا؟، لكنها كانت ترغب فى تصديقى، لا أعلم ما الذى كان يعتقد والدى لكنه كان يريد فقط أن يجرحنى.

لقد جرحنى بالفعل، لكنى لم أجعله يرى ذلك، وقلت فقط: "أنا أصدق كل كلمة وكل شيء نقوله أيضا".

اتجهت إلى الباب، ولم يكن ذلك كافيا بالطبع بالنسبة له، فجذبنى إليه وبدأ فى لومى مرة أخرى، ولكنى كنت قد نلت ما يكفى وفقدت السيطرة على نفسى، وجريت خارجة من الغرفة وأنا أصرخ: "سوف أسقط مينة".

أغلقت على نفسي غرفتي بالمفتاح وحاولت الانشغال بالموسيقى، ورحلت
أسمع أغنية تقول:

عندما يراك في ضوء الصباح البارد.

يقول ما الذى تفعلينه يا ابنتى فى حياتك؟

آه يا أبى العزيز، إنك تعرف أنك ما زلت الشخص رقم واحد فى حياتى.

لكن الفتيات لا يردن إلا المتعة والترفيه.

آه.. إن الفتيات لا يردن إلا المتعة والترفيه.

ذلك هو كل ما يردنه فعلاً.

عزفت تلك المقطوعة مرارًا وتكرارًا من قبل، لكن أتوقع أنها لم تؤثر فى
والدى، إنه لم ينصت إلى تلك الأغنيات أبدًا، إن الفارق بين والد تار ووالدى هو أن
والد تار شخص منطقي أساسًا، لكنه لا يسعى لأن يكون منطقيًا بصورة واضحة
وصريحة، أما والدى فهو كتلة من اللامنطقية، ولكنه لا يتهاون أبدًا فى الحرص
على أن يجعلك تقتنع تمامًا بأنه منطقي إلى حد بعيد.

لقد أتى والدى بعد ذلك واعتذر لى، واعتقدت لوهلة قصيرة أن كل شيء
سيمسح على ما يرام وبطريقة ودية، ولكنى خمنت ما الذى سيحدث فيما بعد عندما
بدأ فى الإشارة إلى أنه كم يبدو الإنسان كبيرًا عندما يعترف بخطئه، ولقد أتى
دورى الآن للاعتراف بخطئى.

حسنًا، إننى لم أكن مخطئة، لقد كنت مجرد عاهرة باردة حقًا، ليس
لمصاحبتي لتار فى ليلته الأخيرة فى مينلى، وقد بدأت فى التفكير فى أن الخطأ

الوحيد الذى اقترفته هو رفضى للنوم معه، ولكنى أعرف متى أفتح فمى، ومتى أحفظ به مغلًا. لقد كان من السهل على التعامل مع أبى، لكن المشكلة هى أنه كان كثيرًا ما يغضبنى إلى درجة تجعلنى أنسى ذلك فى بعض الأحيان.

لقد قررت أنه حان الوقت للتهذئة وجعل الأمور ذات مذاق حلو مثل السكر بينى وبين أبى، فقممت بالاعتذار وقفرت لأحيطه بذراعى وأحتضنه وأقبله.

وقلت له: "إنك ما زلت الشخص رقم واحد فى حياتى يا أبى"، فأصبح لونه ورديًا مثل الكرز، لقد سيطرت عليه ووضعت فى راحة يدى، وكان ذلك عندما اندفعت أُمى نحو الباب مثل ممثلة فى مسرحية "بانتومايم".

تسألت أُمى كما لو كانت لا تعلم: "هل أصبحتما أصدقاء الآن؟".

لابد أنها كانت مختبئة خلف الباب طوال الوقت لكى تمثل هذا الدور، لقد كرهت أن تتلاعب بى أُمى وتعاملنى بهذا الشكل.

قال والدى: "آه، نعم، إِم... إنه مجرد نقاش حول ما سوف نفعله فيما بعد، أليس كذلك يا جيم؟".

أخذ والدى الآن يميل إلى إنهاء أمر هذه اللقطة الوالدية، كما لو كانت والدى قد لفتت نظره إلى ما أفعله عندما طلبت منى أن أتخطى أمر التعامل معه بالطريقة السابقة، لقد كان من اليسير على تجريد هذا الرجل العجوز من أسلحته وجعله يستسلم أمامى من تلقاء نفسه لو كان قد ظل بمفرده معى، لكن كل ذلك انتهى بمجرد قدوم أُمى من ركن المنزل... فقد حدثت كل هذه الأمور مع قدومها.

لا خروج من المنزل طوال الأسبوع، عمل الواجب كل ليلة، وسحب كل الصلاحيات (أى صلاحيات؟ التنفس؟ استخدام الحمام؟) وتار ممنوع منعاً باتاً، وكذلك أصدقاء تار.

كانت هذه التعليمات مثل تلك التى تُكتب على اللافتات على الشواطئ لكى تحذرهم من المحظورات... ولا يمكن الخروج سوى فى ليالى الخميس والجمعة، وتكون العودة إلى المنزل فى الساعة التاسعة مساءً.

- "أد، ألا نستطيع أن نجعلها حتى التاسعة والنصف لو سمحتم؟".

ردت أمى: "حسناً، لو وعدتني أن تكون العودة فى الساعة التاسعة والنصف تماماً".

كنت أحاول أن أخذ الأمور مأخذ السخرية، فقد تم حزم الأمور كلها تماماً.

كنت أنتظر هذا الأمر، وكان من المفترض أن يكون ذلك سبباً لانهيارى.

كنت أحاول أن أكون باردة، كنت أقطر سخرية، ولم أكن أنوى حتى أن أزعج نفسى بالمجادلة أو مناقشة الأمور، ولكنى كنت أعيش، وكذلك كانت أمى تعيش هى أيضاً، واستطعت ملاحظة أن أبى كان يبدو مجروحاً قليلاً كما لو أن الأمور قد ذهببت لمدى بعيد، لكن أمى كانت قد أخذت قرارها وصممت عليه.

فتحت فمى لأقول شيئاً ما يحسن الأمور، ولكنى لم أستطع التقوه بأى شيء، كان ذلك مجرد نوع من الحماسة.

قالت والدتى وهى تهتم بتعديل جونتتها برفق: "سوف يستمر ذلك فقط إلى أن تعودى للنظام القويم".

"أنت تعتقدين أنني لا أستطيع أن أكون أهلاً للثقة، ولكنني فعلت كل ما بوسعي لكي أجعل الأمر يمر بسلام... بوه... بوه... بوه".

كان يجب عليّ أن أغلق فمي، لن أصل أبداً إلى نهاية الجملة، أخذت أصبح صيحة طويلة بصوت عال، واندفعت خارج الغرفة، ولكن لم يكن لدى أي مكان لكي أذهب إليه لأنهما كانا جالسين في فراشي، ونادى عليّ أبي...: "جيما"، فقالت له أمي...: "اتركها".

اندفعت نازلة السلالم كالإسفنجة المبللة بالماء بسرعة مائة ميل في الساعة، واختبأت في المطبخ محاولة أن ألتقط أنفاسي، بعدها نزل أبي وأمي السلم مرة أخرى، فاندفعت عائدة إلى غرفتي وأغلقتهما عليّ.

صرخت قائلة: "أوغاد، أوغاد، أوغاد".

وساد نوع من الصمت المفعم بالتفهم.

أخذت الأمور في الهدوء بعد برهة، وقررت أن ألاعبهما ببرود على أمل أن ينتهي الأمر كله بصورة نهائية، لم أخرج أبداً في ذلك الأسبوع... حسناً... لم يكن هناك تار، أليس كذلك؟، أما باقي الشلة فلا يزالون على الشاطئ أمام البحر، واستطعت أن أتماسك لعدة أيام قلائل، ولكنني بدأت العمل في نهاية الأسبوع، لن أفقد تلك المتع أبداً.

حصلت على وظيفة صغيرة لطيفة، وهي تقديم الشاي للسياح، ولكنني عندما كنت أنظر ورائي وأعيد التفكير في الأمر، فإن ذلك العمل لم يكن عملاً صغيراً ولا لطيفاً على الإطلاق، بل إنني كنت أعمل مثل العبيد، ولكن في مكان بعيد صغير ومطل على البحر مثل مينلى هل يمكن أن يكون تقديم الشاي للسياح شيئاً مثيراً؟ لكنه كان يدر على دخلاً ونقوداً تدخل جيبي على أية حال.

لم يقل لى أحد أى شىء، وتركاني أفر خارج البيت ولم يسألاني أبداً إلى أين أنا ذاهبة.

وعندما ذهبت أخيراً إلى غرفة الشاى الخاصة بعمتى جوان، كانت هناك فتاة أخرى تجهز الأماكن الخارجية بجوار الشباك، ثم أتت عمتى جوان تمشى بشموخ و... أوه... إنها جيما... يا لها من مفاجأة.

فذكرتها قائلة: "إننى أعمل هنا".

حملت عمتى جوان فى وهى تفكر... إنها لم تكن عمتى بالطبع... ولم تكن - على حد علمى - عمة أى أحد على الإطلاق، لقد أطلقت هذا الاسم على نفسها بعد أن امتلكت غرفة تقديم الشاى هذه.

قالت العمة بلطف: "لقد سمعت أنك شقية قليلاً يا جيما".

فقلت: "آه... حسناً"، ما الذى يجب عمله معها؟ لقد مضى وقت طويل لم ألصق لسانى فى زور أى أحد ولم أقبل أى صديق منذ فترة طويلة، بينما كان الزبائن هنا يلتهمون الكعك بشراهة.

تمتت العمة قائلة وهى تنتظر إلى: "لقد اتصل أبوك" لم أتفوه بأى كلمة، ولكنى انتظرت فقط.

- "يوسفنى أن أخبرك أنه لم يعد لك عمل هنا بعد الآن". قالت ذلك بجفاء ولم يكن لديها أى كياسة أو لباقة لكى يبدو عليها أى مظهر من مظاهر الارتباك أو الإحراج.

هل أنا فى حاجة؟ هل أنا فى حاجة لكى أقول كيف كنت أعيش هنا، وبرغم ذلك لقد اتصل بها ذلك العجوز اللعين أبى وأنهى عملى عندها.

لم يكن له شأن بذلك.

لم يكن من حقه ذلك.

أما بالنسبة لها- هذه الخفاشة العجوز-، فمن تظن نفسها؟.

وسألتها: "منذ متى أصبحت مفتشاً في شرطة الأخلاق؟".

انطلقت قائلة بقلة حياء: "لا داعى لذلك، أنا آسفة، ولكننى لا أستطيع تحمل مسؤولية توظيف بنت قاصر بالمخالفة لرغبة والديها" وأدارت ظهرها وخرجت.

استدرت وحملت في الفتاة الأخرى التى احمرت خجلاً وحاولت الاختباء خلف أطباق الفناجين، وتوقعت أنها ظنت أنها ستجندنى أعربد فى المطبخ تاركة غلاية الشاي تفور.

لقد وصل بى الذل والهوان والتحقير إلى درجة لا يصدقها عقل.

صرخت فيها من أعماق صدرى صائحة بأعلى صوتى: "انظرى! إننى لو أردت العمل فى مؤسسة حيث يكون لطعم مربى الفراولة مذاق السمك!".

واندفعت خارجة كالعاصفة، لقد أفرعها تصرفى هذا، فقد اعترفت لى فى لحظة مودة أنها تصنع المربى فى منزلها فى نفس الإناء الذى اعتادت أن تغلى فيه فضلات السمك لقطتها، إن مدينة مينلى كلها ستعرف هذا قبل أن ينتهى النهار.

سرت نحو البحر وأنا أنتحب وأنتحب، أبكى بحرقة وأتمزق، لقد كانت حياتى على حالتها هذه مهددة وضائعة، أما بالنسبة لهذه العجوز العمدة جوان، فقد أحببت كل دقيقة من حياتها، وتوجد أسطورة بين التجار المحليين تدعى أن كل المشكلة فى مدينة مينلى سببها أطفال المنطقة المحليون، وإذا قام شخص ما بشئ

إبريال سيارة أو قلب صندوق قمامة على الشاطئ: فإنهم سوف يتجمعون جميعاً معاً مثل طيور النورس ويتحدثون ويدمدمون بتذمر بحديث جاد وغير ودى عن الشباب وعدم النظام وكيف أن الشباب الصغار كانوا يفسدون المدينة، وذلك على الرغم من أنهم كانوا يرحبون بكل سعادة بأى عدد من اللصوص من خارج البلدة، فهؤلاء الأغراب يمكنهم أن يدوروا حول المدينة وهم يتقبنون ويصرخون ويركلون صناديق القمامة ويقلبونها طالما راق لهم ذلك، ولم يكن ذلك سوى تعبير عن الروح الشبابية العالية ومعنوياتهم المرتفعة التى ترحب بأى سائح لديه نقود، وبصورة أساسية فإن أى شخص لديه، ولو ورقة مالية بخمسة دولارات فى جيبه، كان يعتبر مقدساً مثل الأم تريزا فى كلكتا، وذلك على حد قول التجار المحليين.

إن مينلى كلها كانت مهيأة لاستقبال السياح، ولو لم يكن للتجار المحليين طريقته الخاصة فى جذب السياح لأصبح المكان مغلقاً تماماً فى الشتاء، وكان سيتم إرسال السكان المحليين إلى منطقة سكاربورج فى سيبيريا أو إلى مكان آخر مشابه، ولكن تلك قصة أخرى.

إن غضبى عندما كنت أعمل لدى السيدة العمة جوان كان بمثابة يوم رائع فى منتصف الربيع بالمقارنة بالاحتراق والغضب العميق الذى كان يشعر به والداى الحبيين.

لم أعد إلى المنزل فى ذلك اليوم، وقد مكثت فى الواقع بعيدة طوال عطلة الأسبوع تعبيراً عن غضبى واعتراضى على منعى من الخروج من المنزل فى عطلات آخر الأسبوع.

وكانت مؤامرتى التالية هى أن أظل خارج المنزل حتى الساعة العاشرة فى كل ليلة من ليالى نهاية الأسبوع، إنهما لن يستطيعا بالتأكيد إبعادى عن المدرسة

بحجة الحفاظ على النظام، لقد نظما الأمر بأن يستلمنى أبى كل يوم من المدرسة بنفسه فلا أستطيع الهرب أو التزويغ، يا إلهي! إن الجميع أصبحوا يعرفون ما الذى كان يحدث، لقد أتى أبى بالفعل ليأخذنى من الفصل، مما جعلنى أشعر بأننى سوف أموت من الشعور بالذل والهوان.

لقد كانت الأمور تخرج حقاً من إطار سيطرتى، ورأيت أن أمى كان لديها أفكار أخرى، ولكن فى ذلك الوقت كان أبى هو الذى يشعل كل الحرائق، لقد سمعتهما يتجادلان فى إحدى الليالى، وقد سرنى أن أظن أنها كانت تحاول أن تتقنعه بأن يهدأ، ولكنه فى تلك المرة كان يشعر بأن سلطته الوالدية فى خطر وكأنها موضوعة على المحك، كما لو كنت تحاول إيقاف مباركة "البابا" للأطفال، ولم تكن أقدم أمى ثابتة لى تقف بقوة أمامه لذا تركت له كل شيء له.

إن أمى هى فيلسوفة الأسرة.

قالت وهى تشرح لى: "إن الحب موجود يا جيما، والكرم موجود والتسامح وكذلك التسوية والحلول الوسطى، أنا لا أحب أن أعاملك كطفلة، إن كل ما يجب عليك فعله هو أن تُظهرى لنا أنه يمكنك الالتزام ببعض القواعد البسيطة، وأنه يمكننا أن نستأنف حياتنا الأسرية بصورة عادية، يمكنك الحصول على عمل جديد وأن تقضى عطلات نهاية الأسبوع خارج المنزل مرة أخرى، إننا لا نحتاج إلا لرؤية بعض الشيء من تحمل المسؤولية من جانبك فقط، إن ذلك هو كل ما نطلبه منك".

كان والداى يحتاجان إلى أن يتلقيا درساً.

لا تقل لى إنك قد أجريت هذه المجادلة الرهيبة مع والديك، إن الحياة بغليضة، لماذا يجب عليك أن تصبر وتتحمل كل ذلك؟ ماذا تعتقد؟ لماذا حقاً؟ لماذا لا نترك البيت بدلاً من ذلك؟ إنه أمر سهل، وهو أمر هين أيضاً، وهو يجعل موقفك ووجهة نظرك تمر بطريقة جميلة.

"إنه فقط ليس سهلاً، أليس كذلك؟ بمعنى أنه قد يكون سهلاً وقد يكون صعباً، ولكن كيف لك أن تعرف؟ إنك مجرد طفل يافع ولا تزال لديك أشياء كثيرة ينبغي أن تتعلمها، إنها ليست أمراً يسيراً مثل الذهاب لمتجر وطلب دليل للهرب من البيت.

"حسناً، ها هي- ماذا كنت تتظن؟:

الدليل العملى

لجيما بروجاس

للهرب من المنزل

دليل الخطوات العملية التفصيلية خطوة خطوة

١- ستحتاجين: ملابس- جاكيت صوف- ملابس داخلية- الكثير من الملابس الثقيلة- الكثير من الملابس الداخلية- المتعلقات الشخصية- بالطو واقياً من المطر- حقيبة نوم- قلما رصاصيا- ورقاً- نقودا- كارت البنك الخاص بوالدك ورقمه السرى.

٢- نوتة صغيرة: سوف تحتاج إليها.

٣- فكرى فيما يلى: ماذا سيفعل أبوك وأمك؟ سيحاولان بالطبع أن يجعلاك تعودين، سوف يكون هناك شرطة، آه يا إلهى، ابنتى الصغيرة تركت المنزل وقد تكون معرضة للكثير من الإساءة البدنية أو الجنسية الآن، وقد تكون مقتولة وملقاة فى أحد صناديق القمامة معلقاً عليها بطاقة صغيرة مكتوباً عليها "هذا درجة ثانية، وليس لها أى قيمة تذكر"، ولم يحدث أبداً لهما أن تلك الصغيرة لويزا قد زهقت أو ملت من تعامل أبيها أو أمها معها لدرجة أنها تركت مكانها الذى تشعر فيه بالانسجام والألفة، وهكذا...

٤- وإذا أردت ألا يتتبع جميع رجال الشرطة فى البلد أترك أو أن تزين صورك كل الصحف القومية أخبرى أبوك بما تتوين فعله (قد تريدين بالطبع أن تظهر صورك فى الصحف المحلية، ولكن ليس عند فرارك من المنزل).

٥- هنا يأتى دور القلم والورقة، اكتبى لهما ملحوظة شارحة أنك سوف تهربين، لذا فإنه يجب عليهما أن يتوقعا ألا يرياك إلا نادراً فى المستقبل القريب، تمنى لهما حظاً سعيداً، وأخبريهما أنه لا داعى للاستسلام للمشاعر الصعبة، وأنك تأملين أن يتفهما ذلك، ويمكن أن تسألتهما كيف سيتحملان الحياة معاً بدونك بعد أن جعلتا حياتك البسيطة غير محتملة إلى درجة أنك اضطررت للهرب إلى العالم الصعب إلخ... إلخ، ولكن احذرى لأن ذلك سوف يضعف من مصداقيتك.

٦- احجزى تذكرة الأتوبيس باستخدام كارت الفيزا الخاص بوالدك.

٧- خذى النقود واجرى.

وإذا أردت أن تتأكدى من ذلك اكتبى لهما، أو اتصلى هاتفياً وأخبريهما أنك تتغذين جيداً وترتدين الكثير من الملابس الصوفية، وبهذه الطريقة فإن البوليس

سوف يقول لهما عندما يطلبان منه أن يساعدهما لكي يحصلوا على ممتلكاتهما التي سلبتها "إنها ترتدى جاكيتين صوفيين أليس كذلك؟ وأخذت حقيبة نوم... آه؟ همهم؟". وهكذا كما ترين فإنهما أثناء كل ذلك الاهتمام الكبير بك فإنك قد تكونين ميتة.

وفي الحقيقة (وهذا سر لن أبوح به) أنا سوف أهرب من البيت لمدة قصيرة، فقط وسأعرف عندما أصل إلى المكان الذي أقصده المدة التي سأغيب فيها عن المنزل بالضبط، ربما أسبوعين... ربما شهرًا.

ولكن أبى وأمى لا يعرفان ذلك بالطبع.

اتصل بى تار يوم الثلاثاء، وكان والدائ قد ذهباً للعب الإسكواش، وكنت بدأت فى إخبار تار عن ذلك، وفجأة ابتسمت ابتسامة عريضة غطت وجهى كله، وذلك عندما أدركت أننى كنت سأفعل ذلك حقاً، قبل... أنت تعرف، لقد كنت أقصد ذلك، ولكن كانت هناك تلك الأفكار التى تراودنى بأننى كنت أخدع نفسى، ولكن عندما بدأت الابتسام عرفت ذلك وكان هو أيضاً يبتسم، واستطعت أن أستمع إلى صوت عضلات وجهه وهى تتمدد عبر الهاتف.

شعرت بالذنب قليلاً... لأنه كان يرغب فى بشدة و... وكان الناس دائمو الحديث عن الحب كأنه شئ يحدث كل يوم، ويقول الناس إنهم يحبون والديهم ولكن ماذا يعنى ذلك؟.

إنهما ليسا مؤذيين لنا بدرجة كبيرة، أليس كذلك؟ أنا أكرههما أحياناً ولكنى لا أعتقد أن مشاعرى تجاههما أقل من مشاعر أى إنسان آخر، كل ما أعرفه هو هذا؛ إذا كان هناك شئ مثل ذلك الذى نطلق عليه حالة حب أعتقد أننى لم أصل لهذه

الحالة بعد، ولكننى عندما أفعل وأشعر بحالة الحب فإننى سوف أصبح عندئذ مفتونة ومتيمة بالحب، وفى جميع الأحيان، وفى كل مكان سوف أفعل أى شىء لأحققه، وأطلق على هذه الحالة أى اسم تشاء مهما كان هذا الاسم.

ولكننى أنوى فى نفس الوقت أن أحصل على حريتى كاملة.

إن تار حبوب جداً، إنه من ذلك النوع من الأشخاص الذى يجعلك تريد الاقتراب منه، وقد مر بأوقات عصبية، ولا يوجد أحد يمكن أن يكون قد مر بأوقات عصبية مثله، إنه من ذلك النوع الذى تجد نفسك تختاره وتتقيبه لكى تقع فى حبه، وأنت تعرفنى وتعرف أننى أقع فى الحب عندما يستثيرنى الصوت العالى أو منظر غريب لشخص يرتدى حلقاً فى أذنه، هذا هو حظى.

وهكذا كان الأمر... ربما كان ذلك ظالماً قليلاً بالنسبة له، ولكننى من ناحية أخرى أعجبت به أكثر من أى شخص آخر، وتخيلت أن ذلك الإعجاب شىء سىء، وقد بدأت بعد المكالمات التليفونية فى التفكير فى قضاء بضعة أيام معه بدون وجود أى أحد يأمرنى بأن أفعل هذا أو أفعل ذاك... وقد شعرت فقط بأننى فى حالة جيدة جداً بسبب ذلك، كنت أمسك يده فى الظلام، وأنام معه، وأتحدث إليه عندما نكون بمفردنا، وكنت أعتنى به لأنه مسكين، كان تار يحتاج لوجود شخص ما معه، كان يريد شخصاً ما، كان يريدنى أنا.

وعندما كنا مختبئين خلف الصخور مع ذلك الحشد من الناس كان يحضننى أحياناً بشدة، وأنا أعتقد أنه لم يكن يحضننى فقط وإنما كان يتمسك بى لكى أحميه من السقوط، وكنت أراه ينظر إلى عيناى مليئة ب... كان وكأنه على وشك البكاء،

أنا أعرف أن هذا غياب لكنى أعتقد أنه ربما كان يتألم لأنه يحبني وأنا لا أحبه، وكان هذا الفتى الضخم يمسك برقبتي وكنت أحضنه بشدة محاولة أن أعصره بين ضلوعي بكل قوتي لكي أشعره به بحبي بالقدر الذي يحبني به، لكنى كنت أظن في أوقات أخرى أن ملامح وجهه هي التي تجعلني أعتقد أنه كان يحبني بمثل هذه القوة.

(٣)

تار

أنا وجيما... إنك لن تصدق ذلك أبداً، ولا ينبغي أن أنطلق في الحديث، عندما التفتت إلى ورأيته لأول مرة على الشاطئ اعتقدت عندئذ أنني لن أعجب بها، كان ذلك في ليلة السبت، وكنا قد أشعلنا نيراناً كبيرة أمام أسقف المصنع على بعد حوالي نصف ميل خارج المدينة، كانت نيراناً كبيرة وجيدة، فقد وجدنا كتلة ضخمة من الخشب، كانت جزءاً من قارب قديم، فسحبناها أنا وكيني إلى الشاطئ، وكانت ملطخة بالقار وبها مسامير نحاسية، وتحول النحاس إلى نيران خضراء، كان ذلك منظرًا ساحرًا خلابًا.

كانت جيما منبهرة بهذا المنظر، فمثل هذه الأشياء تثير انبهارها ودهشتها، وهذه إحدى الأشياء التي تعجبني فيها، لقد استثارته النيران كما استثارها أيضًا لقائنا الأول، وكذلك صوت البحر في الظلام، والليل...

كانت مدينة مينلي غارقة في صمت كئيب، وليس لدى أحد أي وقت لأى شيء خاص بأهل المدينة المحليين، وكان من يتجول في المدينة من أهاليها يشعر كأنه غريب غير منتمى، ثم... تجد هذه المجموعة من الأشخاص الذين في نفس سنك جالسين على بعد نصف ميل خارج المدينة أمام هذه النيران الساحرة يشربون

ويدخنون ويفعلون كل ما يحلو لهم وما يرغبون فيه، أنا أتذكر جيدًا عندما اكتشفت حياة الشاطئ لأول مرة، لقد كانت رائعة فعلاً.

كانت جيما جميلة حقًا ولكنها كانت تتحرك باستمرار، لا تهدأ وتهتز طربًا ونشوة من روعة ما كانت تراه وتسمعه، لقد ثملت وانتشيت، وأخذت أفكر وأتساءل: "ألم تتعب أبدًا من صوتها؟"، ولكنى بقيت وبقيت هي إلى نهاية السهرة حتى لم يتبق سوى خمسة أو ستة من أفراد الشلة فقط.

وحان الوقت الذى كنت أعود فيه عادة إلى المنزل، وعندما تأخرت فى العودة كان الآخرون يغادرون المكان اثنين اثنين، ومن يظل جالسًا هناك فسوف يبقى وحيدًا مثل النبات البرى، كنت أحاول عادة أن أترك المكان قبل أن يصبح خاليًا، ولكن فى تلك الليلة ظللت موجودًا هناك كما ظلت جيما موجودة أيضًا، بينما غادر الآخرون المكان اثنين اثنين وفكرت فى... أوه، لا...

فى مثل هذه المواقف فإننى أشعر دائمًا بأنه ينبغى على التحرك وفعل أى شىء، ولكنى لم أجرؤ على ذلك، ولم أرغب فى الذهاب أو مغادرة المكان، لأن الجميع كانوا سيعرفون أننى لم أجرؤ على الحديث إليها، وينبغى أن تكون أكثر ثقة بنفسك منى لكى تستطيع أن تجذب فتاة مثلها إليك.

جاءت جيما وجلست إلى جوارى وبدأت الحديث...

سادت لحظات صمت، وكنت قلقًا من أن تكون قد ملت أو شعرت بالضجر، ولكنها لم تكن مهتمة، ثم بدأت تسألنى عن نفسى... وأخبرتها عن بيتى وأمى وأبى، وشعرت بأننى مثل... شخص غيبى، أنت تعرف طبعًا! لأن كل شخص قد أصبح يعرف مشكلتى، وها أنا أتحدث عن تلك المشكلات مع هذه الفتاة الجميلة،

كنت قد ظننت أنها قد سئمت ملأً من حديثي، ولكنها ظلت تسألني عن أشياء أخرى خاصة بي بصوت هادئ مختلف تمامًا عن صوتها الذي كانت تصيح وتصرخ به من قبل، فأخبرتها بكل شيء، كل شيء بطريقة أكثر من اللازم، وظللت أنظر إليها مفكرًا لماذا تسأليني كل هذه الأسئلة، ماذا ستفعلن معي؟.

ثم بدأت بعد ذلك في الحديث مع شخص آخر وظننت... أوه، حسنًا... وكان الشيء التالي لذلك هو شعوري بأصابعها تداعب يدي، لم أستطع أن أصدق ذلك، وظننت أن هناك خطأ ما قد حدث، تعانقت أيدينا ثم استجمعت كل شجاعتي ولففت ذراعي حول خصرها ومالت عليّ، وابتنست فقط، فشعرت بسعادة غامرة، ولكنني لم أستطع تقييلها، وكنت أبتسم طوال الوقت.

تتهدد جيمًا: "أوه" عندما ضغطت على شفتي بأسناني وأخبرتها أنني سعيد جدًا.

فقلت: "حسنًا... حسنًا".

عندما اتصلت بها بالتليفون في ذلك الثلاثاء بعد مغادرتي للمنزل وطلبت منها أن تأتي لرؤيتي، احمر وجهي مثلما حدث عندما رأيتها في تلك الليلة للمرة الأولى، كنت أبتسم مثل الأبله، وكان الناس يبتسمون لي وأنا أسير مبتعدًا عن كابينة التليفون، لقد كان ذلك عظيمًا ورائعًا حقًا.

كنت أشعر شعورًا رائعًا لكوني بعيدًا عن المنزل ومع نفسي، لقد شعرت الآن بالعظمة، وأردت أن أجعل هذه اللحظة تطول وتمتد على قدر الإمكان، كما يحدث في الأفلام وكيف تمتد المشاعر الخاصة عند سماع أغنية أو مقطوعة موسيقية فتتمنى لو أنها تستمر ولا تنتهي أبدًا، أو مثلما أكون في قارب يطفو على

صفحة النهر أو أطير في منضاد مع شخص يعزف على جيتار، لكننى ها هنا فى وسط هذا الشارع القذر القديم بمدينة بريستول وأصبحت أعرف تمامًا أنه من الممكن حدوث أى شىء فى أى لحظة وأننى سوف أشعر بذلك الشعور البغيض مرة أخرى، كان ينبغى علىّ أن أفعل شيئاً ما، ثم فكرت بعد ذلك فى القيام بنزهة فى الحديقة... ياه.

سوف يكون هناك أطفال صغار يمشون فى الطرقات، وأناس يفسحون كلابهم، لقد كان ذلك فى أواخر الربيع وكانت أزهار النرجس لا تزال مزدهرة، والزهور متفتحة على الأشجار، وكان الناس يطعمون البط والحمام، فتناولت أيس كريم مثلجاً، وكان معى جهاز "الوكمان" فكنت أستمع إلى الموسيقى كلما أردت.

أحسست فى هذه اللحظة بأننى أرتفع إلى أعلى وأننى مستعد لأن أقفز فى الهواء... ووضعت يدى فى جيبى، بدون أن أعرف لماذا؟ كان معى جنيه، وفكرت لقد رجعت متأخراً جداً، وبدأت أحس بأن تلك المشاعر الجيدة قد أخذت فى التلاشى بالفعل، وأخذت أفكر فى أننى إذا كنت قد أنفقت نقودى على الأيس كريم فيجب علىّ الذهاب إلى المدينة وتسول بعض النقود من المارة ولكى أستطيع الحصول على شىء أكله فى تلك الليلة.

كان التسول شيئاً مقبلاً جداً، ولا توجد أى طريقة لطيفة للتسول، وكل ما ينبغى عليك عمله هو أن تضع رأسك بين ركبتيك وأنت مطرق وتمد يدك محاولاً التظاهر بأنك لا تتسول.

إنه شىء غبى جداً، كان يوجب علىّ الحصول على بعض المال لكى أستطيع الإحساس بالسعادة لقدم جيما لرؤيتى، وكنت أعرف أن ذلك سيحدث بالفعل، وأن هناك أسباباً متعددة يمكن أن تجعلنى أشعر بعدم السعادة وتجعل

سعادتي لا تدوم لأكثر من ثانية، وشعرت وكأن اللحظات تتجمع من حولي وتقفز بي إلى الهواء... ثم تلقى بي على الأرض وأنا أشاهد اللحظات وهي تهرب وتركني وحيداً...، ثم لاحظت نباتات الهندباء، كان هذا النبات يتخلل الحشائش الموجودة على جانبي الطريق، كان كتلة متداخلة من الأصفر والأصفر الفاقع والأصفر الذهبي، وكنت واقفاً هناك أفكر في هذه النرجسات البرية وأين يمكن أن توجد في أماكن أخرى، لقد كانت هذه النباتات موجودة هنا طوال هذا الوقت، هذه الهندباء البرية لم تكن من أجلى ولا لكى أنظر إليها، ولكن لأن هذه النباتات أرادت ذلك، وأرادت أن تكون هناك على طوال هذا الشارع القذر، هذه الزهور البرية التي تتوهج اشتعالاً أصفر وذهيباً، وكانت الناس تذهب وتغدو دون أن يلاحظها أحد.

لا بد أنني قد مررت بها عدة مرات من قبل دون أن ألاحظ وجودها أبداً. أعرف أن هذا قد يبدو نوعاً من الغباء، لكنه بدا لي كأن هذه الزهور قد اتبعثت من جيما، وكأنى رأيته وأحسست بوجودها لأول مرة عندما عرفت جيما. وقفت هناك لبرهة وكأننى أمتص ذلك اللون، كنت أعشق اللون الأصفر، إنه لون ضوء الشمس، وعندما ينتهى كل هذا وأتأهب للدخول للجامعة، كنت أريد أن التحق بكلية الفنون، أريد أن أصبح رساماً أو مصمماً، وأنا أعتقد أننى صالح لذلك تماماً.

وقفت هكذا أحملق في ذلك المنظر فوائتتى فكرة لرسم لوحة، لوحة لسنبلة نرجس برى، سنبلة واحدة فقط ضخمة وبراقة، ذات خلفية سوداء، أما السنبلة فستكون وحدها من اللون الأصفر الفاقع والبرتقالي، وكل ورقة فيها عبارة عن

مثلث أصفر طويل، لا بد أنها ستكون لوحة كبيرة، ولا بد أنى سارسمها يوماً ما، وسأعلقها على الحائط، ذلك كله من أجل جيما عندما تأتى إلى.

وانقضت هذه اللحظة السعيدة جداً، ثم التقطت حزمة كبيرة من الهندباء وانطلقت عائداً إلى الحجرة التى كنت أعيش فيها، وأحسست بالعظمة مرة أخرى، وأخذت أحاول تنظيفها وتلميعها لكى تنقضى الأيام سريعاً إلى أن تأتى جيما.

وفى أول ليلتين قضيتهما فى الطرقات كنت أحاول جاهداً أن أنام داخل حقيبة نومي فى الطريق، أو فى ممر موجود أمام سوبر ماركت صغير، لكن تلك الليلة كانت باردة جداً، وكنت أحاول أن أنهىها بالتجول هائماً على وجهى بدون هدى، وعندما أطل الصباح الباكر رأيت الناس تتزاحم فى مترو الأنفاق، وهم ملتقون فى صناديق من الكارتون لكى يحتموا بها من شدة البرد، ظللت واقفاً حتى وجدت علبة كرتون موجودة فى القمامة خارج أحد المحلات، فلففت نفسى بها، وشعرت بأننى أصبحت أفضل، لكننى ظللت سائراً فى الشارع طوال تلك الليلة.

نمت على هذا المنوال لمدة ليلتين، ولكنى لم أحب النوم فى الشارع، ذلك لأنك تكون موجوداً فى مكان ما على مرأى من جميع الناس، حتى وأنت نائم، وقد تستيقظ فى الليل أحياناً لتجد رجال الشرطة أمامك يوجهون ضوء كشافاتهم القوية نحو وجهك، وأنا أكره أن يتفحصنى الناس وأنا نائم، كما أكره رؤية كل هؤلاء الأغراب وهم يوجهون نظراتهم إلى، وقد بدأت أشعر وكأننى شئ ما معروض فى حديقة الحيوان، لذلك عندما وجدت ذلك الصف من المنازل القذرة فكرت فى أنه من الأفضل أن أسكن فى واحد منها، وأن يكون ذلك هو بيتى. ووجدت غرفة صغيرة لا يزال بابها موجوداً، فدخلتها، لكننى ظللت مستيقظاً فى أول ليلة؛ لأن الناس كانوا يطرقون على الباب باستمرار، وكانت الغرفة مظلمة تماماً، ولم يكن

ممكناً لأحد أن يرانى إلا عندما أجيب الطارق على الباب، وقد تكرر حدوث ذلك حوالى خمس مرات فى تلك الليلة، وشعرت بالخوف الشديد فى أول الأمر، لكننى أدركت بعد قليل أنهم مجرد أناس يبحثون عن مكان ليناموا فيه، فصرخت فيهم "لقد أخذت هذه الغرفة"، فكانوا يتركوننى ويمضون لحال سبيلهم، وفى اليوم التالى علقت لافتة صغيرة مكتوباً عليها "ممنوع الإزعاج"، وكتبت تحتها بحروف صغيرة "مملوكة لفندق إرليكت".

كان الجميع يمسون بكشافات أو أعواد تقاب لكى يستطيعوا رؤية الطريق، لذا فقد استطاعوا جميعاً رؤية اللافتة ولم يزعجونى بعد ذلك أبداً، إلا أن بعض السكارى الذين لم يروا اللافتة كانوا يزعجونى من حين لآخر، وكانوا يشعرون أحياناً أنه من الظريف أن يوقظونى، وقد حدث ذلك مرتين، وقد صاح أحدهم قائلاً: "هل تتكرم بترك حذائك بالخارج لتنظيفه؟"، كما صاح شخص آخر "هل يريد سيدى أن يتناول إفطاره فى السرير"، وما إلى ذلك من التعليقات الطريفة، ولكن كل شيء كان يسير على ما يرام.

وكان بعض الناس يقومون بإلقاء القمامة وأكياس مليئة بالقاذورات والأوراق القديمة والملابس المتهترئة، وقد نمت فوق هذه الأكياس لعدة ليال مما جعلنى أشعر بالإحباط، وكنت أتذكر أمدى وأفكر فيها كثيراً، ثم أعود لأفكر فى الاستمرار فى هذه الحياة التى أعيشها، وكان أول شيء قمت بفعله هو وضع كل هذه القمامة فى أكياس وحملها للخارج ووضعها فى صندوق القمامة، ووجدت مكنسة قديمة قمت بإصلاحها وتنظيفها وأصبحت صالحة للاستخدام وأداء مهمتها بشكل ما.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت أجمع الأشياء الملقاة والصناديق الخشبية وقطع السجاد التى يلقىها الآخرون، ولكننى لم أستطع أن أجعل ذلك المكان يبدو لطيفاً لأن

بعض الناس كانوا يلقون بالفضلات أو يحطمون ما أصلحه من أشياء، ولكنى كنت أحاول جاهداً أن أجعل ذلك المكان ملكاً لى، ولهذا السبب أصبحت سعيداً جداً عندما راودتني فكرة عمل لوحة فنية، لقد أردت أن أرسم لوحة فعلاً، لذا أحضرت أقلام الرصاص لى أستخدامها فى الرسم، والآن تولدت فى ذهنى فكرة عظيمة من أجل جيما.

كانت الساحة التى يعيش فيها أصدقائى تبعد عن مكان غرفتى حوالى ميلين، وكان يتحتم على المرور على محل سجائر جو سكولى، وفكرت فى أن أدخل وأشتري قطعة شوكلاته، أن أشتري حقاً، فقد كنت قد نسيت تماماً التسول واستجداء الأشياء، أنت تدخل وتشتري قطعة شوكلاته وعندها تعتقد... أوه... لا...

إن جو سكولى رجل لطيف، لقد أعطانى بعض النقود مرتين من قبل فى الأيام القليلة الماضية، وأعتقد أنه يعطى بعض المال للمحتاجين السائرين فى الشارع.

قال لى: "إنك تبدو مفعماً بالسعادة اليوم يا دافيد" قال ذلك وهو ينظر إلى نبات الهندباء الذى وضعته فوق الطاولة الخشبية فى محله، أخبرته قائلاً: "إن فتاتى قادمة لتعيش معى"، وأعتقد أننى لم أدخل لمحله إلا لى أخبره بذلك، فقد كنت أشعر بأننى محتاج لأن أقول هذه الأخبار لى شخص.

قال وهو يشير إلى باقة الهندباء: "لهذا فإنك تحمل هذه الباقة من النرجس؟".

فقلت ضاحكاً: "نعم"، وأخذت قطعة الشوكلاته، ووضعت يدي فى جيبي لى أخرج النقود، لم يضحك ولم يضحك بعد ذلك أبداً، وهو يميل دائماً لأن يجعل

ملاح وجهه تبدو صارمة ما عدا حاجبيه، فقد كان يرفعهما في الهواء إلى أعلى دائماً، وكان من الصعب أن ترى وجهه يتحرك حتى وهو يمزقك بمزاحه، إنه شخص ذو وجه جامد خال من التعبير.

لم يأخذ مني النقود وقال: "هذه أنباء طيبة"، نظر إليّ فقط وقال "لقد تركت أهلها مثلما فعلت أنت... أليس كذلك؟" لقد أراد أن يعرف حقيقة الأمر. نظرت إليه وقلت: "آه... آه".

"كم يبلغ عمرها إذن يا دافيد؟".

لم أجزؤ على أن أنكر له عمرها الحقيقي فقلت له: "ستة عشر عاماً"، ذلك هو العمر الذي ذكرته له، وثم أخذت في تناول قطعة الشكولاته لكي أخفي ارتباكى.

فرد قائلاً: "لطيف" هو ينظر إليّ واضعاً ذراعيه على جانبيه، ثم تساءل قائلاً: "أين ستضعها إذن؟".

لقد بدأت في الشعور بالבוُس والإحباط مرة أخرى "جناح شهر العسل في فندق ديري؟".

قلت وأنا أعيد النقود إلى جيبى؟ "آه... شكرًا يا سكولى على قطعة الشكولاته المجانية".

وأضفت قائلاً: "آه... نعم... أنا آسف حقًا... لقد كنت أفكر في...".

- "لا داعى للأسف، إنه ليس مكانًا لائقًا بسيدة صغيرة، أليس كذلك يا دافيد؟".

لم أفكر فى ذلك أبداً، وقد بدا سكولى على حق فعلاً، لأن النوم فى الشارع ممكن أن يكون مناسباً لى، ولكنه ليس مناسباً لجيما طبعاً، ففى الشارع يوجد جميع أنواع البشر: المتسولون ومدمنو الخمر والمخدرات، وقد يكون بعض الناس الموجودين بالشارع جديدين ولا بأس بهم، لكننى رأيت بعض النساء الساقطات وسينات السمعة يرافقن الرجال، وقد حدث ذلك مرة أو مرتين لكنك لا ترى هناك أى فتيات صغيرات، فالفتيات الصغيرات ينمن فى الأماكن العامة داخل الممرات أو فى مداخل المحلات، لم أفكر أبداً لماذا كن يفعلن ذلك.

أمسكت بالنقود ووضعتها أمامه مرة أخرى قائلاً: "ها هى النقود ولكنه أزاحها بعيداً".

- "لا تكن سخيفاً".

كنت على وشك أن أعيد النقود إلى جيبي، ولكننى غيرت رأى وقلت: "لا... خذ النقود وإلا فلن أستطيع الحضور إلى هنا مرة أخرى".

- "آه".

- "سوف تظن أننى متسول".

فرد قائلاً: "يوجد وقت ومكان لكل شىء... آه يا دافيد، لقد فهمت وجهة نظرك" ثم انحنى وأخذ النقود قائلاً: "سوف أعيدها إليك فيما بعد، اتفقنا؟".

ضحكت، فقد بدا ظريفاً جداً معى، وكان وجهه غريباً، وكان سميناً بعض الشىء وشاحباً، وكان يبدو دائماً كأنه قد تلقى مفاجأة غير سارة، مثل أن تقول له إن ثمن الشوكولاته قد ارتفع كثيراً أو مثل ذلك من الأخبار غير السارة.

ثم قال لى: "إن الحياة عملية معقدة".

ثم دخل زبون آخر إلى المحل، فالتفت سكولى إليه، فأومأت إليه محيياً، وتوجهت إلى الباب لكي أنصرف ولكنه نادانى: "قف دقيقة..."

ووقفت منتظراً إلى أن ينتهى من بيع جريدة، وشعرت بالإثارة مرة أخرى، إننى لم أفكر فى الأمر جيداً، لقد كنت أناانياً، إننى لا أستطيع أن أطلب من جيمما أن تأتى وتعيش معى مثل هذه الحياة!

وعدت إلى الحديث عندما ذهب الزبون وقلت موضعاً: "إنها لن تمكث معى، لكنها قادمة لمجرد الزيارة فقط"، وسأل سكولى: "ما الذى ستفعله هذه الليلة؟".

- "حسناً... لا شىء..."

- "تعال إلى هنا فى السادسة تماماً، يوجد شخص ما أريدك أن تراه... وقد نتمكن من إعداد مكان لائق لك".

- "حقاً".

- "ينبغى عليك أن ترى ذلك الشخص... حسناً... يجب أن تكون هنا فى السادسة، وقد أطلب منك تنظيف البيت فقط".

"شكراً يا سيد سكولى".

قال وهو يدير عينيه ببطء: "... السيد سكولى... سكولى فقط".

- شكراً سكولى.

- "اذهب وتبول".

قفزت إلى الطريق، وكان كل شيء على ما يرام، سوف تأتي جيما، وسكولى سوف يساعدني، حسناً، إنني أقول إن كل شيء على ما يرام، ولكن كل الأمور لا تسير دائماً على ما يرام بالطبع، كان هناك شيء واحد فقط لا يسير على ما ينبغي، وهو شيء كبير ومهم حقاً...إنه أمى.

لقد قطعت على نفسي ذلك العهد بالأأأتصل بها لمدة شهر كامل، ولكن المشكلة هى شعورى بأننى سوف أصبح أفضل لو اتصلت بها، برغم أننى كنت أعرف تماماً أن ذلك ليس حقيقياً، لقد تركت لها رسالة عندما غادرت المنزل، لكن ذلك كان منذ فترة طويلة مضت، وكانت هذه فكرة جيما ألاأتصل بها لبعض الوقت، وقالت إن أمى كانت تجعلنى أشعر بأننى سىء فعلاً، وقد تطلب منى العودة إلى المنزل، ولكن أمورى سارت الآن على ما يرام لدرجة أننى اعتقدت أنه يمكننى التعود على ذلك والتكيف مع هذه الحياة والتعامل معها بنجاح.

أنا أعرف أنه يجب على ألاأتصل بها، وأعرف أن جيما على صواب، فأنت لا تعرف أمى، فهى يمكنها أن تجعلك تفعل أى شيء من أجلها، وأنا أخاف منها أكثر من أبى.

وفى النهاية فكرت فى أنه ينبغي على الانتظار لأرى ماذا سيحدث الليلة مع السيد سكولى، أقصد أنه لو استطاع أن يدبر لى مكاناً لأعيش فيه فإن كل شيء سوف يصبح على ما يرام، ووقتها يمكن التفكير فى الاتصال بأمى، ولكن إذا لم يحدث ذلك فإن الأمور سوف تصبح مختلفة وسيكون ذلك كارثة، كان ينبغي على

أن أتصل بجيما وأخبرها بالأنا تأتي لأن سكولي كان على حق، لا يمكنني أن أطلب من جيما أن تأتي وتحيا في مكان مثل طريق ألباني الذي أعيش فيه.

لم تكن رسمة الهندباء كما أردت، كانت الألوان شاحبة وباهتة، لقد أردت رسم ذلك اللون الأصفر الزاهي والأسود كخلفية للوحة، لا يمكنك تنفيذ مثل هذه النوعية من الرسوم بالأقلام الرصاص، إن تنفيذها بالألوان الباستيل سيكون أفضل بكثير، وكان لدى مجموعة من هذه الألوان في المنزل ولا بد أنني كنت مجنوناً فعلاً لأنني لم أحضرها. ولكنها كانت مدهشة لدرجة أنني خشيت أن تنحطم لو أحضرتها معي.

(٤)

سكولى

كان موجودًا هناك. حسنًا إنه سيكون موجودًا، أليس كذلك؟.

- "مساء الخير يا دافيد"

- "مرحبًا يا سيد سكولى".

قلت: "سكولى فقط" ثم توجهت سائرًا فى الطريق وهو سائر خلفى، كان طويل القامة، أطول منى بحوالى ست بوصات.

وقال لي: "لطيف منك أن تساعدني".

قلت: "إننى لم أفعل أى شىء بعد".

كان مؤدبًا جدًا، وهذا هو ما كان يشدنى إليه ويجعلنى أحب التعامل معه، كان يسير بجانبى بهمة، ويبدو جادًا، وهو يرتدى جاكته الجلد ويضع حقيبته على ظهره، ويبدو أنه لم يكن ينزل إلى الشارع كثيرًا لأن حقيبته كانت نظيفة جدًا، وبدا مظهره كالعادة بالبنطلون الجينز وحذائه البوت وشعره الطويل، وبدا على عادته كما كان يبدو دائمًا، إنهم جميعًا يبدون كعادتهم دائمًا بدون أى تغيير، ويميلون إلى ارتداء القليل من الملابس الرخيصة.

إنه أول شخص أحس أنه يحب مساعدة الآخرين فعلاً أكثر من مجرد إنفاق بعض المال أو الطعام أو الشوكولاته، وغالبية هؤلاء الآخرين الذين كان يساعدهم كانوا إما محبطين أو أغبياء، وكان ينبغي عليهم العودة إلى منازلهم والعيش مع أمهاتهم وآبائهم.

فى أول مرة رأيته فيها أعطيته جنيهين، وسألته بدهشة إذا كان يدرك حقاً ما هو فاعل.

فألقي على نظرة ولمس جانبي وجهه، ولم ألاحظ تلك البثور والحببيبات الموجودة على وجهه، ولم أستطع أن أقول أى شيء أو أن يذكر المزيد، فقد كان يبدو عليه البؤس، فأومأت برأسي وقدمت له قطعتين من الشوكولاته فوق النقود، فتغير وجهه. وقد فاجأني ذلك فقد تغيرت ملامح وجهه كلها ونظر إلى... وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، لقد جعلته يحس فعلاً بالسعادة لدقيقة أو دقيقتين، وقد جعلني هذا أشعر بالارتياح، وأنا أحب هذا الشعور.

لم يكن يبدو أن لديه أى شيء أو أى جبهة قوية لكى يحتمى بها، وأنت تحتاج إلى كل الجبهات التى يمكن الحصول عليها فى هذا العالم القديم، انظر إلى، إننى كُلى جبهة دفاع عريضة تقريباً، إن الذى تراه وتدركه هو الذى تحصل عليه، ولكن هذا الفتى... ليس عليك إلا النظر إليه لكى تدرك أنه سوف يصدق كل ما تريد أن يصدق، ويجعلك تشعر بأنك إذا لم تمسك بيديه فإنه سوف يفر مذعوراً.

قدمت له علبة سجاير ماركة بنسون وسألته: "هل تدخن؟".

أجاب: "شكراً لك، إننى لا أدخن".

قلت له: "سوف تدخن، فى الواقع فإن أى شخص يعيش فى ظروف صعبة يدخن".

قال: "إنك تملأ وقت فراغك مع القطران ودخان السجائر"، ثم وقف أمامى وحملق فى وجهى، وقال لى: "انظر... التدخين غير لون جلدك إلى اللون الرمادى".

توقفت فى منتصف الرصيف لبرهة قصيرة، فدفعتنى سيدة عجوز من الخلف قائلة: "قف على جانب".

لقد حضرت إلى هنا لكى أساعده، لكنه يقول لى إن لون جلدى تحول إلى اللون الرمادى، ابتسم فقط، وفكرت:.... أيها المتسول... إنه يقصد إغاضتى... وقد ضايقتنى هذا أيضا.

واستمررنا فى السير إلى شارع "بيكشن"، كنت أفكر أنه كان على حق مع ذلك، فوالدى العجوز يدخل مثل المدخنة على الرغم من أنه قد بلغ الثانية والثمانين من عمره، وقد أصبح لون جلده مثل لون رماد السجائر.

كنت أنا نفسى أدخل السجائر، وعندما كنت أصغر سناً كنت أحاول دائماً أن يكون لدى سيجارة مشتعلة أضعها فى ركن فمى مثل صور الإعلانات، وإذا كنت أنا بائع السجائر لا أدخل، فمن الذى سيدخن إذن؟ وقد أصبح بائعو السجائر منتشرين هذه الأيام، خاصة الآسيويين، هل يوجد أى شخص لم يدخل أى شىء على الإطلاق، هذا ليس صحيحاً بالطبع، كيف يمكنك احترام عملائك المدخنين إذا كنت تعتقد أنه من الغباء أن تدخن؟ وكيف يمكنك أن تعرف ما الذى تبيعه لهم؟.

أعتقد أنه يمكنني التفرقة بين السجائر ماركة بنسون وماركة ريجال من رائحتها فقط، آه، على أية حال فقد تركت تدخين السجائر، لأنني كنت أدخن أكثر من اللازم، إن أنسب شيء لبائع السجائر هو تدخين السيجار؛ لأنه لا يمكن أن يدخل السيجار في فمك بأكمله وسوف يظل جزء منه خارجاً من فمك ظاهراً للجميع، وبهذه الطريقة سوف تظل تدخن دائماً، حتى حينما يكون سيجارك منطفئاً فسيظل دائماً ظاهراً في فمك، هل تفهم ما أقصده؟.

- "ما رأيك في قطعة شوكلاته مارس إذن؟".

أخذ قطعة من الشوكلاته، أنا أحرص دائماً على ملء جيوبى بقطع الشوكلاته مرة بعد أخرى نظراً لكوني بائعاً، وأنا ألتهم هذه الشوكلاته أيضاً، لذا أصبحت بديناً وقصير النفس دائماً، ولكنني على الأقل لست منافقاً، كما أنني مثقف أيضاً، فأنا أقرأ الصحف دائماً.

وكان ريتشارد ينتظرنا في محل الأدوات الكهربائية الذى يملكه العجوز جورج دول، الذى قام بوضع يده عليه منذ عدة أسابيع قليلة مضت.

ابتسم لى العجوز جورج وقال: "مرحباً يا سكولى".

ويبدو أنه كان يبتسم منذ أن كنا خلف الباب، كان شخصاً مرحاً، يبدو أليفاً جداً، يبتسم دائماً، لكنه لا يمكن أن ينظر إليك بطريقة مباشرة لسبب ما، إنه مثلى، لكن ريتشارد كان محباً للعمل ويبدو كأنه قطعة صغيرة من العمل الدائم، قلت: "ها هو الفتى الذى كنت أكلّمك عنه"، ولكزت دافيد لكزة خفيفة من الخلف، وجعلته يتدحرج نحو الباب، ومد ريتشارد يديه إلى الأمام وقال: "يسرنى دائماً مقابلة أى شخص جديد يمكن أن ينضم لجماعتنا".

أجاب دافيد: "شكراً... شكراً".

وتظاهرت بأننى سوف أمضى وأغادر المكان، فشعر ريتشارد بالإحباط،
وسأل "ألن تلتحق بنا يا سكولى".

- "شكراً... إن لدى بيتى الخاص".

- "ليس للعيش معنا، ولكن لتناول الشاي، وسوف أقوم بإعداد برجر اللحم
من أجلك".

- لا "برجر؟".

وكان فى كل مرة يرانى فيها يدعونى لتناول بعض الطعام، بعض الفاصوليا
أو البقول أو الزبادى.

رد ريتشارد مبتسماً وهو يعبر إلى الجهة المقابلة من الشارع: "سوف أعد
الطعام من أجلك".

توقفت، كنت أخطط للذهاب إلى الحانة، التى تظل مفتوحة طوال الليل،
وكان ريتشارد يريد دائماً أن يهدينى ويحاول أن يغيرنى، أدركت ذلك ويمكننى أن
أذكره للجميع، وكنت لا أزال لم أفقد حب الاستطلاع بعد، كنت أدعه يحاول أن
يغيرنى، وكان ذلك يسلينى حقاً.

دفعت دافيد للسير أمامى واتبعتهم صاعداً إلى الشقة الموجودة فوق المحل.

عندما عرفت لأول مرة أن محل جورج دول العجوز لبيع الأدوات
الكهربائية هو محل قد تم اغتصابه والاستيلاء عليه عن طريق وضع اليد، شعرت
بقدر كبير من الحسرة والألم لذلك، فقد كان جورج صديقاً لى إلى أن عرفت أنه

يغتصب الممتلكات العامة ويستولى عليها عن طريق وضع اليد، وقد حدث ذلك من حوالى ثمانية عشر شهراً مضت، فأنا لا أحب المغتصبين، ولا أحب الاستيلاء على المحلات عن طريق وضع اليد، فما الذى يمنعك من العمل ودفع الإيجار، إنهم مجموعة من الأوغاد الذين يحبون أن يعتقدوا أنهم ينتمون إلى الطبقة الدنيا من المجتمع، لكن أغلبهم من النصابين، أما أغلب الأشخاص الذين أعرفهم فهم يعملون لكي يستطيعوا أن يعيشوا.

وكان لدى فى البداية بعض الشكوك حول هذا المحل وأنه مختلف تماماً عن الأنماط المعتادة من وضع اليد، وذلك بسبب تلك اللافتة الصغيرة الموضوعية على البوابة الأمامية للمحل التى تعلن أن المحل قد تم الاستيلاء عليه بوضع اليد وأنه قد تم إخطار الشرطة بذلك، لكى يحموا أنفسهم إذا ما قام أى شخص من الحثالة بإبلاغ الشرطة بما يفعلونه، لذا كان يمكنهم الاستمرار فى العمل حتى لو وشى بهم أى شخص وأبلغ عنهم الشرطة، أنا أقصد هل يمكنك تصور ذلك وتصنيفه مع أى نوع آخر من أنواع الجرائم؟ مجرد لافتة صغيرة مكتوب عليها: هذا البنك سوف تـم سرقة غداً فى الساعة الحادية عشرة صباحاً، وسوف يضع رجال الشرطة أيادهم على خوذاتهم قائلين كله تمام يا أفندم، ولا توجد أى مشاكل لمجرد أنك قد وضعت لافتة صغيرة تعلن فيها عما تنوى فعله.

وبعد عدة أيام قلائل ظهر بشكله المعتاد وحذائه الكبير ذى الرقبة الكبيرة، الأكبر من مقاس قدمه بحوالى درجتين، وقصة شعره الموهيكان (قصة شعر الهنود الحمر ذات الخصلة الممتدة على طول الرأس وحلق باقى الشعر تماماً)، وأخذ ذلك الشخص يدخل ويخرج فى حركة مستمرة مثل الفأر، وقد اعتقدت فى داخل نفسى أنه يوجد لديه أكثر مما يبدو عليه، ولكن عندما رأيته يخرج، أدركت فى الحال أن

ذلك الشخص الذى رأيته كان ريتشارد، فقد كان يرتدى حلقاً فى أذنه يظهر واضحاً من خلال شعره المملوق على الجانبين مثل الموهيكان، كما أن شعر رأسه كان طويلاً فى المنتصف ومحلوفاً على الجانبين، ولكنه كان أكبر فى السن كثيراً من الآخرين، ربما كان فى أواسط العشرينيات بينما كان الآخرون فى سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة، وكنت واقفاً عند عتبة دكانى أراقب الشارع عندما ظهر مبتسماً لنفسه، أغلق الباب خلفه وانصرف، وهو لا يزال مبتسماً نصف ابتسامة للرياح والمباني، لقد كان هذا هو ريتشارد كما أتوقع.

تركت إدارة المحل لزوجتى وتبعته، وكنت مهتماً للأمر؛ لأن محل جورج دول كان ممثلاً بالبضاعة ولم يكن لجورج دول أى أقارب على حد علمى، ولكن لا بد أن يكون لهذا المحل صاحب ومالك معروف.

وكنت مهياً للغضب ومستعداً له، ولكزته على معدته، وقلت له: "أنا لا أعرف لماذا أزعجت نفسك بترك المنزل"، ولكنه لم يفعل أى شىء سوى أنه فتّح فمه لتزداد ابتسامته اتساعاً، ثم قال لى: "يسرنى دائماً وجود علاقات طيبة بينى وبين جيرانى"، وأضاف: "هل يمكننى مساعدتك أو عمل أى شىء من أجلك؟".

قلت: "ربما"، ثم أخبرته عن البضائع والأدوات الكهربائية، فدعانى إلى تناول فنجان شاي معه، ودفعنى إلى الداخل، وكنت أفكر فى أن أولئك الأوغاد الذين كانوا يقومون بالاستيلاء على المحلات لم يكن لديهم أى شىء ليفعلوه سوى التدخين ومراقبة القاذورات وهى تتكاثر على سطح الثلجة، ولم يكن لديهم أى شىء آخر مطلقاً لى يفعلوه من أجل أى شخص.

وقلت له عندما كان يفتح الباب: "إنك تفهم سبب انزعاجى بالطبع".

فرد قائلاً مفتخراً بنفسه: "طبعاً، فأنا لا أحترم القيام بالسرقة"، وقد جعلنى ذلك أحتاط قليلاً، فقد قمت ببعض السرقات فى حياتى، ولكنى لم أخبره بذلك أبداً بالطبع.

كنت أعانى من ضغوط كثيرة، فقد تم تغليف كل الأدوات الكهربائية ووضعها فى صناديق وكتابة الماركات والأسماء عليها بكل أناقة، ثم تم رصها وتخزينها فى غرفة صغيرة خلف المحل.

قال لى: "يجب أن أعترف أننى كنت أقوم بسرقة التيار الكهربائى عندما أضىء الكهرباء، ولكننى غيرت كل ذلك الآن"، ثم نظر إلى الباب وابتسم فى سعادة.

قلت له: "لكنك بالرغم من ذلك لم تقم بالسطو على منزل أى شخص"، فرد قائلاً: "ليس عندما يكون المكان خالياً والناس نائمين فى الشوارع، إن الملكية الخاصة تعتبر مفهوماً غريباً بالنسبة لى نوعاً ما".

وظننت أنه سوف يلقي على محاضرة طويلة، لكنه أغلق فمه وأشعل غلاية الشاي، ولو كان الأمر بيدى لكنت قد بعت كل هذه الأدوات الكهربائية بمنتهى السرعة قبل أن نتمكن من عد واحد اثنين ثلاثة، ولكن ريتشارد كان أميناً وعلى خلق، وكان يعتقد أن الاستيلاء على المحلات بوضع اليد، وليس سرقة البضاعة، هو الذى سيغير المجتمع، وهذا الأمر هو الذى جعله يبدو سعيداً وأنا أقبل دعوته لتناول الشاي، كان يعتقد أنه لو كان لديه عدد كاف من الناس مثلى يساندونه ويقفون بجانبه لاستطاع أن يسقط البرلمان غذا.

كان ريتشارد يعمل فى محل دراجات فى طريق أشلى، ولكنه كان يعمل فى وقت الفراغ فقط؛ لأنه كرس معظم وقته لفتح الساحات لإيواء الشباب المشردين فى الميادين، وكان يقوم بالكثير من الأعمال، اقتحام الساحات وإعداد التوصيلات الكهربائية وتجهيزها أو كتابة اللافتات الصغيرة أو إبلاغ الشرطة، ويظل مقيماً مع الشباب فى الساحة لعدة ليال حتى يطمئن إلى عدم وجود أى مشكلات، ثم يذهب إلى بيته لعدة ليال حتى تأتى المهمة التالية فيقوم بافتتاح ساحة أخرى للشباب.

وغالبًا ما كان يساورنى شك كبير بالنسبة لأكل أى شىء من أى ساحة من تلك الساحات، وهذه الساحة الأخيرة بالذات كانت مثيرة للاشمئزاز، ولكنها أصبحت متميزة جدًا ومألوفة بالنسبة لى منذ أن قام ريتشارد بإعداد الشاى لنا فيها. قلت له: "إنك لا تتوقع أن أتناول أى شىء هنا، أليس كذلك؟".

ودعكت أصبع قدمى بقطعة من الفحم الموجود على الأرض، وقلت "إننى لن أفتح حتى قالب شوكلاته هنا".

وكان ريتشارد يرتدى رداء أبيض فضفاضًا، وكان الرداء نظيفًا جدًا بقدر قذارة المكان.

وقال ريتشارد: "لا تقلق يا سكولى، لقد أحضرت كل شىء حتى قدور الطهو، لن أطعمك لحم خنافس".

سألته: "هل يعيشون جميعًا بمثل هذه الطريقة؟".

فأجاب بارتباك "إن هذا الأمر بالذات يعد شيئًا سيئًا"، وبدأ تعيسًا وغير سعيد بذلك، استطعت أن أرى واحدًا أو اثنين من أهل المنطقة يحملون فينا ويتبادلون

نظرات غير مريحة، فقال ريتشارد بصوت مرتفع: "إن ذلك يضيف على تلك الأماكن التي يتم الاستيلاء عليها سمعة سيئة".

وقطّب الأشخاص الموجودون وجوههم، وظهرت عليهم علامات التجهم، وغادروا فرادى المكان.

جلست على مقعد ذي ذراعين على جانب طاولة المطبخ وأخذت أنتظر، كان دافيد واقفاً في أحد الأركان، وعيناه تكادان تقفزان من رأسه وهو يحاول أن يحيط علماً بكل ما يحدث وبكل شيء في لحظة واحدة، ولم يستطع أن يبعد عينيه عن ريتشارد، وكنت قد أخبرته في الطريق عن هوية ريتشارد، وكان مقتنعاً تماماً بأن ريتشارد ينبغي أن يصبح الرئيس التالي للوزارة، وقال باندفاع: "أعتقد أن ما تفعله شيء خيالي، وأدعو لك بالخير والبركة".

أجاب ريتشارد وهو ينحنى على النافذة: "شكراً لك يا دافيد، ستكون سعيداً عندما نسمع أننا سنقوم بافتتاح ساحة جديدة هذه الليلة في منطقة فيرجين".

بدأ الفتى المسكين خائفاً لبرهة حتى ظننت أنه سيغمى عليه وينهار تماماً، ولكنه بدأ بعد ذلك في الارتعاش والإشارة إلينا بصورة متعمدة، اعتقدت... ااااه ه... جميل، لأن نصف الفتيان الذين يقومون بالاستيلاء على الممتلكات كانوا عبارة عن نموذج كبير للتخريب، ولكن المسكين دافيد العجوز لم يخالف القانون أبداً في حياته، ويمكنك أن تدرك ذلك بمجرد النظر إليه.

رأيت اثنين من أهالي المنطقة، وكانا يبدوان أكبر قليلاً من الفئران، وقد رأيتهما يدخلان ويخرجان من المحل، وقام ريتشارد بتقديمهما إلى دافيد باعتبارهما من جيرانه الجدد قائلًا: "هذه فونى وهذا جبرى، إنهما فوضويان".

قال ذلك وهو يعبث بمفتاح نور المطبخ، وابتسم ابتسامة عريضة، لدرجة أننى اعتقدت أن أسنانه ستقع خارجة من فمه، رأيته وهو يراقبنى من طرف عينه لكى أرى رد فعله، وقد بدا الفتى محرجًا، وأومات فونى برأسها وصافحتنى بأدب ودعتنى لتناول المشروب معهما، فقبلت أن أشرب معهما علبة بيرة.

ذهب دافيد لمساعدة ريتشارد فى تجهيز البرجر، وبعدها دخلا فى مناقشة عميقة حول الساحة والفوضوية وحرية الفرد فى أن يخترق القانون والكثير من مثل هذه الموضوعات.

كان البرجر ظريفًا حقًا، وقد اعتنى ريتشارد بتجهيزه جيدًا لدرجة أن قطع البرجر استوت ونضجت بدون أن تحترق حوافها، وأخذت قطعتين من البرجر، وشكرته على ذلك.

وأخبرته: "إنها ليست سيئة باعتبارها صناعة منزلية".

فقال وقد أراد أن يعرف: "هل هى فى مثل جودة ماكدونالدز".

أجبت: "ليست سيئة المذاق ولكن قطع اللحم تتفكك إلى قطع صغيرة مما يجعلها أقل جودة من ماكدونالدز".

فعلق قائلاً: "أعتقد أن ماكدونالدز يستخدم اللحم فى إعداد البرجر"، قال ذلك وهو ينظر إلى السقف.

سألته قائلاً: "وأنت ما الذى استخدمته أنت فى عمل البرجر يا ريتشارد؟".

أجاب: "آه، بروتين الصويا، فأنا نباتى، ألا تعرف ذلك؟"، لقد كان واثقًا من نفسه إلى درجة التكبر والتفاخر، لذا أكلت هذا الشيء الذى أعده، كان فخورًا بنفسه فعلاً، وقد أصبحت أعتقد أننى فى طريقى لأن أصبح فوضويًا، لقد أكلت برجر

الصويا الآن ولم أهتم، ولكن شكلي لن يبدو جيدًا لو وضعت هذا الحلق في أذني وحلقت شعري على طريقة قصة الموهيكان الممنوعة.

لم أستطع أن أخبره أن زوجتي تستخدم الصويا بانتظام، ولم أعرف كيف نجحت في تدبير مسألة إنهاء مصاحبتى له في تلك الليلة، فقد كان ريتشارد مسرورًا جدًا، وادعى أن سبب سروره هو أنه نجح في تهيئة كل الظروف المناسبة لسكان الساحة الجديدة، ولكن سبب سروره الحقيقي أنه كان يعتقد أنني في طريقي لأن أتحوّل إلى واحد منهم.

ولعلك تتساءل، لسبب ما، ما الذي يمكن أن يقدمه رجل مثلي ينتمي لحزب المحافظين من مساعدة لمن يقومون بالاستيلاء على ممتلكات الآخرين، ولو كان الأمر بيدى لكنت قد أعدت جميع هؤلاء الزنوج إلى أوطانهم الأصلية، لم لا؟ إن لديهم ثقافتهم الخاصة ونحن أيضًا لدينا ثقافتنا، آه لو عرفت عدد الأشخاص الذين نزحوا إلى هذه المدينة، مدينة بريستول منذ عشرين عامًا مضت، إنني أعرف هذا الرقم وأعرف عددهم، لقد نزحوا إلى هذه المدينة وعملوا بها في ظل نظام الضمان الاجتماعي، وباستثناء رجال السياسة، فنحن جميعًا نخترق القانون بطريقة أو بأخرى، فرجال الشرطة يخترقون القانون ورجال القضاء يخترقونه، ورجال الأعمال يخترقونه، حتى أنت تخترق القانون، وكذلك أنا، فكوني وطنيًا لا يعنى أنني شخص مثالي، لقد سمعتك تتساءل: "كيف أخالف القانون؟"، من الحكمة ألا تعرف أكثر من اللازم يا صديقي، إن الحكمة هي أن تعرف بقدر استطاعتك فقط، والأمر الأكثر حكمة هو أن تجعل أى فرد آخر غيرك جاهلاً جهلاً تاماً، وكان الشيء الوحيد الذى أخذه على الحركة العمالية هو أنها حركة قانونية، أقصد أنه من العدل أن يكون هناك قانون ضدها، فهناك قانون ضد كل شيء آخر، وإذا أردت

مخالفة القانون فما عليك إلا أن تعمل بطريقة عادلة، وسوف يتيح هذا الفرصة أمامهم للقبض عليك.

كانت الساحة الجديدة عبارة عن منزل كبير ذى تراس جميل يطل على موقع جذاب على بعد شارعين فقط من مونتيلاير فى نهاية سان بول، له حديقة كبيرة جميلة، وغرف كبيرة واسعة، كان أكبر من المنزل الذى نقيم فيه وكان يمكنك رؤية الفتیان من أهل المنطقة وهم يحطمون بعض النوافذ ويدخلون إلى المنزل.

كنت أحس بأننى مثل رجل عجوز، وكان الفتیان يذهبون هنا وهناك ويقفزون على الحوائط والأسوار، ويضعون الناضورية للمراقبة على طول الطريق، بينما كان ريتشارد يحاول تلمس طريقة للدخول، وكنت أتلقت حولى ويدأى فى جيوبى، وقد جعلنى دافيد أضحك عندما كان يحاول الاختباء خلف صندوق القمامة.

أقصد ما الذى تفعله إذا رأيت شخصاً ما يختبئ خلف صندوق قمامة فى الساعة التاسعة ليلاً؟، وقفت إلى جواره وسألته: "ما الذى تفعله هنا بالضبط؟"، فهمس ريتشارد قائلاً وهو يشعر بالفرح: "أعتقد أن من الأفضل أن تخفض رأسك قليلاً يا سكولى".

فقلت له: "إذا لم أستطع شق طريقى إلى الخارج فمن الأفضل أن أموت".

أخذ يفكر فيما أقوله، وما توصلت إليه فى تلك الليلة من استنتاجات عميقة، ولكنها لم تكن استنتاجات دقيقة تماماً، وقد أصبحت الآن عندما أقوم بأى عمل يبدو كأنه فى مكانه الصحيح، ولكن كل الفوضويين كانوا يلبسون ملابس مهلهلة مثل

ملابس العمال، وكنت أبدو فى ملابسى هذه مثل بائع التبغ، كما كنت أبدو عصبياً أيضاً لأننى لم أقم بعمل أى شىء مثل هذا منذ سنوات، ويعلم المسيح ما الذى ستقوله زوجتى إذا تم القبض علىّ فى هذه الليلة.

استغرق ريتشارد وقتاً طويلاً لفتح النافذة مما جعلنى أتحرك لكى أساعده، ولكن ظهرت عليه بعض علامات الانزعاج وقال لى: "ستجعلهم يقبضون علينا يا سكولى"، ثم همس فى صوت هائج: "اخفض رأسك"، قال: "لقد أتيت لأقول بعض النصائح فقط..." ولكنه لم يكن لديه أى شىء ليقوله، ونادى على الفتاة فونى لتأتى وتعتنى بى، وقد حاولت أن تجعلنى أنحنى، ولكنى لم أفعل ذلك لأى شخص من قبل، لم يحدث أبداً أن قام أى شخص بإجبارى على فتح النوافذ واقتحام المنازل من قبل.

وأخيراً نجح ريتشارد فى فتح النافذة، وكنا نشعر ببعض القلق عند مرور أى شخص فى الشارع، لدرجة أنه كان يجب علىّ أن أختبئ خلف كابينّة التليفون الموجودة فى الشارع، وكان أى شخص يسير فى الشارع ينظر إلى النافذة المفتوحة، ولكن بعض الناس لم يهتموا لما كنا نفعله، ثم تسلقنا جميعاً النافذة إلى الداخل، واحداً بعد الآخر، وكانت أنفاسى منقطعة إلى حد ما وأنا واقف خلف ريتشارد الذى جذبنى إلى أعلى لكى أستطيع المرور عبر إطار النافذة، ثم قمت بإصلاح إطار النوافذ وجعلتها متشابكة معاً بعد أن أصبحنا جميعاً فى الداخل.

كان المنزل بالداخل مظلماً تماماً، وكان الجميع يتحدثون فى همس، وأخذ ريتشارد فى البحث عن كشافات النور، وهمس قائلاً: "لا تجعل المارة فى الشارع يرون أى ضوء فى المنزل"، ثم بدأ فى توزيع المهام على ضوء الكشافات بعد أن تأكد أن جميع النوافذ كانت مغلقة، وأخذ يتفحص الغاز ويحاول التأكد من أنه يمكننا

فتح الباب الخلفى، وقمت بإشعال سيجارة، وأخذت أتطلع إلى الشارع من خلف إطار النافذة، نهزنى ريتشارد قائلاً: "هل يمكنك عدم التدخين أمام النافذة" فأجبت: "ماذا هناك، نحن بالداخل، أليس كذلك؟".

رد قائلاً: "من الأفضل لنا أن نظل مختبئين هنا لعدة أيام حتى نستكمل إعداد المكان ونهيئته، وكلما طالّت مدة بقائنا هنا قبل أن يعثروا علينا كلما زادت فرصتنا فى الاستيلاء على المكان"، ثم تركنى وذهب، فصعدت السلم لكى أستكمل تدخين سيجارتي.

من كان يظن أننى سوف أفتح بيتاً لا يوجد به أى شىء يمكن سرقة، وقمت بالتجول داخل المنزل قليلاً، ولكن فى حقيقة الأمر لم يكن يوجد به أى شىء، وذلك يظهر الوجوه المتعددة والمتغيرة للجريمة، فقد كان الناس فيما مضى لا يفكرون أبداً فى سرقة منزل خال من أى منقولات وقد أصبحوا اليوم يسرقون المنزل نفسه، وذلك بدون أن يقوموا حتى بتحريكه من مكانه.

وكان جيرى يضع الشموع فى الزجاجات ويرصها على درجات السلالم، وفى جميع الحجرات، وقام ريتشارد فى الحال بإحضار بعض الأباжورات، ولكن لم يكن مسموحاً لنا إشعال الأضواء لكى لا يرانا أحد، وقد بدأ ريتشارد مع جيرى فى الإسراع بالدخول والخروج من الباب الخلفى حاملين العديد من الصناديق والحقائب والأكياس حتى امتلأ بها المكان، وكان هدفنا من ذلك هو الإسراع بتهيئة المكان وتأسيسه بقدر الإمكان، لأنه سيكون من الصعب عليهم أن يخرجونا من المنزل وهو مملوء بأغراضنا الخاصة، وذهبت لكى أرى كيف تسير الأمور مع دافيد، ولكى أودعهم قبل أن أغادر المكان، وكان دافيد فى المطبخ مع فونى فى

الطابق الأسفل، وقد قام أحدهم بإحضار صندوق من ورق الكرتون مملوء بمعدات الطهي والأواني والأطباق وغلاية الشاي وبعض الدقيق وبعض الزيت وغيرها من المواد الغذائية، وقام جيري بإشعال موقد الطهو وإعداد فنجان من الشاي.

كان المكان كله يبدو ظريفاً على ضوء الشموع، وكنت أعتقد أنهم قد جاءوا إلى هنا منذ نصف ساعة فقط لكي ينظفوا المنزل، وكان يوجد مقعد قديم بجانب الحائط فجلست عليه قائلاً: "حسناً يا دافيد"، رد دافيد: "هذا خيالي يا سيد سكولي".

- "سكولي".

- "أنا لم أجد في حياتي أي مكان مثل هذا المكان، كما أن الناس...".

أعتقد أنه قد شعر بالخجل قليلاً عندما صحبت له قوله قائلاً: إنهم ليسوا أناساً بل إنهم فوضويون، إنهم جميعاً مسلون".

سألت فوني: "هل ترغب في فنجان من الشاي يا سكولي؟".

أجبتها: "شكراً".

قال ريتشارد: "ما رأيك في هذا؟"، قال ذلك وهو يعرض على بعض المخدرات، فنظرت إليه من طرف عيني، وشعرت أنني كنت منجذباً لذلك، وقلت له: "إنني لم أفعل ذلك منذ عشرين سنة".

فرد ريتشارد قائلاً: "استرجع شبابك المفقود إذن"، فقبلت عرضه وأخذت جرعة وشعرت بأن ذلك كان لطيفاً وأخبرته قائلاً: "لقد كنت معتاداً على تعاطي الكثير من هذه الأشياء أثناء خدمتي في الأسطول البحري، فقد التحقت بالأسطول التجاري لمدة خمسة أعوام عندما كنت شاباً".

فقال ريتشارد وهو ينحنى احترامًا: "إن ذلك جزء من تقاليدنا البريطانية العظمى لتناول المخدرات".

أخذت عدة أنفاس من الهواء النقي قبل أن أستشق ذلك الشيء الذى قدمه لى ريتشارد فى داخلى، ونادرًا ما كنت أشعر بالندم على أى شىء فعلته فى حياتى، وقد اعتدت أن أحب هذه الأشياء فعلاً فى شبابى، ولا أدرى ما إذا كانت هذه المخدرات التى أتناولها أقوى مما كنت أتناوله من قبل، أم أننى أنا الذى أصبحت أضعف الآن، وتناولت قطعة حلوى لكى أغير طعم المخدرات فى فمى، وبدأت فى سماع الناس وهم يهبطون السلم، وكنت أشعر بأن زوجتى ستأتى وتقبض علىّ وأنا جالس فى هذه الغرزة أدخ الحشيش مع هؤلاء الشباب الصغار، وكنت أعتقد أنها ستجن إذا علمت بذلك برغم أننى أعرف أنها كانت على بعد عدة أميال فى زيارة إلى "دورمين".

وأخذت أنساءل لبرهة قصيرة ما الذى كان يحدث من حولى حتى أدركت أن ذلك الشعور كان بسبب تأثير تلك السيارة المحشوة بالمخدرات التى تناولتها، وشعرت بأن قلبى وقتها كان ثقيلًا كما لو أن عشرة أطنان من الفحم قد سقطت علىّ من فوق ظهر لورى، فأغلقت عيني وسمعت ريتشارد يسألنى عما إذا كنت على ما يرام، ولكننى تظاهرت بالنوم لأننى لم أعرف ماذا أقول له، كنت أعتقد أنه كان يمزح، وشعرت بالتحسن مع مرور الوقت، واستطعت فتح عيني والنظر حولى، كان جبرى وفونى ودافيد يجلسون جميعًا على الأرض ويدخنون المزيد من المخدرات لكن ريتشارد كان قد اختفى، وشعرت بالرعب وكأن الغرفة كلها كانت مليئة بالديدان، وكان الشباب جميعًا يتناولون الشاى، ورأيت فنان الشاى الخاص بى موضوعًا بجوارى وهو نصف بارد، ورأيت الفتاة شبه العارية جبرى تنظر

إلى، وهم جميعًا يضحكون، قلت: "ها... اللعنة... ها"، كنت منزعًا إلى حد ما، فأبنتني لم أت إلى هنا لكي تسخر مني هذه الحثالة من الفوضويين، وعلى أية حال فأبنتني لم أقصد أى شيء غير أن أطلق عليهم اسم "الفوضويين".

ظللت فترة أراقبهم، وشعرت أنهم كانوا جميعًا بخير، على ما يرام أفضل من المجموعة الموجودة في محل جورج دولي، وخمنت من الطريقة التي كان يعامل بها ريتشارد هذين الشابين أنهما كانا من أصدقائه المقربين، وكانا يعاملان دافيد بمنتهى الرقة ويستمعان له عندما يتحدث، ويتحدثان معه بجدية، ولا بد أنهما كانا في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من العمر، ولا يمكن أن يكون عمرهما أكثر من ذلك... أنا لا أعرف بالضبط ربما كان أربعة عشر أو خمسة عشر عامًا.

استيقظت وقمت بتنظيف بنطلوني، وسألت دافيد: "ماذا تعتقد بشأن هذا المكان"، فقفز واقفاً على قدميه باحترام كما لو أنني كنت الملكة الأم، وقال: "شكرًا يا سكولي، إن ذلك عظيم جدًا..."، ثم التفت إلى الشباب الجالس على الأرض وابتسم بخجل، ثم قلت: "خذ"... وقذفته بعلبة سجانر، وقلت يمكنك استخدام هذه السجانر لإعداد لفافات تدخنها مع أصدقائك الجدد، ولاحظت أنه كان يدخن إحدى اللفافات، وقد بدا عليه أنه كان مستمتعًا بها.

أخذ دافيد السجانر ونظر إليها في شك كأنه يتساءل عما يمكن أن يقوم بعمله، وفي هذا الوقت ظهر ريتشارد، فقلت لريتشارد: "ابحث لك عن زبون آخر"، فأخذ ريتشارد في الضحك، ولكن لم يكن يبدو عليه أنه كان سعيدًا، ولم يكن ريتشارد يهتم كثيرًا لمسألة فقدانهم لوعيتهم من هذه المخدرات، ولكنه كان معترضًا على كثرة الكميات التي كانوا يدخنونها.

قمت بمحاولة أخرى لمغادرة المكان وصاحبني ريتشارد إلى السلم وقال لى: "ستكون أول شخص يغادر هذا المكان الجديد من الباب الأمامى"، ثم فتح الباب لى وكنت لا أزال فى حالة دوار، وعندما قفزت خارج المنزل كانت رائحة الهواء النقى منعشة، وعندما وقفت فى الممر رأيت سيدة تمر هناك، كنت أعرفها، أنها السيدة "مارى وولدى"، فابتسمت لها وحييتها قائلاً: "مساء الخير يا مارى"، ولكنها نظرت لى ولريتشارد ثم أكملت سيرها، وهى تحجل وكأنها أبو جلمبو يسير على ساقين، وقال لى ريتشارد: "إذا رأيت المزيد من هؤلاء الشباب الذين يحتاجون إلى مأوى فأرجو أن تخبرنى"، فردت عليه: "أنا لم أر أى حالات تستحق ذلك"، فرد ريتشارد فى أسى: "إنهم يملأون الشوارع"، وكان ريتشارد مهتماً لأن يحصل كل فرد على حقه، وإذا حصل عليه فإنه لا يكون قد اغتصبه من أحد.

وقلت له وأنا أعانى من الألم: "هذه اللقافة اللعينة قد قتلتنى تقريباً".

فرد وهو يشعر بالأسى من أجلى: "أوه، إننى لم أكن أقصد ذلك".

قلت له: "كنت أشعر بأن زوجتى ستخرج من تحت الأرض وتصعد نحوى، لقد كان ذلك كابوساً".

ضحك ريتشارد قائلاً: "إنها امرأة قوية".

أدركت ذلك هذه الليلة فقط، ثم انتفض كالملدوغ حين تذكر أننى قد مررت بأوقات صعبة وقال: "أنا أسف لذلك".

- "لا عليك فإن كل شىء على ما يرام، لقد تعلمت الدرس تماماً"، قلت ذلك له لكى يعرف أنه يحاول دفعى لكى أصبح فوضوياً، وقد بدا بانساً؛ لأنه شعر بأنها خطوة أخرى للخلف بعيداً عن تحقيق النظام العالمى الجديد، فأعطيته قطعة

شوكولاته وودعته، فقال لى: "أوه، لا... أنا لا أستطيع تناولها لأنه يوجد فيها شحوم حيوانية وأنا نباتي".

فقلت له: "جرب أن تدخنها، فهي ستقضى عليك"، فانفجر ضاحكاً، وكاد يقتل نفسه من كثرة الضحك على هذه النكتة.

لم أر دافيد كثيراً بعد ذلك، اختفى من الشارع تماماً، وكنت أعتقد أنهم كانوا يعتنون به، فقد كان دافيد من ذلك النوع القادر والمتمكن من الفتیان برغم مظهره الهادئ، وأنت تشعر أنه كان يستطيع دائماً أن يجد شخصاً من يقوم برعايته ويكون لديه الوقت الكافى للتفرغ له.

كنت أنوى أن أعود لإلقاء نظرة عليهم مرة أو مرتين بعد ذلك، لكننى شعرت بفتور تجاه ريتشارد بعد ذلك بوقت قليل، وقد سمع بعض المعارف الذين أدين لهم بالجميل عن البضاعة والأدوات الكهربائية الموجودة فى محل العجوز جورج دول، وقد كان يوجد به بعض البضائع الجيدة مثل أجهزة الهأى فای وفيديوهات وتليفزيونات وبعض الأشياء الرخيصة الثمن التى ليس لها قيمة عالية، وقد ذكرت لهم هذا بالفعل، وأنا متأكد أن ريتشارد قد بذل قصارى جهده لكى يقتنع هؤلاء الفتیان الفظيعين ألا يلمسوا هذه البضاعة، ولكن فى الحقيقة فإنه، ينبغى أن يكون لديك قوة ريتشارد لكى تستطيع ترك هذه الأشياء كلها بدون أن تمسها الأيدى بسوء.

وعلى أية حال فقد قرر أصدقائى هؤلاء أن يحرروا أنفسهم مما التزموا به قليلاً، وأتى أحد أولئك الفتیان وحاول سرقة بعض هذه الأجهزة لكنه تلقى علقه ساخنة وفقد اثنتين من أسنانه، وقد أغضب ذلك ريتشارد جداً، وعندما قابلنى فى

الطريق أخبرني بكل ما حدث، وكانت عيناه تدمعان تقريبًا، وكان نوعًا من الغباء مني أن ألمح إليه بأنني قد علمت بكل شيء عن ذلك.

حسنًا لقد حاول الفتى أن يغتصب ممتلكات شخص آخر، فما معنى التظاهر بالتقوى والورع أمام شخص يمكن أن يفعل ذلك؟، أنا لا يمكنني تحمل هذا النوع من النفاق، وأعرف الكثير من الناس الذين يتظاهرون بأنهم يتألمون ويتأوهون لسوء حال العمال طوال الليل، وهم في الحقيقة أناس يتسمون بقدر كبير من الذناء وسوء الخلق، وبقدر علمي فإن هذا الفتى قد تعلم درسًا مفيدًا، وكذلك هؤلاء الفتيان الذين يعيشون بلا مأوى.

كان اتصال دافيد الضعيف جدًا بالعالم الحقيقي سببًا قويًا لتزايد قوة الخير في داخله، ولكن كما قلت من قبل فإن ريتشارد كان غاضبًا جدًا، ولم أكن أعرف ما الذي كان يريد مني ريتشارد أن أفعله، هل أطلب الشرطة، وأخبرهم بموعد قيام هؤلاء الفتيان بالسطو على المحل؟ ولكن هذا يمكن أن يكون صفة قوية على وجه هؤلاء الفتيان، لا تقل لي إنهم يمكن أن يكونوا قد أخذوا البضاعة أو أن أباعد عنهم، لأن كونك صديقًا لمثل هؤلاء الأشخاص ليس كافيًا لجعل الناس يحبونك، ويجب على المرء أن يكون دائمًا إلى جانب الشيء الصحيح...

(٥)

تار

كنت أعيش أفضل لحظات حياتي وأكثرها حظاً في تلك الأيام.

ليس بالنسبة للمنزل الذي كنت أعيش فيه فقط ولكن بالنسبة للناس أيضاً، فقد كانوا رائعين جداً منذ البداية، خاصة بالنسبة لريتشارد، وذلك منذ أن سألوني عن عمري فقلت لهم بدون أدنى تفكير: "سنة عشر عاماً"، وكانوا جميعاً جالسين في شبه دائرة يشربون البيرة ويدخنون، ولكنني شعرت بالضيق بعد ذلك لأنهم كانوا جميعاً ثلة واحدة ومتفاهمين بعضهم مع بعض... بينما كنت أنا أقول لهم هذه الأكاذيب الغبية، فاستجمعت شجاعتى وانطلقت أقول: "إننى فى الحقيقة لست فى السادسة عشرة، لكننى فى الرابعة عشرة من عمري فقط"، فقال ريتشارد: "آه يا عزيزى"، وقد بدا شاحباً تماماً، وكنت متأكداً من أنه سيأمرنى بمغادرة المكان فى الحال، لكن الأمور كلها انقلبت رأساً على عقب عندما شعر بصدمة شديدة لأن والدى كان يضربنى ضرباً مبرحاً وأنا لم أكد أبلغ الرابعة عشرة بعد، وأشار جبرى قائلاً: "هذا يعنى أنه لا يمكنه التوقيع على عقد عمل".

فتوسلت إليهم قائلاً: "كنت أعيش على التسول والآن أنا أريد أن أجد عملاً".

ولكنكم لا يمكن أن تتخيلوا ما الذى قاله ريتشارد، فلقد قال: "سيحتّم عليك أن تعيش متطفلاً علينا لمدة عامين".

لا أعتقد أن جبرى قد أحب ذلك كثيرًا، ولكن فونى قالت بسرعة: "إن وجود طفيلي آخر لن يفرق معنا فى شيء".

هل تصدق هذا الأمر، لقد جعلونى أشعر بأننى أستطيع الوقوف على قدمى مرة أخرى وأنهم قد أحببوني فعلاً، لقد أرادوا أن يعولونى على الرغم من أنهم ليسوا أغنياء أو أى شيء من هذا القبيل، وكانوا جميعًا يغنون معًا ما عدا ريتشارد الذى عرض على أن يقوم بإحضار بعض الأشياء التى يمكن أن أقوم بعملها لمحل الدراجات الذى يعمل فيه.

كنت سعيدًا جدًا، أقصد... أنهم لم يكونوا يعرفوننى من قبل، وكان يمكن أن أظل قابعا فى مدينة بريستول مئات السنين دون أن أجد مثل هؤلاء الأصدقاء، وحتى جبرى جاء إليهم وكان مختلفًا قليلاً عن الآخرين، ولكنه ابتسم بعد ذلك قائلاً: "ربما استطعت تعليم تار بعض طرق سرقة المحلات"، ثم غمز لى.

قال ريتشارد: "آه، أعتقد أن ذلك لن يكون فكرة جيدة"، ثم أضاف وهو يميل على الثلجة، "لو تم القبض عليه، فإنهم إما أن يعيدوه إلى منزله، أو أن يرسلوه إلى دور رعاية الأحداث، ونحن لا نريد له ذلك بالطبع، أليس كذلك؟"، وبدأ فى الحديث حول إمكانية كسب بعض النقود، وكيفية الحصول عليها، ولكننى أخذت أفكر فى جيما فجأة، فقد أدركت... أننى قد وجدت مكانًا لنا للعيش فيه معًا! يمكنها أن تأتى إلى هنا وتقيم معنا، وسوف يساعدونها كما كانوا يساعدوننى، وسيكون لدينا هذه المجموعة المتميزة من الأصدقاء، إنهم حقًا أكثر من الأهل، وسيكون الجميع هنا فى انتظارها، وقمت بإخبارهم بكل شيء عنها وبمنتهى الصدق... حسنًا، لكن الأمر كان محبطًا قليلًا بالنسبة لى لأنهم لم يبدوا اهتمامًا شديدًا لذلك،

كان هذا بسبب خطئى أنا لأننى لم أكن متأكدا تماما أستأتى لمجرد الزيارة أم أنها سوف تقيم معنا، وقد طلبت منهم أن يساعدونى فى إقناعها بالبقاء معنا، وأخبرتهم بكل المشكلات التى تعانى منها فى منزلها، ولكن...

قال جبرى: "إننا نقصد أنك تطلب منها الكثير يا تار؟ أليس كذلك؟، فى حالة البقاء هنا فسوف ينبغى عليها أن تتوقف عن التعليم، وأن تبتعد عن والديها وعن كل شىء آخر من أجلك أنت...".

قلت: "إن الأمر ليس كذلك"، وأخذت أفكر هل كان الأمر كذلك فعلاً؟، وبدأت فى التحدث عن والديها مرة أخرى، ولكن فونى قالت: "أنا أيضاً لدى الكثير من الخلافات مع والدى، ولكن هذا لا يعنى أن أترك المنزل".

أحسست بالبؤس والقنوط إلى درجة كبيرة، فقد كنت أريد بشدة أن تأتى جيما وتعيش معى هنا، ولكنى لم أكن أنظر إلى الأمور بهذا الشكل من قبل، وبدأت أعتقد أننى إنسان أنانى جداً.

تساءلت فونى: "هل تريد بشدة أن تأتى جيما إلى هنا".

فقلت وأنا على وشك البكاء: "أنا أحبها جداً".

وسمعت جبرى يضحك فى استنكار، ولم أعرف لماذا لم يستطع أن يصدقنى، كما بدا الشك على وجه فونى أيضاً، لكنى أعتقد أن ريتشارد قد صدقنى.

قال ريتشارد واعدًا: "سوف نلقى عليها نظرة فأنت الآن واحد منا"، ثم ابتسم لى.

قاطعت فونى قائلة: "إنه فى الرابعة عشرة فقط يا ريتشارد".

قال ريتشارد: "يمكنك الوقوع في الحب في أى وقت يا فونى، وأنا دائماً أقع في الحب في سن الرابعة عشرة"، وضحك الجميع بعدها.

أخبرته فيما بعد أننى أريد الاتصال هاتفياً بوالدتى، وأنت تعرف لماذا أخبرتهم، لأنه لم يكن لدى أى نقود، فشاركوا جميعاً فى ذلك، وجمعوا لى جنيهاً بأكمله لذا استطعت أن أحظى بمكالمة طويلة مع أمى.

أنا أعرف ما الذى تظنه فى وفى أمى، لقد كان الناس جميعاً يعتقدون أن أبى أسوأ من أمى لأنه كان يضربنى دائماً، ولكن فى حقيقة الأمر كانت أمى أسوأ منه، لكننى كنت أكرهه لأنه كان يعقد الأمور ويجعل الأشياء دائماً تتراكم فوق رأسى، وبلوم أى شخص يحاول مساعدتى، كما أننى كنت أكرهه أيضاً لأنه كان يعاملنى أنا وأمى بطريقة سيئة جداً، وينظر إلينا وكأننا قاذورات، وأظن أننى أكره أمى أيضاً، وكانت المشكلة معها هى أننى أكرهها وأحبها أيضاً، وكان ذلك الحب والكره لها فى نفس الوقت يمزقنى، وقد اعتاد أبى أن يذهب إلى الحانة ويشرب كل ليلة، كانت أمى تشرب أيضاً كل يوم بدون أن يعرف أحد، حتى والدى لم يكن يعرف ذلك، لكنها كانت تشرب لكى تحتفظ بروحها المعنوية مرتفعة عندما تسوء حالتها، وكانت الأمور تسير على ما يرام، أقصد أن الأمور كانت سيئة ولكنها لم تكن فظيعة، وكانت أحوالها تبدو جيدة، ولكن سرعان ما ساءت حالتها بسبب الشرب المستمر، وكانت دائماً فى حالة انهيار وبكاء وتأوه، ثم وقعت فريسة للمرض.

كان يجب على والدى أن يراعى أنها مريضة، وأنها لم تعد قادرة على مواجهة كل هذه الأمور، لكن ذلك كان يجعله غاضباً طوال الوقت، وعند عودته إلى المنزل كانا يتشاجران وكانت أمى دائماً تصب عليه اللعنات والتهديدات، وكانت تلك المشاجرات والصراعات المتبادلة بينهما تصل إلى حد رهيب، وكانا يستخدمان

أساليب فظيعة فى الشجار والصراخ، وقد وصل بهما الأمر إلى حد التهديد بالقتل وتحطيم الأثاث والأواني بعنف فى النهاية، بعد أن كانا فى البداية يتشاجران فقط دون أن يلمس أحدهما الآخر سوى بالمصادفة.

كنت أحاول مساعدتها دائما عندما أعود من المدرسة، فأقوم بشراء لوازم المنزل وإعداد الشاى وتنظيف المنزل وإعادة ترتيب المكان على قدر الإمكان، وذلك لكى تبدو كأنها هى التى تقوم بهذه الأعمال، وإخفاء أنها كانت مستلقية فى السرير تشرب طوال الوقت كما كانت تفعل دائما.

كان أمر شربها سرا بينى وبينها، وكان من النادر أن نرى والدى فى البيت، لأنه كان يخرج فى الصباح ثم يعود للخروج مرة أخرى فى المساء، ولم يكن يهتم لأى شىء طالما أنه كان يجد عشاءه جاهزا، وكانت أمى تقول لى دائما ماذا كنت سأفعل بدونك، فقد كانت تعتمد على فى كثير من الأمور، وقد أحببت ذلك الأمر كثيرا، وكان يمكن للأمور أن تسير على ما يرام، لكن أمى كانت تحب دائما أن تلجأ إلى التحايل والأساليب الملتوية فى التعامل.

وبدأت فى عدم الاهتمام لأى شىء بعد ذلك، كنت أحاول أن أعاونها فى البداية، لكن... أخذت أمورها فى التدهور بشدة، فقد كنت أجدها عند عودتى من المدرسة ملقاة وهى شبه ميتة من كثرة الشرب، وبجانبيها كومة كبيرة من الملابس القذرة، وتطلب منى غسلها وكيها، وتظل تتوسل لكى أقوم بذلك لأن أبى سوف يغضب جدا إذا وجد ملابسه قذرة، ولم أكن أرفض القيام بذلك، لكنى كنت أعرف أنها سوف تتماذى فى استغلالى، وكان الشىء الذى يزعجنى هو أنها كانت تريد أن تخرج لتسكن خارج البيت ثم تجد كل شىء نظيفا ومرتبًا، وجميع لوازم البيت جاهزة وعلى ما يرام عند عودتها، وأى شخص يأتى إلى البيت يجب أن يجده

نظيفاً ومرتباً، أما فيما يتعلق بأى شيء يخصنى أو يخص والدى فإنها لا تفعل أى شيء ولا حتى ترفع إصبعاً.

بدأت هذه التصرفات السيئة من جانبها واعتمادها الكامل على فى كل شيء يسبب لى الكثير من المشكلات، وفى أحد الأيام كنت جالسا فى الفصل فى حصة الرياضيات أحاول كتابة قائمة المشتريات المنزلية، وقد ضبطنى السيد/ وبستر (مدرس الرياضيات) متلبساً بذلك العمل، وقال لى: "حسناً... أرى أنه يمكنك إجراء عمليات الحساب والجمع بشكل صحيح"، وخمنت بأنه قد أصبح على علم بالمشكلات التى أواجهها فى المنزل لأنه ابتسم وأعادها لى، لكن لا بد أنه قام بإبلاغ ناظر المدرسة أو أى شخص آخر على علاقتى بأمرى وأبى فى المنزل.

وعندما عدت إلى المنزل بعد هذه الواقعة بيومين كان الاثنان فى انتظارى، وهما شبه ميّتين من السكر، وكانا غاضبين جداً، وظل أبى يوبخنى لأننى كنت أعمل لصالحها وأجعلها تستغلنى مثل العبد، وأقوم بجميع الأعمال المنزلية، وأشجعها على التماذى فى الشرب بدلاً من قيامها بواجباتها المنزلية، وذلك على حساب دراستى وأداء واجباتى المدرسية وتعطيل تعليمى، وكانت أمدى تصرخ فى أبى طوال الوقت لتدخله بينها وبين ابنها، وتظل تخبرنى بمدى اعتمادها علىى وحاجتها الشديدة لى أثناء مرضها.

كانت أمدى فى حالة سكر شديد، وأخذت فى التودد إلىى واستمرت فى القيام بذلك، ولفت ذراعها حول جسمى، وبدأت فى التأوه والبكاء، وأخذت تخبرنى عن شدة حبها لى ومدى حاجتها إلىى، وأنه يجب على أن أساعدها وأعاونها للنهوض من كبوتها، وكان ذلك مريعاً حقاً، لأن أبى فقد أعصابه وأسرع قادماً نحونا والشر يتطاير من عينيه، واعتقدت أنه سيقوم بقتلها وأسرعت هى بالاحتماء بى، فتلقيت

صفعته الشديدة على جانب وجهي، وكانت شديدة لدرجة أنها أوقعتني على الأرض، وحاولت القيام لأرى إذا ما كانت أمي بخير، لكنه رفسني بحذائه ذي الرقبة الطويلة.

كان أبي يبدأ بالتشاجر مع أمي وضربها، ثم يأتي دوري بعد ذلك، وفي كل مرة لم يكن يمكنني تصديق ذلك أو فهمه، فقد كان يقوم برفسي وضربي بقدميه وسحبني على الأرض في طول الحجرة وعرضها، وكانت أمي تظل جالسة بجانب الطاولة وهو مستمر في ضربني ضربًا مبرحًا بيده وقدميه، ورأيتها وهي تتناول زجاجة كبيرة من الجعة المعتقة، وتأخذ منها كمية كبيرة، ثم نهضت وفرت ناجية بنفسها، وتركتني وحيدًا في مواجهته، فجرى خلفها مسرعًا إلى أعلى السلم، ثم سمعته يخرج من المنزل بعد ذلك ببرهة، وأدار محرك سيارته ومضى، وأخذت أمي تضع بعض المطهرات على جروحي، وقد تغيبت عن المدرسة لمدة أسبوع كامل بسبب هذا الضرب، وكنت لا أزال أعاني من آثاره عندما عدت إلى المدرسة في يوم الاثنين التالي، ولم يعد أحد يشكوني لأبي أو أمي مرة أخرى بعد ذلك.

إن الشيء الذي لم أستطع فهمه أبدًا حتى الآن هو لماذا كان أبي يعاملني هكذا؟ أقصد أنه لو كانت هذه المعاملة لي من جانب أمي لكان ذلك أمرًا عاديًا، أنا لا أقول أنني كنت أتمنى أن تكون أمي هي التي كانت تعاملني بهذه الطريقة لكنني كنت سأستطيع أن أفهم السبب حينئذ، إلا أنني لم أستطع أبدًا فهم أسباب معاملة أبي لي بهذا الشكل، لماذا لم أستطع استيعاب هذا الأمر، وقد تحسنت العلاقة قليلًا بيننا فيما بعد، وعادت إلى سابق عهدها مرة أخرى من جديد، وكان أبي يكره قيامي بالأعمال المنزلية لسبب ما، لذا كنت أحاول دائمًا إنهاء هذه الأعمال قبل حضوره إلى المنزل لكي أجعله يعتقد أن أمي هي التي كانت تقوم بها، لذا كانت أمي تتماذى

فى استغلالى وتكلىفى بالمزىد والمزىد من الأعمال المنزلىة، كما تَمادت فى شرب
الجعة لوقت أطول ومنذ وقت مبكر من النهار، كنت أحس بالذنب لأننى أنا الذى
كنت أتيج لها الفرصة للقيام بذلك، وكانت المشاحنات بينها وبين أبى تتزايد يوما
بعد يوم وكان يقوم بضربى أكثر وأكثر أيضا...، وكان ذلك هو سبب هروبى
ومغادرتى للمنزل، لكن المشكلة هى أن...، لقد كانت أُمى تعتمد علىّ فى القيام
بالكثير من الأعمال، وقد ظلت أفكر فى مقدار غضب أبى منها بسبب إهمالها
عدم قيامها بأعمال المنزل، وبأنه سيقول لها أنها هى التى دفعتنى إلى الابتعاد
عن المنزل...

عرضت علىّ فونى أن تصحبنى لإجراء المكالمة الهاتفية، لكننى كنت أشعر
بأنه يجب أن أقوم بذلك من تلقاء نفسى، ولا أعرف لماذا شعرت أنه كان يجب
علىّ التحدث إليها، لقد كانت هذه غلطة منى حقًا أن أكلّمها، وكان يتوجب علىّ أن
أستمع إلى كلام جيماء، لأنها تفهم الأشخاص أفضل منى بكثير.
وجدت كابينة تليفون على الطريق وقمت بطلب الرقم.

كان قلبى يخفق قلت "ألو" بصوت منخفض كى لا يصدمها كثيرًا و... وبدأ
كانها قد تلقت صدمة كبيرة من خلال الهاتف.

لقد قالت فقط: "دافيد" ثم انتظرتنى لكى أشرح لها موقفى.

بدأت فى الكلام، لكنى لم أستطع أن أتذكر ماذا قلت لها، لقد أخبرتها بكل
هذه الأشياء الطيبة التى حدثت لى منذ مغادرتى للمنزل، وعن عثورى على مكان
لأسكنه، وأن كل شىء على ما يرام، وعن أولئك الأصدقاء الطيبين الذين أعيش
معهم، وكيف أننى أكل وأشرب بما فيه الكفاية، وأننى أعتنى بنفسى جيدًا.

وعندما انتهيت من حديثي، لم يكن لديها أى شيء لكى تقوله. وقد سمعتها وهى تدخن على الطرف الآخر من الخط، وكان هذا هو كل شيء، لأن أمى عادة تكاد تكون فاقدة الوعي معظم الوقت، تستند على الطاولة أو على الحائط أو أى شيء بالقرب منها، لكننى شعرت فى هذه المرة أنها كانت متيقظة إلى حد رهيب، مثل طائر أو سمكة لا تنام أبداً، وقد أخذت تستمع وتتصت إلى كل شيء أقوله وتنتظر.

وأخذت أقول...: "أنا آسف يا أمى، لقد ذهبت بعيداً، إننى لم أقصد أن... أنا لم أرد أن... أنا أقصد،... هل أنت على ما يرام يا أمى...؟ قولى أى شيء يا أمى، فقالت فى صوت يكاد يكون عادياً...: "لا أستطيع قول أى شيء يا تار، إن أباك فى الطابق الأسفل يسترق السمع إلى ما نقول"، ثم خفضت صوتها إلى درجة الهمس: "لقد أخذ فى ضربى"... ثم بدأت فى كشف مكنون أعماقها.

أنت تعرفين، إننى لم أكن أظن ذلك أبداً، لم أظن أبداً أنه يمكن أن يفعل ذلك فى غيابى، ولكن الأمر كان واضحاً جداً، فوجودى هناك هو وحده الذى كان يجعله يتوقف عن ضربها، لقد شعرت كما لو أننى قد رفعت العالم كله حوالى عشرة أقدام إلى أعلى ثم أسقطته على أرض صلبة، وكان ذلك كله كان خطئى أنا وحدى.

ثم بدأت بعد ذلك فى التصرف معها بنفس أسلوبها المعتاد، وقد ظننت فى أول الأمر أنها كانت باردة مثل صخرة صماء، لكنها كانت فى حالة سكر تام كسابق عهدها وكحالها كل ليلة.

قالت: "لقد أصبحت مرعوبة من الخوف، فهو يأتى كل ليلة سكران، ولا أعرف أبداً ما الذى سيفعله بعد ذلك، إننى أشعر بوحدة شديدة، ولا يوجد من يقوم بأداء الأعمال المنزلية يا عزيزى، أنا أحاول لكن... أنت تعرف حال أبيك، إنه

صعب الإرضاء وسريع الهياج ويغضب دائماً عندما يشعر بأن الأمور ليست على ما يرام، إنه ليس خطأه، إننى زوجة سيئة وأم سيئة، لكن كان ينبغى عليك ألا تذهب وتتركنى يا دافيد، أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟".

ثم سادت فترة من الصمت.

قلت: "نعم"، حسناً فماذا كنت أستطيع أن أقول غير ذلك.

قالت أمى: "أنت تعرف يا دافيد مقدار اعتمادى عليك... وقد كنت أحاول جاهدة أن... آه يا عزيزى، كيف استطعت أن...؟".

واستطعت أن أشعر بها تنزلق ساقطة من على الكنبه إلى الأرض، وهى تبذل دموعها، وأحسست أن دموعها المتساقطة سوف تنساب من سماعة التليفون لتسقط فى كفى.

قلت: "اسمعى يا أمى..."، واستطعت سماع صوت نحيبها.

فقلت لها: "من فضلك توقى عن البكاء يا أمى، توقى من فضلك، سوف نتحدث فى كل هذه الأمور، هل الأمر سىء يا أمى، هل يضربك بشدة؟".

- "من فضلك ارجع إلى البيت يا عزيزى، من فضلك...، فهو يقول لى دائماً إننى أنا التى تسببت فى هروبك من المنزل".

وكانت تتحب، وتتحب، وتتحب...

- "حسناً يا أمى، توقى من فضلك... انظرى، سوف أعود إلى المنزل، سوف أعود إلى المنزل، إن هذا الأمر لن يدوم إلى الأبد، وسوف أعود إلى المنزل".

وكنّت مستعدًا لأن أقول لها أى شىء فى ذلك الوقت، كان شينًا فظيعةً منه أن يتهمها بأنها كانت السبب فى هروبى، لأن ذلك لم يكن صحيحًا مطلقًا، إنه هو الذى دفعنى للهروب بعيدًا، لكن... لقد كان ما ذكره حقيقياً أيضاً...

- "سوف أعود إلى المنزل".

- "متى؟".

- "حالا يا أمى، هناك- بعض الأشياء التى ينبغى على عملها أولاً".

- "أنت تستطيع أن تفعل ذلك الآن، يمكنك أن تسير وتركب أتوبيس السفر...".

- "ليس لدى أى نقود".

استطعت أن أسمعها وهى تسحب نفساً من سيجارة، وأخذت تفكر فى ذلك الأمر، ثم قالت لى: "سافر أتوستوب بدون دفع ثمن التذكرة".

- "سوف آتى إلى المنزل بمجرد أن أستطيع ذلك".

- "تقول إنه ليس لديك أى نقود، ولكن أعتقد أنك قلت أن أمورك تسير على ما يرام".

كانت قلقة بشأنى وغير واثقة فى قدرتى على رعاية شئونى الخاصة بنفسى، فقد كانت تهتم دائماً أن تتأكد من أننى أكل وأشرب جيداً، وأننى أرتدى ملابس أنيقة ومثل ذلك من الأمور، إنها أم جيدة حقاً أو يمكن القول بأنها سوف تكون كذلك إذا استطاعت الابتعاد عن الزجاجة والكأس.

ثم أخذت في توجيه بعض الأسئلة إليّ، وكنت خائفاً من أن أقول أكثر من اللازم... فقد كانت تسألني عن الناس الذين كنت أعيش معهم، وعن مكاني وعنواني، وعن أسمائهم، وقالت إنها كانت تريد أن تشكرهم بطريقة ما، ولكنني لم أستطع الوثوق بها، وغضبت كثيراً لأنني لم أخبرها بكل المعلومات التي طلبتها.

ظلت تكرر: "ألا تتق بي يا دافيد"، وبالطبع أنا لم أكن أثق بها، ولكنني لم أستطع أن أقول لها ذلك، لذا وجب عليّ الاعتذار لها، واستمر الحال كذلك واستمر الخط مفتوحاً بيننا وكنت أضع النقود في حصالة التليفون، وكلفتني هذه المكالمة ثلاثة جنيهات، ولم أتوقف إلا عندما نفذت نقودي كلها، وتوقفت المكالمة في نصف الجملة.

كنت أكره أمي أكثر من كرهى لأبي، لأن أبي كان يرعبنى أما أمي فكانت تجعلني أشعر بأنني قدر وعديم الفائدة، وكانت تفسد كل ما كنت أحب أن أفعله، وتحطم كل ما أقوم بعمله، وشعرت بالقرص وأنا أغادر كابينة التليفون لأنني وعدتها بالعودة إلى المنزل، وأقسمت لها على ذلك، وأدركت أنني لم يكن ينبغي أن أتصل بها، فقد كانت تقوم دائماً بذلك، وتستطيع دائماً أن تجعلني أفعل ما تريد، وأن أفعل أي شيء من أجلها، كانت تفعل ذلك من أجل متعتها الخاصة أحياناً، أو من أجل أن تسلي نفسها، وقد فعلت ذلك أمام جيما عندما جاءت لزيارتي... فقد أخذت تتحدث وتتحدث وجعلتني ألفت وأدور حول المنزل، وأقوم بأداء أعمال غريبة من أجلها حتى جعلتني أصل إلى درجة عالية من القلق والارتباك لدرجة أن الأشياء أخذت تتساقط من يدي من شدة الارتباك لأنني قد أحسست بالحرج أمام جيما، ورأيت أمي وهي تختلس النظر لجيما، وكنت أعرف ما الذي سيحدث، وكانت جيما أيضاً تسترق النظر إليها، وكنت متأكداً من ذلك برغم أنها لم تقل أي شيء، كانت أمي تتباهى وتتفاخر أمامها لتشعرها بأن مستواها أقل من مستوانا.

لكنى كنت قد وعدتها بالعودة إلى المنزل، ولا أستطيع ألا أفى بوعدى أو أن أخذلها... ليس مع أمى، ليس معها من بين كل الناس، والآن أصبح ينبغى على الاتصال بجيما، لأطلب منها ألا تأتى لأنه أصبح يتحتم على العودة إلى أمى مرة أخرى الآن، وإلى كل ذلك الضياع إلى الأبد.

ظللت أتجول على غير هدى لمدة طويلة، ثم رجعت إلى المنزل فى ساعة متأخرة، كان الوقت متأخراً، وكنت أمل أن يكونوا قد ذهبوا جميعاً إلى مخادعهم، ولكن الأنوار كانت لا تزال مضاءة فى الدور الأرضى، وكانوا جميعاً يريدون جميعاً أن يعرفوا كيف سادخل إلى المنزل.

ابتعدت عن البيت وظللت أتجول لفترة أخرى، ولكن الأنوار ظلت مضاءة فى المنزل، لذا فكرت، حسناً، فى أن أدخل إلى المنزل ب...

عندما انتهيت لم يعلق أى شخص بأى كلمة، ولكن ريتشارد قام وعانقنى بشدة، ثم فونى.. حتى جبرى قام وعانقنى، وبدأ الأمر... يبدو أنهم لم يعرفونى جيداً، أو أى شىء، وقد شعرت بأنهم قد فعلوا ذلك لأنهم كانوا يعرفون أننا لا نتعاقق كثيراً فى أسرتنا، وكأنهم يحاولون علاج آلامى وإعطائى دواء لها، لكننى حاولت نسيان الأمر كله، وأخذت فى معانقتهم محاولاً ألا أبكى، فقد كنت بائساً جداً.

قال ريتشارد "إنك لن تذهب، أنت تعرف ذلك، أليس كذلك؟".

لقد كنت غيباً جداً، حقيقة لم أتوقع منهم أن يقولوا ذلك.

قالت فونى: "لا... لقد كانت جيما على حق فى ذلك، إن تركك للمنزل كان أفضل شىء فعلته".

قلت: "لكنى وعدت"...

قال جبرى: "لقد جعلتك أمك تفعل هذا، إن هذا ليس وعدًا".

قال ريتشارد: "أنا لا أعتقد أن الإخلال بوعد تم تحت الضغط أمر يمكن أن يؤخذ عليك".

- " لكن أبى يضربها".

استمرت المناقشة بيننا لعدة ساعات، لكنى كنت أشعر أننى لا يمكن أن أتركها على هذه الحال، وقالوا كل ما يمكن أن يقال لكى يقنعونى بالبقاء وعدم العودة إلى المنزل.

قالت فونى إنها تظن أن أبى سيبدأ الآن فى ضرب أمى وتصفية حسابه معها، وأنه سوف يظل يفعل ذلك دائماً، وهكذا فإننى لم ولن أستطيع إيقاف ذلك أبداً بأية حال من الأحوال.

وأخذ ريتشارد يشرح لى كيف أننى كنت غير مسئول عن ذلك، وهو الأمر الذى كنت أعرفه جيداً.

قال ريتشارد "إنها لا تستطيع رعايتك أو العناية بك، كما أنك لا تستطيع أيضاً رعايتها، أليس كذلك؟".

إن كل شىء قاله كان حقيقياً، وكنت أفكر فى ذلك كثيراً بينى وبين نفسى من قبل، لكن المشكلة كانت تتمثل فى أنه لم يعد هناك فارق، فما الذى يهم فى الأمر إذا كان قد بدأ فى ضربها منذ أن قررت الابتعاد وترك البيت، ربما أستطيع إيقافه ومنعه عن ضربها إذا عدت للبيت مرة أخرى.

(٦)

جيما

أخبرته: "إنها تكذب".

قال تار: "إنها لم تكن لتفعل ذلك".

قلت: "ألم تفعل ذلك فعلاً" لكنني لم أكن في حاجة لقول ذلك، لأن كلينا يعرف جيدًا أنها قد فعلت ذلك، إنها تعرف جيدًا أنه يصدقها دائمًا، ولو قالت له إنها قد نامت في الفراش مع الأمير تشارلز فإنها كانت على يقين من أنه سوف يصدق ذلك، وكان سيصدقها بالفعل.

- "لقد طلبت منك ألا تتصل بها، وهي تقول لك ذلك لكي تجعلك تشعر بالذنب فقط، وهذا هو ما تعودت عليه دائمًا معك".

ثم سادت بيننا فترة طويلة من الصمت، وكدت أسمعه وهو يفكر عبر الهاتف، فكتمت أنفاسي، ثم قال: "ها أنا أفعل ذلك مرة أخرى، أليس كذلك؟".

وكدت أن أصبح فزعًا لأنني كنت مرعوبة خوفًا من أن يرجع إليها مرة ثانية، فإلى أين كنت سأستطيع الفرار حينئذ؟.

قال تار: "أنا غبي جدًا".

فقلت له: "لا. إنك فقط لطيف وطيب أكثر من اللازم".

لقد قلت له ذلك وأنا أريد أن أعطى وجهه بالقبلات لو كنت أستطيع ذلك.

وللأمانة لم أكن مقتنعة بما قاله مثلما كنت مقتنعة باستنتاجاتي الخاصة.

لقد ركله أبوه وضربه بقسوة، وعندما تركهم تار وذهب استدار على زوجته، وقد كان ذلك أمرًا منطقيًا تمامًا، فيما عدا أن الأمر الآخر المنطقي مثله تمامًا هو أنها كانت تكذب عليه لكي يعود إليها.

قال: "يبدو أن ما كان متوقعًا منه هو أن يبدأ بها..."

- هذا هو سبب ما تدعيه، وهذا هو ما تفعله أليس كذلك؟-

- "نعم... أنا أعرف هذا".

قمنا أنا وتار بإعداد الترتيبات اللازمة ليوم السبت، وأعتقد أنه يمكن أن أقول إنه أصبح فتى أكثر بهجة بكثير في ذلك الوقت الذي أغلقت فيه سماعة التليفون.

اكتشفت بعد برهة صغيرة أن ذلك كان حقيقياً فعلاً، فقد أخبرتني جوان رد برتس التي تسكن بجوار أمه وأبيه، أنها عرفت كل شيء عنهما من أمها وأبيها، وقد قالت جوان: فرار تار وتركه للمنزل كان أفضل شيء حدث في شارعهم منذ سنوات، وقد حكى جوان عن شفة أم تار كانت كبيرة ومتورمة، وكان هذا ظاهراً بالفعل عندما كانت الأم تتسوق معنا وهي تضع نظارة سوداء على وجهها، لكنها لم تستطع إخفاء شفتها، وهذا التورم في شفتها كان يمكن أن يكون بسبب سقوطها من على السلم، أو اصطدامها بحائط صلب، فقد حدث هذا من قبل، لكن جوان تراهن على أن السيد (عضلات) والد تار يبدو أنه لم يضيع الكثير من وقته، لقد توجه إليها مباشرة وأعطاهما لكمة قوية بمجرد أن أظهرت له رسالة تار، وجراها مباشرة

على طوال الشارع إلى إحدى صديقاتها التي أخبرت والدته جوان بكل ما حدث، وكانت والدته تار نائمة على كنبه عند صديقتها، وقد قالت عاملة النظافة التي تعمل عند هذه الصديقة إن أم تار كانت تعاني من المرض في ذلك الصباح، على الرغم من ذلك فإنني لم أخبر تار بذلك كله، لم يحن الوقت بعد على أية حال، فهو سوف يندفع عائداً إلى المنزل على أهون سبب لكي يضرب ويهان من أجل أمه العزيزة.

ذهبت إلى منزله ذات مرة، ووجدتها تحيط به من كل جانب طويلاً وعرضاً، وقد اندهشت لأنها لم تضع لسانها في أذنه وتحدثه همساً، فقد كانت تعانقه وتحتضنه وترفعه إلى أعلى مثلما يعبر الأطفال الصغار عن حبهم، فيما عدا أنها كانت في حوالى الأربعين من عمرها، وكانت تهز رأسها فيتنثر شعرها متطايراً في كل مكان مثل "ساحرة مدينة منيلي"، وقد أبعدني ذلك عن تار لفترة طويلة، كنت أشم رائحتها تشع منه في بعض الأحيان، وقد اعتادت أن تستخدم كميات كبيرة جداً من البرفانات محاولة أن تزيل أو تخفف رائحة الخمر التي كانت تنبعث منها.

كان تار المسكين في غاية الإحراج فعلاً، ولكن والده كان يعيش حياته بدون أن يبالي بأحد، وكان يتجول في داخل المنزل وهو يصب الشراب له ولها، بدون أن ينسى بالطبع أن يرغمها على شربه رغماً عنها، ولم أسمع في حياتي مثل هذه الكلمات ولا تلك اللغة التي كانا يتحدثان بها، كان والده يعرف بالطبع أنها كانت تخضع لأوامره لكي تنتهي الأمور معه بسلام، ولكنه لم يكن يستطيع أن يمنع نفسه من الغضب، وذلك ليس بسبب أنه كان يريد أن يظل لسانها الرطب في أذنه هو فقط....، لكن لأنه لم يكن يريد أن تتظاهر بأنها تضعه في أذن أي أحد آخر،

خاصة تار، ولهذا السبب بالذات كانت تفعل ذلك متعمدة، لقد كان ذلك نوعاً من الجنون حقاً، وكان تار ووالده يعرفان تماماً ما الذى كانت ترمى إليه، ولكن يبدو أنهما لم يكونا قادرين على منع أنفسهما من فعل ذلك، فقد كان لديها الرجل العجوز الذى كان يعتدى على تار ويبعده عندما يرغب فى أن ينهال عليها بالضرب مرة واحدة، ويبدو أنه لم يضيع وقتاً طويلاً فى انتظار تحقيق أحلامه، وقد كانت هى بالطبع تريد أن يعود تار إلى المنزل لكى يلقى بوجهه بين قبضة أبيه المتوحشة وبين وجهها القبيح.

ليس لدى أية نية فى تركه يفعل ذلك بالطبع.

وقد حاولت أن أذهب إلى منزل تار لألقى نظرة على أمه بنفسى، وقد ظننت أنى سوف أذهب وأدق على الباب وأتظاهر بأن كل ذلك الأمر مجرد نوع من الحب والمودة، وهى فرصة كبيرة لى لكى أتعرف عليها، ولكن أبى وأمى كانا سيلقيان بى إلى أسماك القرش لتأكلنى قبل أن يسمحا لى بأن أقوم بذلك.

منذ هروب تار من منزله أخذ أبى فى التضيق على والحد من حريتى أكثر من قبل، فلم يعد يصطحبنى إلى المدرسة فى الصباح فقط، بل أصبح يأخذنى منها ويصطحبنى إلى المنزل عند العودة أيضاً، لا بد أنه قد استقطع عدة ساعات من عمله من أجل فعل ذلك؛ لأننى لم أكن أنتهى من الاستعداد للذهاب إلى المدرسة قبل الساعة التاسعة أو العاشرة، وكانت هناك اجتماعات عالية المستوى بشأنى فى المدرسة، واعتدت أن ألمح نظرات المعلمين وهم يراقبوننى وأنا أسير فى الردهة وما إلى ذلك من الأمور، كان ذلك كله من أجل مصلحتى بالطبع، لقد أرادوا أن يكون لكل ثانية من حياتى نفع وفائدة، وأعتقد أنهم يظنون أنه لو أتيحت لى أى لحظة فراغ فسوف أخلع ملابسى وأندفع نحو دورة المياه الخاصة بالأولاد.

وقد حاولت أن أقول لهم إننى "لا زلت عذراء"، وقد صبحت فيهم بالفعل قائلة ذلك من فوق السلام فى أحد الأيام، ولكن لم تكن هناك أى استجابة لذلك.

عندما حضرت الشرطة لتسألنى عن تار، لم يحب أبى ذلك، وأعتقد أن أبى وأمى قد أصبحا يكرهانى لهذا السبب، لأننى قد أحضرت الشرطة إلى بيتهم وقامت بالتحقيق معهم، وكانا يغلقان الأبواب ليلاً بالأقفال لكى يمنعانى من التسلل خارج البيت.

إن الغباء يكمن هنا فى أنه عندما تفكر فى أن... أقصد أنه كان يمكننى الخروج من الشبائيك أو من أى مكان آخر، وبالطبع لم يتم إلغاء نزهاتى أو منعها فى نهاية الأسبوع، وفى العطلات والإجازات الرسمية أيضاً حتى الآن، على الرغم من أننى أعتقد أنها مجرد مسألة وقت فقط، دعنا نواجه هذا الأمر، فإننى لو قمت بالفرار والهروب من المنزل فلن يكون أمامهما الكثير لكى يعلانه بالنسبة لهذا الأمر، اللهم إلا إذا قيدانى فى الحمام بمجرد اكتشافهما لذلك.

إنهما يعتقدان أننى واقعة تحت تأثير المخدرات، كما اتهمانى بالتدخين وبشم الكلة (الصمغيات)، أيضاً على الشاطئ مع تلك الجماهير المزدحمة.

وقال أبى مقترحاً: "أتوقع أن صديقك هذا ميت الآن من تناول تلك السميات"، وقد بدا صوته عادياً، وكأنه لا يتحدث عن أى شيء سيء.

هل يشم تار الكلة؟... أنا أسألك، أما بالنسبة لى فإن بعض الفتيات يشمون الكلة حقاً، ولكن كل ما فعلته أنا هو تدخين قليل من الحشيش، إن أبى وأمى يعرفان كل ذلك بالطبع، أنا لا أعرف من الذى أخبرهما، ولكنهما حقاً لديهما علم تام بذلك.

ينتمى والدائ إلى مدرسة السهل الممتنع فى التفكير؁ ولا يوجد لسيهما أى شك على الإطلاق فى أنه إن لم يحولا حياتى إلى أقصى درجة ممكنة من النعاسة؁ فإننى سأصبح عاهرة مدمنة عند منتصف الليل.

لقد وضعت خططى وأخذت فى التنفيذ؁ وأنا جالسة أأل واجباتى وأراجع دروسى كل ليلة أو منتظرة أبى على باب المدرسة كى يأخذنى للمنزل؁ لقد كفت عن السخرية وتوقفت عن فعل كل ما يمكن أن يثير غضبهما.

قالت أمى: "أمل ألا يكون هناك أى شيء مختبئاً خلف هذا السلوك الحسن".

قالت هذا وهى تتحدث عن الثقة التى يجب أن تكون موجودة بيننا؁ فقلت: "أعتقد أننى تجاوزت أساليب السخرية".

لكن السخرية كانت تسرى فى عروقى سريان الدم؁ وعلى الرغم من ذلك كان ينبغى على أن أظهر لهما على الصورة التى يريدان أن يرايانى بها... ابنتهما العزيزة؁ برغم أننى لا يمكن أن أكون حسنة السير والسلوك دون أن أثير الشبهات.

لقد تظاهرت بأننى سوف أذهب مع إحدى صديقاتى فى عطلة نهاية الأسبوع؁ وغادرت المنزل فى مساء الجمعة ولكنهما لم يعلما بهروبى حتى صباح يوم الاثنين؁ ولم يكن هناك أى شيء لأقوله لهما؁ وإذا كنت قد اضطررت إلى الابتعاد عن المنزل فى عطلة نهاية الأسبوع: فإنهما كانا سيعرفان أننى كنت فى الخارج أشارك فى حفلات ماجنة مع سيدات مسنات؁ لكنى كنت لا أزال أتصرف بطريقة جيدة؁ وكانت الأمور تسير على ما يرام؁ وكان يوم السبت هو أفضل الأيام لتنفيذ مخططاتى؁ لقد شعرا بالغضب فى وقت تناول الشاى؁ لأنه الوقت الذى كان من المفترض أن أقدم لهما فيه واجبى المنزلى لكى يفحصاه؁ وقد انزعجا عندما لم أعد

إلى المنزل، لكن أمى عادت إلى فقد أعصابها والإصابة بحالة البارانويا، لقد ظننت أنهما سيعتقدان أنني كنت أقضى الليل مع فتى ما، لأننى كنت أتجاهلهما بالفعل، لكنهما شعرا بالانزعاج، وقاما بإبلاغ الشرطة ليلة الأحد، وفي صبيحة يوم الاثنين تسلما خطابًا لطيفًا عن طريق البريد من ابنتهما الحبيبة.

وكان هذا هو كل ما فعلته لكى أستطيع تنفيذ خطى للهروب.

لقد أخفيت حقيبتى فى إحدى الحدائق على بعد عدة منازل فى مساء يوم الجمعة، لذلك لم يشاهدنى أحد وأنا أخرج بها فى الصباح التالي، وقمت فى الصباح بالطفوس المعتادة، الاغتسال، ثم الإفطار لكى لا أثير لديهما أى شك.

سألنى أبى: "أين ستذهبين فى عطلة نهاية الأسبوع؟".

قلت: "ربما إلى المدينة".

اعترض أبى وأنت والدتى وأمسكت بذراعى، وقالت لى وهى تستعطفنى: "ابتعدى عن المشكلات يا جيما"، ولكننى لم أهتم حتى بالنظر إليها، وتسللت خارجة فى حوالى الساعة العاشرة، كانت أمى بالطابق الأعلى، وكان أبى فى السوبر ماركت، فخرجت من المنزل ثم مشيت فى الطريق إلى محطة أتوبيسات السفر البرى.

آه... لقد كان هناك شىء صغير نسيت أن أخبرك به.

فى يوم الجمعة الماضى، استوليت على بطاقة الفيزا الخاصة بوالدى، وقمت بحجز تذكرتي، كما قمت- أيضًا- بمساعدة نفسى ماديا بهذه البطاقة، لقد كان أبى دائمًا يجرى فى المنزل صارخًا أين بطاقتى؟ أين بطاقتى الائتمانية؟ إذا لم أجدّها فسأقوم بالاتصال بالبنك طالبًا إلغائها...".

بالرغم من ذلك فقد ظل يبحث عنها فترة من الوقت خلال عطلة نهاية الأسبوع، وانتظر عدة أيام قبل أن يقوم بإخطار البنك بوقفها، وكان ذلك قبل أن يشك في الأمر، وقد علمت أنه لم يبلغ الإدارة الرئيسية لوقف الفيزا، وكان قد ترك رقمها السرى مكتوباً على ظهر المرأة في غرفة النوم، فهو ضعيف فى حفظ الأرقام، وفى الطريق إلى محطة الأتوبيسات توقفت عند البنك وأخذت من ماكينة الصرف مائة جنيه، لم يكن أمراً ظريفاً، ولكننى فعلته، وأرسلت الخطاب إلى والدى من وسط المدينة، ثم قفزت إلى الأتوبيس، وسار فى طريقه وكان ذلك أمراً سهلاً.

لا تحاكمونى، لا يتحتم على أن أبرر أفعالى هذه لأى شخص، لم أشعر بالفخر أو الرضا بالنسبة لبعض الأمور التى كان يجب على القيام بها، ولكن لم يكن أمامى أى اختيار آخر، السرقة من أهلى... حسناً، لقد كان لا بد لى من الحصول على بعض النقود، إما منهما أو من أى شخص آخر، إن الطريقة التى نظرت بها إلى الأمر، إذا عرفا بذلك... أقصد إذا كانا قادرين على وضع أنفسهما فى مكائى، وأنا أعرف أنهما لا يمكن أن يضعا نفسيهما مكائى، ولو كانا قد استطاعا فعل ذلك لقاما بإعطائى ذلك المبلغ، كنت أتوقع منهما ذلك.

أما ذاك الخطاب الذى أرسلته، فقد حاولت أن أجعله واقعياً تماماً، وقمت بكتابتة ست مرات أو سبعا قبل الاستقرار على صيغته النهائية التى سأرسلها لهما، ولم أدرك كم سيكون وقعه صعباً عليهما حتى جلست وحاولت أن أقول "انظروا، أنا ذاهبة"، أقصد ما الذى يمكنك قوله؟.

لقد كان والداى يحبانى عندما كنت طفلة، ولكنهما لم يعرفا أى شىء عنى بعد مرحلة الطفولة، ولم يكن هناك أية طريقة تمكننى من أن أقوم بإفهامهما ذلك

التقصير تجاهي، شكرًا من أجل كل شيء، الوداع... ذلك ما كان يدور بداخلي، وقد قلت لهما إنني أحبكما، نعم قلت ذلك، لكني لا أعتقد أن ذلك القول كان حقيقيًا وقتها، ومع ذلك فقد جعلني أبكي، وقد ظلت أكتب خطابات وأمزقها، أكتبها ثم أمزقها، كنت أفعل ذلك بأقصى ما أستطيع من الإقناع، ولكن دموعي كانت تتساقط عليها، وكان يتحتم عليّ أن أبدأ في الكتابة مرة أخرى، لن أرسل دموعي إليهما، لقد كنت... كنت ذاهبة بدون أن أهتم لعدد القلوب التي سأحطمها- قلبي- قلوبهما، أو قلب أي إنسان آخر، فقد كنت مصممة على الذهاب، وعقدت أمري عليه.

جلست في الأتوبيس أراقب المدينة وهي تتوارى عن عيني، لم أقل وداعًا للمباني ولا لأهل هذا المكان الذي عشت وترعرعت فيه، لقد تابعت ذلك بنظري فقط، وكنت أشعر بالسعادة وأنا أرى المدينة تتوارى عن عيني، أنا لم أكن أعرف- عندئذ- مدى المدة الزمنية التي سأقضيها بعيدًا عن المنزل، كنت أعتقد أحيانًا أنها ستكون أسبوعًا أو أسبوعين فقط، وفي أحيان أخرى كنت أعتقد أنني لن أرى هذه الأماكن مرة أخرى أبدًا، الحمد لله.

استغرقت الرحلة ساعتين، وكنت جالسة أتصيب عرقًا طوال الطريق، وفي كل مرة كانت تمر فيها سيارة شرطة كنت أظن وقتها أنهم سيجذبونني ويوقفونني ويعيدونني إلى المنزل مرة أخرى، ولم يحدث أي شيء بالطبع، وعندما وصلنا إلى بريستول، كانت عيناى تهتزان وتنتظران خارج النافذة لكل شيء، لقد كنت مجروحة، وقد أردت أن أغوص في هذه الشوارع المزدهمة بالناس وأختفى فيها كسمكة صغيرة، كنت أمضغ أطراف أظافري في غضب وإثارة مع مرور الوقت حتى وصلت إلى محطة الأتوبيسات، وكنت أرحب بهذا الشعور بالفعل لأنني لم أرد أن أكون مرتاحة أو راضية عما فعلت.

كنت أخطط للاحتفال بتار بشكل يظل يذكره طوال عمره، وكنت مصممة على أن أفعل ذلك، لم أكن أريد أن أهبط سلالم الأتوبيس وأقول له: "مرحباً"، لكنى كنت أريده أن يكون في منتهى السعادة، لقد واجه تار الكثير من الأحزان فى حياته، وأردت أن أجعل حياة هذا العجوز المسكين جيدة وسعيدة، وأردته أن يجعلنى أنا أيضاً أحس بالسعادة، كنت أحس أن كل تلك الإثارة والإحباط الموجود بداخلى كانا مثل وقود الصواريخ الذى يدفعنى إلى أعلى.

رأيتَه من نافذة الحافلة واقفاً فى انتظارى، تجمدت فى مكانى، لم أرد أن أغرق نفسى بمجرد النظرات الصغيرة واللمحات من خلال النافذة، واحتفظت برأسى منخفضة حتى آخر لحظة توقف فيها الأتوبيس... ثم رأيتَه.

صرخت بأعلى صوت "تار !!!" وألقيت حقائبى على درجات سلالم الأتوبيس وخرجت كقطة خائفة صارخة باسمه بأعلى صوتي، لقد بدا مذعوراً حقاً، ولففت ذراعى حوله واحتضنته و- آه- قبلته واحتضنته وقبلته، ثم احتضنته وقبلته ورقصت، ثم عانقته وقبلته كثيراً جداً ودفنت صدرى فى صدره، فظهرت ببطء ابتسامة كبيرة زاحفة على وجهه.

آه... إنه شيء حسن أن أراك... آه لقد افتقدتك، لقد افتقدتك... قلت ذلك وأنا أدفن نفسى فيه صدره وأجذبه نحوى و، و. وأعتقد أن ذلك قد نجح فعلاً، لم يكن ينبغي أن أضعه فى هذا الموقف الكبير، لقد كنت فى حالة هستيرية تقريباً، إنه لم يكن- مجرد- تار الذى كنت أقبله وأحضنه، ولكنى كنت سعيدة ومنبهرة، وكأننى أقبل وأحتضن الحياة كلها، وما قمت به من مغامرة كبيرة، وكان الأمر- من وجهة نظرى- القيام بمغامرة، نعم. لقد كانت حياة، وكانت مغامرة كبيرة وضخمة فى الحياة، وكنت فى غاية الاستثارة منذ أن جلست فى الأتوبيس،

ولكن بمجرد أن خطوت خارجه تلاشت كل هذه المشاعر، كنت مرعوبة، إن السير في الطريق وحده كان عبقرية مني، فشعرت كأنني طفلة، وحتى إذا كان أى شخص آخر غير تار ربما أردت أن أجرب، وأن أحس أكثر بالراحة في كل ذلك الأمر، ولكن تار بدد هذه النوعية من المشاعر، لقد بدا هادئاً، وقد أردت فقط أن أنقل إليه عدوى الاستثارة والشعور الذى كنت أحسه، وأظن أنني فعلت ذلك أيضاً، لقد كان سائراً طوال الطريق يجر على شفتيه، وأحسست كما لو أنني أقوم بتفجير طوال الطريق.

جعلته يأخذنى فى جولة قصيرة، وذهبنا نتمشى من وسط المدينة إلى الشوارع الجانبية، ووقعت فى حب ذلك المكان، إنها لم تكن مدينة كبيرة ومزدحمة كما تظن، لم يكن هناك أى شخص يهتم لأى شىء، كانت هناك النباتات البرية تخرج من الحيطان، ولم تكن الناس مندفعة أو متعجلة، وجعلنى ذلك أهدأ، ثم بدأت أحس بالانتعاش بالفعل، أقصد أنني كنت- لا أزال- أطيّر وأحلق عالياً، وكنت فى حالة جيدة، لم يكن هناك من يهتم لإيقافى، وبرغم ذلك لم يكن يبدو على أننى قد فقدت قدرتى على السيطرة على نفسى، وظللت أفكر فى أننى سأحب هذا المكان.

كان تار منزعاً من الذهاب إلى المنزل، وقد ظل يقول: "إنهم قد أعدوا لنا طعاماً، إنهم فعلاً أناس طيبون وسيكون من قلة الذوق أن..." لكننى لم أكن مهتمة له، أنا لا أحب تار- لقد قلت ذلك- ولكننى لم أخدعه فى ذلك اليوم، ظللت أنظر من نافذة الأتوبيس، وأنا متوردة الخدود، وكنت أرتدى تلك الملابس المتعددة الألوان، إيشارب وبلوزة وجونلة، كان ينبغى على أن أرتدى الجينز وأشياء أخرى، ولكننى قد ارتديت هذه الملابس من أجله، كان ذلك كله من أجله، انظروا لقد أردت أن أجعله يشعر بأنه يمكنه أن يفعل أى شىء يريد معى، وأننى سوف أدعه يقوم بذلك.

ابتعدنا عن الشوارع الجانبية واتجهنا إلى داخل السوق، وفجأة ملت نحو الحائط وجذبتة إلى صدرى، كان أطول منى بحوالى قدم، وجذبتة نحوى.

وصلنا إلى الساحة فى نهاية الأمر، وكنت مستثارة فعلاً، أقصد، لقد وجد مكاناً للعيشة، وكون لنفسه جماعة، لا تساعده فقط، ولكنهم كانوا على استعداد لكى يطعموه أيضاً، لقد ترك البيت منذ أسبوعين، ولكنه استطاع أن ينجح فى تكوين كل ذلك فى هذه الفترة القصيرة، الشيء الوحيد الذى لم يكن لديه هو الصلبة الحقيقية... كما تعرف فإنك لا تستطيع أن تشعر بأن كل الناس أصدقاؤك، ولا يمكنك وضع ريتشارد وجيرى وفونى فى تلك الدرجة، لقد كانوا كباراً جداً وظرفاء جداً، وفى الحقيقة أحسست أنهم كانوا يتظاهرون بذلك فقط.

وأنت الفتاة فونى، وأعطتني قبلة وعانقتني فقامت - بدورى - بعناقيا، وابتسمت ولكنها لم تعرفني حقاً ولم تعرف طبيعتي، لم أقم بإعطائها الانطباع بأنها قد اتفقت معى كثيراً.

كان لدى ريتشارد شيء من الفطنة، وكان يوزع ابتساماته فى أنحاء المكان كله، لكنه كان غريباً، أعتقد أنه كان خجلاً أو شيئاً ما، أما جيرى فكان مختلفاً تماماً، كان على طبيعته حقاً، ولكنه كان يتجمل أيضاً، وأحسست بأنه من مصاصي الدماء المتكررين.

ويمكن أن يكون ذلك الشعور بأنهم لطفاء كان بسبب أنهم قد صمموا على الظهور بهذه الصورة، وهذا هو الأسلوب الذى يظهرون به أنهم لطفاء، ويمكنك أن تراهم وقد نجحوا فى ذلك، إن كل ما أعرفه أنهم يمكن ألا يكونوا لطفاء مثلى.

الآن، لو كان الأمر بيدي لكنت نمت في مدخل أحد المتاجر وأنا أقضم أظافر يدي وقدمي، ولكنني وجدت حشدًا من الناس الذين لا بد لي من التعامل معهم، وأظن أنني لم أكن سعيدة بهذا الاهتمام كله، كان الناس يعتبرونني لطيفة، ولكن ذلك كان بسبب قدرتي على جعلهم يشعرون بالسعادة، ولكنني كنت أريد فقط أن أحظى بوقت جيد أمتع فيه نفسي.

توقعت أنني سأجد ذلك في يوم ما.

كانت أول علامة سيئة أن الطعام الذي صنعه ريتشارد من أجلنا قد احترق في الفرن، لكن ريتشارد يهتم لذلك، وعندما قلت إننا قد أصبحنا مزارًا سياحيًا لعامة الناس، العامة المارين في الشارع، قام بالانحناء كما لو كان ذلك هو أكثر شيء إثارة بالنسبة له في العالم، وقال: "آه، كل شيء تمامًا"، وكانت فوني قليلة الاهتمام على الرغم من أنها لم تقم بطهو ذلك الطعام، حسنًا! فيما عدا أنها صنعت فطيرة تفاح من أجل البودنج.

سألت فوني: "كم المدة التي ستقضيها معنا يا جيما؟"، ثم ساد ذلك الصمت، وأحسست بأنهم - جميعًا - كانوا ينظرون إليّ.

ثم أضافت: "أعتقد... أوه... هل تعتقدان أنكما ستحبان البقاء والعيش هنا؟ ولكن إلى متى...؟..."

ابتسمت فقط وقلت: "لا أعرف. لا أعرف..." ثم ابتسمت وابتسموا وابتسم تار.

كما كنت أقول دائمًا... لقد كانوا - جميعهم - في غاية اللطف.

ذهبنا فيما بعد إلى الحانة، كانت جيدة، وقد جلسنا هناك حيث احتسبنا نصف زجاجة من الجعة المعتقة، كانوا يريدون أن يحتفلوا بى أنا وتار بطريقة خفية، لأن الساقى كان يمكن أن يرفض تقديم أى مشروبات لنا لصغر سننا، وقد أرادوا أن يعرفوا ما إذا كنت قد سمعت شيئاً عن والدة تار، لذا تحدثنا عن ذلك حوالى ساعة، الأمر الذى جعله فى شدة البؤس، لكنهم استمتعوا بوقتهم.

بعد قليل تحولوا جميعاً إلى فوضويين، الأمر الذى فاجأنى قليلاً، أقصد، أنا أعرف الكثير عن ذلك، ولكن ألا ينبغى على الفوضويين أن يخرجوا ويفجروا الناس، وليس أن يعانق بعضهم بعضاً؟ لقد تغير ذلك، فقد كان لديهم تلك الخطئة الكبيرة الليلة السبت، وكانوا سيقومون بالخروج ووضع الصمغ على أقفال البنوك.

كان ريتشارد يطاوع نفسه ورغبته فى الشرب، وقد ظل يشرب البيرة وبيتسم فى وحشية للسقف مبتهجاً فى سعادة من فكرة اغتصاب التجارة البنكية لمدة يوم.

قلت: "أليس للبنوك أبواب خلفية؟".

- "آه؟ حسناً، سوف نقوم بتصميمها أيضاً وكذا آلات الصرافة الليلية".

قال ذلك وهو ينحنى ويتمايل فى الحان كرجل قد تم منحه مليون جنيه.

تم ترتيب كل ذلك، كنا سنذهب معهم أنا وتار، كنت فى غاية الاستثارة بشأن ذلك، وكنت أعتقد أن الأمر مختلف، كنت أنظر دائماً إلى الفوضويين الموجودين بالمنزل، كما تعرفون، وهم يستمتعون بتعطيم ملاعب الأطفال، مرحح عظيم آه؟ وكنت على استعداد لدفع أى ثمن كى أرى وجوه مديرى البنوك عندما يعجزون عن فتح الأقفال، لقد ضحكنا كثيراً على هذا.

حكيت لهم عن أمى وأبى وقد بدوا متعاطفين جداً، وكان ريتشارد محبطاً حقاً عند سماعه ذلك، وقال: "كان أبوإى يتركأنى أتصرف على هوإى وأفعل كل ما أريد فعله من تصرفات سيئة".

قال ذلك وهو يبتسم بهذه الطريقة المجنونة ناظرًا إلى السقف، وقد أضاف فى سعادة: "لقد أفدت كثيرًا من هذه الفرصة".

كنت قد بدأت فى استلطاف ريتشارد.

وبدأنا فى سرد القصص عن الآباء والأمهات، وكم كانوا مرعبين، كان تار قليل الهدوء، نعم لقد كان، أليس كذلك؟، ولكننى بدأت فى الاستثارة، لأننى تناولت فودكا وبرتقالاً مع البيرة، وأنا أفكر فى حال والدى وكيف أنهما سيبدآن فى الغضب الآن، كانت الساعة العاشرة والنصف، كنت حينئذ متأخرة ساعة واحدة فقط عن موعد رجوعى للبيت، وأخذت أتخيل كيف كانا جالسين يجزان على أسنانهما، ويقومان بالتخطيط لإلزامى بمحظورات أخرى جديدة، لكنها ستكون- بصراحة- مجرد أمور فى خيالهما فقط لأنه لم يكن هناك المزيد من المحظورات التى يمكن اتخاذها بعد هروبى من البيت، ولا بد أنهما كانا يتساءلان عن الشخص الذى كنت أنام معه فى ذلك الوقت، ما الذى كنت أتعطاه، إلخ... إلخ...

لقد حطمنى ذلك التفكير فيهما بالفعل، وأنا أتخيلهما يقطعان المنزل ذهابًا وإيابًا فى انتظار عودتى وهما فى شدة الغضب ويقومان بالاتصال بكل أصدقائى ومعارفى، ويعتقدان أننى سأكون معهما فى الغد، بينما كنت أنا فى هذا الوقت على بعد مائة ميل من المنزل، لقد اكتشفا ذلك فى صبيحة يوم الاثنين عندما وصلهما خطابى.

ثم تغيرت فونى وأصبحت هادئة معى جدًا، وقالت: "ألا تعتقدن أنه يتوجب عليك أن تتصلى بهما وتخبريهما بأنك بخير؟".

قمت بالإيماء نحوها فقط، يا له من نفاق، لقد كنا نقوم بسرد الحكايات عن الرعب الأبوى والآن تريدن منى أن أكون لطيفة معهما!.
سألتهما: "لماذا؟".

- "لأنهما لا بد أن يكونا قلقين، على الأقل يمكنك أن تجعليهما يعتقدان أنك بخير. وأخبريهما عن الموعد المتوقع لعودتك".

سألت: "وهل أقول لهما أرسلنا لى الجواكت الصوفية".

- "لا، كما قلت، فقط دعيهما يعرفان أنك بخير".

قال ريتشارد وهو ينظر إلى السقف: "أعتقد أن ذلك سيكون فكرة جيدة".

حسنًا، لقد تمكنوا من حصارى، أليس كذلك؟ واستمررت فى الحديث عن موضوع الخطاب الوارد فى صباح يوم الاثنين، ولكن ذلك لم يكن كافيًا، لا بد أن أمى وأبى كانا منزعجين الآن، وقد حاولت إيضاح أن هذا الأمر يعد تقدمًا ملحوظًا فى هذه المرحلة، وحتى تار نصحنى بالاتصال بهما، ثم أراد بالطبع أن يتصل بوالدته هو أيضًا، وكان ينبغى علينا أن نناقشه فى ذلك الأمر.

فى تلك اللحظة، كنت أمل أن يوقفهم الحديث مع تار عن التحدث معى، ولكن بمجرد أن انتهى تار من موضوعه عادوا للمحاولة معى مرة أخرى، كان كلامهم مثل السياط، لذا لم أستطع أن أصمد أمامهم، وقبل أن أدرك كيف حدث ذلك؟ كنت واقفة هناك أمام كابينة تليفون أجهز بعض العملات المعدنية وأفكر... كيف استطاع هؤلاء الخنازير أن يقنعونى بالاتصال بهما، كيف حدث ذلك؟

- "جيما... أين كنت؟ أين أنت الآن؟"

- "أنا بخير، أنا فقط...".

- "لقد كنا منزعجين جدًا...".

- "إنها العاشرة والنصف فقط...".

- "إنها الحادية عشرة، وكان يجب عليك أن تكونى هنا منذ ساعة ونصف مضت، لقد اعتقدت أننا انتهينا من ذلك؟ أعتقد أن الأمور بدأت تتحسن بيننا، وأن والدتك..."

- "انظر أنا أتصل الآن لتعرفوا أننى لن أعود الليلة...".

- "أنت... من الأفضل لك أن تعودى، هل التفتك أحد أصدقائك الذين على الشاطئ مرة أخرى؟ هل حدث ذلك؟... لا يجب ذلك يا جيما... هراء هراء...".

ثم ترك سماعة التليفون، وكان ذلك هو كل ما قاله، أبعدت السماعة عن أذنى وهمست "من فضلك من فضلك لا تفعل ذلك بى".

كنت واقفة فى ركن الحانة وأنا أدرك تمامًا أنهم جميعًا كانوا ينظرون إلىّ، لم أستطع أن أتحدث إليهما، وكان أبى يصرخ بشدة، لم أستطع حتى أن أبدو غاضبة لأن الجميع كانوا ينظرون إلىّ، لذا كان ينبغى التظاهر بأننى أقوم بإجراء مكالمة عادية مع شخص عادى، فتظاهرت بالاستمرار فى الحديث معه.

- "آه، نحن نحظى بوقت عظيم، شكرًا، أجل، تمام، سأكون حذرة...".

- "نعم، شكرًا يا أبى. سأراك غدا... نعم، أعط أمى قبلة كبيرة...".

وعاد أبى للحديث معى واستمر يقول: "لماذا تخاطبيننى بهذه الطريقة؟ هل تتهكمين؟ جيما ما الذى يحدث؟ انظرى، دعينا نتجاوز ذلك، يجب أن تعودى هنا فى خلال ساعة ويمكننا مناقشة...".

- "لا لن أعود، لقد تناولت طعامى منذ وقت قصير، شويينا بطاطس، سأتصل بك مرة أخرى، من المحتمل أن يكون ذلك غذا، حسناً. أراك قريباً يا أبى، شكرًا".

- "وداعاً...".

ثم أغلقت الهاتف.

لم أعرف لماذا أغضبني ذلك كثيراً، لمجرد أننى لم أكن مستعدة لذلك، فقد تركت المنزل وهربت بعيداً، ولم أكن على استعداد للحديث معه، وقد تم مفاجأتى بذلك.

وقفت لبرهة أحملق فى الحائط محاولة ألا أبكى، لن يكون جيداً- بالنسبة لهم- أن يرونى أبكى بعد الحديث مع أهلى.

أنت فونى نحوى بعد دقيقة، وحاولت جعلى أبتسم، لكننى أشحت بوجهى بعيداً عنها.

قالت: "هل أنت على ما يرام يا جيما؟" واقتربت ثم لمست ذراعى قائلة: "هل الأمور على ما يرام فى المنزل؟".

آه... تلك البقرة الغبية! ما الذى تعتقده عن سير الأمور فى بيتنا، أغلقت عينى وأومات برأسى، شعرت كما لو أنها كانت تحفر حفرة فى رأسى، لقد جعلت الأمور صعبة، لكنى نجحت فى أن أهمس: "انظرى، لقد فعلتها، هل هذا يكفى؟".

فكرت فى ذلك، وخرجت إلى دورة المياه من أجل أن يستعيد وجهى وضعه الطبيعى، ويزول ما عليه من دموع.

كانوا ذاهبين إلى حفلة بعد ذلك، ولكن لم أكن أتخيل أنها ستكون فى ذلك التوقيت، كنت أحظى بوقت ممتع بالفعل، لكنى أصبحت الآن أحس بالانقسام، انقسام كلى داخلى، كما لو أننى أطير إلى القمر ثم أعود بدلاً من أن أستقل الأتوبيس إلى بريستول لأعود إلى منزلى مرة أخرى.

عدنا أنا وتار ومكتنا فى غرفته، كنت غاضبة منه لسيره معهم، وقد دار بيننا جدال ثم بدأت فى البكاء و...، لم أستطع أن أظل غاضبة منه لفترة طويلة، وعندما رأتى أبكى أصابه الحزن، فبدأ فى معانقتى وهو يتأسف: "آسف، آسف...".

بدأت الدموع تلمع فى عينيه، وفكرت فى أننى لم أقطع كل هذه المسافة لنقع أنا وتار فى أيدى هذين الاثنين من الجنرالات، أردنا إنعاش أنفسنا، وأردت أن أشعل ناراً، ولكن لم يكن ذلك مسموحاً لنا بأمر من الجنرالين (ريتشارد وفونى)، فقد يعتقد الجيران أن هناك حريقاً ويقومون باستدعاء المطافئ.

لم يكن مسموحاً لأحد أن يعرف أن ذلك المنزل هو ساحة نقيم فيها معاً، ولم يكن مسموحاً لنا أيضاً بإضاءة الكهرباء، لنفس السبب، بدأت أشعر بالغضب من قائمة الأشياء غير المسموح لنا بفعلها، ولكن تار أشعل بعض الشموع فى زجاجات، وقام بإعداد قهوة لنا، وجلسنا على الأرض فوق كومة من الوسائد، وتناولنا القليل من السجق، وتحدثنا لفترة طويلة عن... لا أرى، لقد تحدثنا عن كل شيء.

ثم حان وقت النوم، وكان لدى حقيبة النوم الخاصة بى التى كنت أستخدمها فى المعسكرات، وكان لدى تار حقيبة نومه الخاصة، وأخذ يحاول أن يجعلنى

أحصل على قسط من النوم على ما جلبه من فراش، فشعرت بأننى أفقد أعصابى بسبب ذلك وقلت: "حسنًا... حسنًا" وكان لدى هديته التى أحضرتها له، ولكن لم أرد أن أفسده بها.

شعرت بالخلج فى هذه اللحظة، وكنت قد وضعت مرتبتى بجوار مرتبته وخلعت ملابسى ووضعتها فى حقيبتى، عندما كان تار خارج الغرفة، كنت أعتقد أننى قد فعلت الصواب وفعلت ما أريده، وهو يستطيع القيام بالباقي.

دخل تار وأطفأ الشموع وخلع ملابسه فى الزاوية، وارتنى بيجامته، ثم انزلق داخل حقيبة نومه، وظل راقداً، كنت غاضبة وحانقة، فجذبت الحقيبة إلى أنفى، وكان شعري وعيناي بارزة له على بعد ثلاثة أقدام من عينيه المغلقتين المستعدين للنوم، وكان أسوأ ما فى الأمر هو أننى قد بدأت فى الشعور بالبرد، وإذا استمر الحال على ذلك كنت سأجمد، وكان يجب على أن أرتدى البيجامة أنا أيضاً.

رقد تار لمدة عشر دقائق وهو على نار، ثم قال: "يمكننا تناول السجق؟".

- "حسنًا".

ثم قام بجذب مرتبته نحوى...، محاولاً أن يقبلنى ثم وضع يده حول عنقى واستطعت أن أشعر بأصابعه تنزلق هابطة نحو كتفى...

كنت أراقبه، ورأيت عينيه تتفتحان وتلتقطان منى نظرة، ثم أغلقهما بسرعة وانزلت أصابعه أسفل إلى وسطى ثم إلى...

وتلك كانت هديتى له، انظروا... لم أكن مرتدية سروالاً.

فتح تار عينيه وابتسم لى وابتسمت له، وقال: "إن حقيبة النوم مزدوجة".

- "آه".

والصقت الحقيبتين معاً.

خرج من حقيبتيه، وكان على وشك الانزلاق نحوى عندما قلت، "هل لديك شيء؟".

- "آه... لا".

كان ذلك هو أول لقاء جنسى بيننا وكان مؤلماً بالطبع، وجلست فى السرير وأخذت كوباً من القهوة الباردة التى صنعتها بنفسى وسألته: "هل يجب على القيام بكل شيء؟ وأخذت فى ارتشاف القهوة.

"أنا آسف، أنا حقاً غيبى".

حسناً... كان يجب عليه أن يستخدم عازلاً طبياً، كيف كان يمكن له أن يعرف ذلك؟ لم يكن تار فتى ذا خبرة على الإطلاق، وكان ذلك الأمر شديد الوضوح.

قال: "انتظرى... " ثم أخذ فى الخروج والدخول إلى الغرفة مرتدياً الجينز، واعتقدت... آه، لا، لقد عرفت ما الذى كان يفعله، كان يريد أن يقترض من فونى وجيرى... وكنت نصف مسرورة ونصف غاضبة... لأن ذلك كان أول مرة بالنسبة له.

لم أكن أريد له أن يستخدم عوازل طبية قديمة يقترضها من الآخرين.

غاب لفترة طويلة، لمدة نصف ساعة، ثم عاد سريعاً ليلحق بى قبل أن أذهب

فى النوم.

- "آسف".

- "ما الذى حدث؟".

- "لقد ترددنا قليلاً فى إقراضى العازل".

- "لماذا؟".

- "أنت فى الرابعة عشرة فقط، انظرى، و...".

فهمت قصده، ودارت مناقشة طويلة حول ما إذا كانت جيما كبيرة بدرجة كافية، وقد جعلنى ذلك أغضب بشدة، فجلست وأنا أعلى من الغيظ، أما هو فقد كان يدور فى داخل الغرفة، ثم أتى وجلس أمامى، وسألنى إذا كنت لم أعد أريد ذلك، لقد كان ذلك فظيلاً، كان ذلك- بالضبط- أحد الأشياء الذى أردت أن أتجنبها، لقد اعتقدت أنه سيكتشف أننى لم أكن أرئى أى شىء على الإطلاق وأنا داخل حقيبة نومى، وذلك ما حدث، وهو الآن جالس هناك فى جينزهِ الأزرق، وقد ارتدبت صديريتى، لقد شعرت بالبرد من كثرة الانتظار.

قلت: "لا تهتم"، ثم التفت مبتعدة عنه، ولففت نفسى مرة أخرى فى حقيبة نومى، وكأننى أردت الاستغراق فى النوم، كنت أشعر به واقفاً هناك للحظة ثم دخل إلى حقيبتِهِ... رقد قريباً منى وأخذ ينظر نحوى.

حسناً... يجب عليك العمل أحياناً بجد أكثر من ذلك.

التفت وقبلنى، ثم انزلق خارجاً من حقيبتى، ورقد هناك منتظراً لفترة قصيرة، وذلك على الرغم من أننى أخبرته وقلت له أنه كان مستثاراً بالفعل، كان يخطط لشيء ما، وتعانقنا، وأصبح الجو دافئاً جداً، وخلال برهة قصيرة وجد... طريقة ليرتفع ويحيط بعنقى...

قال تار فيما بعد فى صوت ضعيف: "أنا أحبك".

وقلت...

آه... لقد شعرت بالأسف الشديد من أجله، ولكن لم يكن لدى شىء آخر أقدمه له، كما تعرفون، لقد كانت- مجرد- لحظة عشناها معاً، أقصد أنه كان حقاً بالنسبة لى شخصاً خامناً ليس لديه أى خبرة، لكن... شعرت بأن أى شخص يمكنه أن يأتى وينفخ بقوة فقط وعندئذ سأطير بعيداً عنه ذاهبة مع الرياح، وينتهى كل ذلك الأمر إلى الباب المجاور، أو على كوكب آخر مع شخص آخر، فى أى مكان بسبب هبوب الرياح فقط.

لم أرد إيلامه أو جرحه.

قمت بوضع إصبعى على شفتيه وقلت: "ششش".

واستطعت رؤيته ينظر إلىّ، لقد انجرح فشعرت بالانزعاج وقال: "لقد فعلت أقصى ما فى استطاعتى، ولكن بأى حق كان لى أن أحبك؟".

قلت: "لا تقل ذلك".

ساد صمت طويل ثم قال هذا اللفظ الطريف...: "الهندباء".

نظرت إليه فقط، لقد كان ذلك بلا معنى، وقلت: "ما معنى ذلك؟".

ابتسم، فعدت إلى الابتسام لأننى أدركت...

أعطانى تار لوحة قام برسمها للهندباء، كانت لوحة جميلة، لم أكن أعلم ما الهندباء أو ما الذى يعنيه بالنسبة له، ولكننى عرفت ما الذى كان يقوله، كان يقول أنه لا يزال يحببنى حتى لو...

لقد أردت أن أقول شيئاً ما له... أن أخبره أنني شعرت بمشاعر كثيرة نحوه على الرغم من أنني لم أحبه، لم أستطع أن أقول هندباء، لذا قلت "ليدى بيرد" (تلك الحشرة الصغيرة الملونة بألوان جميلة)، كان ذلك ما طرأ على ذهني في هذه اللحظة، ضحك وقال: "لماذا الليدى بيرد بالذات؟".

قلت: "لأنها ظريفة ويحبها الجميع، وهي جميلة وملونة وحمراء...".
أخذ في تقبيل فمي...: "وهم يحبون الهندباء قليلاً" قلت ذلك، وأنا ألمس أنفه بطرف أصبعي، وكأنني أخبره بأن يتوقف.

ابتسم تار وأشار قائلاً: "هندباء" ثم قال: "ليدى برد".

- "هندباء".

- "ليدى برد".

حقيقة أنا أحببته فعلاً في هذه اللحظة أكثر من أى شخص، أكثر من نفسي حتى لو كان كل شيء سينتهي في الغد.

قبل فمي واقتربنا من بعضنا إلى أقصى درجة ممكنة.

(٧)

ريتشارد

أنا فوضوى

أنا المسيح الدجال

لا تتمن ما أريده، لكننى أعرف

كيف أحصل عليه.

أنا أريده وأحصل عليه.

"المسدسات الجنسية"

ولكننى كيف أحصل عليه.

حانت ساعة العمل لتنفيذ خططنا، وكنا سنبدأ ببنك باركليز فى الهأى ستريت، وقد ارتديت لهذه المناسبة تى-شيرت، وزوجاً من أحذية دول مارتينا ذات اللون الأخضر الفاقع، مرسوماً عليها نبات الأقحوان عند الأطراف، وطلبت من تار أن يرسم هذه الأقحوانات لى بعد أن رأيت لوحته للهندباء، إنه عبقرى، لقد بدت الرسوم عظيمة حقاً، وأنا لى قدماى كبيران، آه... وفخذى مثل فخذ العجل، وكان يجب على أن أرتدى جاكيت فوق التى-شيرت، لكننى فضلت أن تكون

ملابسي خفيفة نوعاً ما، وكان هناك عشرون أنبوبة صمغ من ماركة لوكتيت في حقبتى.

ارتدت فونى- أيضاً- بلوزة ذات خطوط سوداء وصفراء، وجوارب طويلة صوفية، وكان ذلك هو الذى جعلها تبدو كدبور ضخمة، وكانت بالطبع تخلو من أى جاذبية، لم أتمكن من جعل جيرى يرتدى أى شئ على الإطلاق، على الرغم من ارتدائه لملابس سوداء، تلك التى استطاع أن يجدها، ولكنه كان دائماً يرتدى ملابس سوداء اللون، وقام فى البداية بنكش شعره، وقد حاولت أن أجبره على وضع بعض ظل الجفون الأسود أو المسكرة فى عين واحدة على الأقل، ولكنه لم يفعل ذلك إلا عندما لحقت بنا جيما، لقد جعلها تأتى معنا من أجله هو، وينبغى أن أقول إنه بدا نحيفاً نوعاً ما، توقعت أن يطلب منى أن أضع له بعض المكياج لأنه يظن أننى شاذ جنسياً، وأنا لست كذلك بالطبع، أنا أمثل أنى كذلك فقط، وفى الحقيقة إننى عذب منذ خمس سنوات، أنا لا أعترض على الجنس بل على السياسة.

ارتدت جيما فستانها الجميل، وقامت فونى بعمل مكياج كما لو كانت نجمة فى أفلام فترة الأربعينيات، واستخدمت كميات كبيرة من البودرة، ورسمت أحد أسهم كيوييد على هيئة الفم واستخدمت أحمر شفاه برأقاً، وأرادت أن ترتدى زوجاً من الأحذية ذات الكعب العالى لكننى اعترضت على ذلك ، فقد يتوجب عليك أحياناً الجرى هرباً.

أما بالنسبة لتار فقد كان متحمساً لذلك جداً، ولكن يمكنك القول بأنه وجد أن الاستمرار فى ذلك الحماس صعب، وقد طلبت منه جيما أن يرتدى ملابس غريبة ولكنه رأى أن ذلك لن يودى إلى جذب الكثير من الانتباه إليه، وتركناه يفعل ما شاء ولكن ذلك أدى إلى شعوره بالإحباط لعدم الاهتمام الكافى به أو الالتفات إليه.

هذه هى الطريقة الواجب اتباعها فى تنفيذ خطط إغلاق البنوك وليس طريقة بونى وكلايد (ذلك اللص الشهير وزوجته)، ولا طريقة العصابات ولا الصخب وبانج بانج بانج أو طرق تلك الفرق الموسيقية للشعوذة.

أنت ميت... حقاً ميت، ويوجد الكثيرون مثل روبين هود (لص الغابات الذي كان يسرق الأغنياء ويعطى الفقراء فى إنجلترا)، وكنت أقصد روبين هود كما صورته والت ديزنى فى أفلامه.

ذهبنا إلى بنك باركليز، وصعدت إلى الباب ووضعت فيه الصمغ القوى، وكان ذلك هو الجزء السهل فى العمل، مجرد وضع القليل من الصمغ فقط، نقطة... نقطة فى القفل، وفى الصباح ستكون الأبواب موصدة وتصبح النقود حبيسة البنك.

إنهم يكرهون ذلك.

كان موضوعاً على الباب لافتة مرسوم عليها ألصق نفسك، وتوقيعاً باسم الفوضى وعبرة أحصل على كارت النداء الآلى من صندوق الخطابات، لكنه ذلك كان مجرد خدعة بالطبع، وقد استغرق ذلك بعض الوقت، هل لاحظت من قبل أن أبواب البنك تكون مكشوفة ومسلطاً عليها الضوء دائماً، حاول الاختباء فى الظلام خارج أحد البنوك، دائماً يوجد نور الشارع، لا بد أن لديهم اتفاقاً ما مع مجلس المدينة على ذلك.

لكن تلك الأضواء؛ لم تكن تلك حيلة كافية بالفعل لخداع اللصوص، وكان يكفى مجرد الانتظار فقط لكى لا يراك أحد، ولكن ذلك جعل فونى عصبية قليلاً، ولو كنا قد اتبعنا رأى فونى لكنا قمنا بوضع الصمغ فى الحال.

لا يمكنكم تصور مدى استمتاعى بفعل ذلك الشيء، وكانت جيما تضحك فى هيسترىا عندما كنت أقوم بكتابة العبارة التالية "هذا ملتصق"، وذلك باستخدام قطعة من الطباشير الأخضر، لقد كانت ضحككتها جميلة، إنها نوع من الخروج والطفو من الظلال إلى نسيم الليل، وكنت أتمنى أن أرسل ذلك من خلال صندوق الخطابات أيضا، لكنى اكتفيت بتزوير الكروت الخاصة بسحب النقود، إنها ليست سينة على الرغم من أننى صنعتها بنفسى فى المنزل بجهاز الطباعة الإستسل، وقمت بتلوينها بيدي، وكان يوجد فى كل كارت صورة صغيرة لطيفة لكل شخصية من الشخصيات المحبوبة الموجودة فى قصص الأطفال.

لقد تم

إغلاقك

بقرار من (فوضوى فى المملكة المتحدة ليميتد)

وقمت بعرضها على الجماعة قبل أن أدفع بها إلى الداخل، فضحكت جيما، وبدأ تار مندهشا، وصفرت بشفتيها ونظرت إلى الطريق من أوله إلى آخره.

أنا شخصيا كنت أريد أن يتم القبض على، ولكن ذلك لم يحدث حتى الآن، هل يمكنك أن تتخيل ما الذى ستفعله الشرطة بنا؟

ثم انشغلت قليلا لكى أنتهى من كتابة الالفة "الصق نفسك"، ولونتها تلوينا مزدوجا بطباشير أحمر، وأخذت فونى فى جذبى قائلة: "هيا، لدينا خمسة عشر شيئا آخر ينبغى علينا عملها".

قلت: "ما زال لدينا الليل كله"، وأبعدت الطباشير جانبًا، واستمررت فيما أفعله، ولم يبد عليهم أى انزعاج من ذلك.

إن الفوضى يحب العروض المسرحية، هذا هو كل ما فى الأمر، والناس ينسون أنه يجب عليك أن تسخر من الشيطان لا أن تحاربه، لكن كل الناس لديهم المزيد من البنادق ولديهم - دائمًا - تلك القنابل التى تحدث دويًا هائلًا عند انفجارها، لا يهم الإزعاج الذى يمكن أن يسببه ذلك بالنسبة لك، إنهم يكونون دائمًا على أتم الاستعداد لكى يصبحوا أكثر إزعاجًا بالنسبة لك ولديهم خبرة ودراية بالنسبة لتلك الأمور أكثر منك بكثير.

كانت أدواتى عبارة عن مجرد صمغ وملصقات فقط، لن يتم أذية أحد، وسيقتضى كل واحد منهم وقتًا ممتعًا بمن فيهم ضحاياى؛ لأنهم سيحصلون على يوم إجازة، لم أسمع أبدًا أحدًا يشكو من ذلك.

أخذت فونى خارج حارة "تات وست" من شارع "شيزم"، وهمست قائلة: "جبرى يدخن المخدرات".

قلت متسائلًا: "آه" أقصد ما الجديد فى ذلك، منذ متى كان جبرى لا يدخن؟".

- "نعم، ولكنه يعطى بعض المخدرات لجيما...".

قلت: "يا للهول".

سألت فونى: "ما الذى سنفعله؟".

قلت: "سوف نلعبها كما يجب، لقد أرسلت كارتى وقدت الخارجين عن القانون إلى الطريق لبنك "إتش-أس-بى-سى HSBC" الذى يبعد ثلاثة متاجر من هنا، وأنا أسألك ما الذى تحتاجه لكى تسرق أربعة بنوك فى شارع واحد؟".

مجموعة فوضويى بريستول

ندعوك

أن تعود إلى الفراش

تمتع بيوم طيب

على الرغم من أننا لسنا مجموعة منظمة بمعنى الكلمة فإنكم تفهمون، أنه أنا فقط الذى أقوم بالعمل، بالإضافة إلى كل من أتمكن من ضمه إلينا فى الليل، ولكى أكون أممياً وفوضوياً حقاً، لم أكن مهتماً أبداً لما إذا كانت جيما تدخن فعلاً قليلاً من المخدرات، لكننى بكل أمانة كنت أفضل ألا يدخن جبرى أثناء عملنا هذا، لأنه إذا تم إلقاء القبض علينا فإن ذلك سيفسد الأمور كلها، وسيعطيهم سبباً كافياً وعذراً يمكنهم أن يتمسكوا به، أنت تعرف... مخدرات... فوضويون... بانكى... مجانين يلصقون البنوك...

ولكن لا تزال هذه العملية تكاد تكون بالكاد عملية عسكرية، ولماذا لا تشارك جيما فى ذلك الأمر؟.

لقد قلت السبب في ذلك: "يا للهول"، فقد كانت فونى تمر بمشكلات معها، وكانت هذه هي عاداتها دائماً، فقد أرادت جيما أن تقوم بعمل شيء، ولكن فونى أرادت أن تقوم بعمل شيء آخر، إن ذلك ما يطلق عليه سياسة، أنا أكره السياسة.

سارت فونى بجانبى وقالت: "إنها فى الرابعة عشرة فقط من عمرها، ويمكنك تخيل ما يمكن أن تثيره الشرطة أو الصحافة بسبب ذلك".

- "إفساد شباب الأمة، هل تقصد ذلك؟".

- "بالضبط".

- ابتسمت ابتسامة خفيفة وقلت: "لكننا...".

كانت المشكلة هي أن فونى خرجت فى حركة اللصق لأنها تعتقد - حقيقة - أننا نؤثر على سير حركة التمويل فى المنطقة، وأن الناس سيفقدون أموالهم، وأن الاقتصاد كله سوف يضطرب، وما إلى ذلك من أمور.

أقول أعط ما لقيصر لقيصر وأنا أقوم بالصيد والعمل من أجل القلوب والأرواح، قلب مدير البنك وموظف البنك، ولأجل جيما وتار، لأجل فونى... نعم، ومن أجليكم قلوبكم أنتم أيضاً.

استمر - كن شيطانياً. افعل أقل ما يمكنك فعله. امكث اليوم فى الفراش.

الفوضى

يقترح عليك أن تفكر مرة أخرى!!!

دار بيننا نقاش خارج بنك التعاون، وكان جيري يرى أنه كان يجب علينا أن نترك هذا البنك لأننا تعاونيون.

قلت له: "إنه لا يزال بنكاً مثل باقي البنوك".

وتم تصميغه.

وكان يبدو على جيما وجيري أنهما يقضيان وقتاً طيباً، لكننى أصبحت عصيياً قليلاً بالفعل، وأصبحت ضحكات جيما هيسيرية قليلاً، وأخذت تهذى ببعض الكلمات، وأصبحت فونى أكثر انزعاجاً مما كانت عليه من قبل، كانت تمشى أمامهم وهى تختلس النظر بغضب من فوق كتفيها، وقد استنتجت أن جيري قد تجاهل رغبتها فى عدم لوم جيما على ما تقوم به من أفعال، وكان تار يسير مع فونى مستغرقين فى نقاش يبدو ساخناً وأراهن على أنه كان مناقشة سياسية، وكان الحديث يدور عن جيما.

آه يا إلهى.

إن السياسة تدخل فى كل مكان.

وعندما تسير فى شارع طويل فى بريستول فإن أشياء كثيرة سوف تدور حولك، حيث تنتشر المحلات مثل محلات الجزارين على سبيل المثال، وكنا واقفين خارج محل جزارة، لكننى نباتى، وهذه قضية فى حد ذاتها.

وأخذت أضواء الشوارع حولنا فى الخفوت مشعلة الوقود النباتى، وكانت البنوك وشركات التأمين تستثمر الأموال فى الموت والمرض، وكان الكيميائيون يبيعون مستحضرات التجميل التى تم اختبارها عن طريق وضعها بالقطارة فى أعين القروء، وقد أصبحت الفرصة متاحة أمام فونى لنشر القليل من الوعى والاهتمام السياسى لدى الآخرين.

كانت النجوم تتلألأ فوق رعوسنا، فقد كانت ليلة جميلة، وعندما تخرج وترفع رأسك ناظرًا فوق الأسطح وإشارات المرور والناس، يمكنك سماع هبوب الريح بين الأسطح والنجوم العالية، إذن ما الذى كانت تقوم فونى بفعله؟ إنها تصب فى أذن تار كلامًا عن جيما.

وكان هذا هو كل ما يحتاجه تار.

فهو لم يكن يحتاج إلا لذلك الشيء الذى يعزز ويقوى علاقته بنا، ذلك فقط هو ما كان فى حاجة إليه بعد أن قضى أربعة عشر عامًا وهو يتربى على أيدي والديه، هذان الوحشان البشريان.

وكانت فونى شخصية حبوبة، إنها كالأم الحنون، دائمًا تأتي إلى المنزل بقطط ضالة، وتقدم لها البسكويت وتعطى النقود للمتسولين، كانت دائمًا تحاول التأكد من أن جبرى يتناول طعامه وتقوم بغسل جواربه بانتظام، وتحاول دائمًا التأكد أن الأمور السيئة لا تدخل إلى رأسك، وأنت لا يرتفع صوتك عاليًا وأنت تضحك.

أنا أحبها ولكنى أشك أحيانًا فى أن أفكارها أكثر قربًا للأفكار الشيوعية.

لا عمل اليوم
لا تقل إنك
أصببت بخيبة أمل

ربما تظن أنني ثرثار قليلاً، نعم أنا كذلك، لكنني أعتقد أن يوماً واحداً قد يكون كافياً بالفعل لجعل عدد كاف من الناس يبدعون في التفكير، لماذا أحظى بمثل هذا الوقت السيئ، في أغلب الأحوال، ولماذا يصبح من المهم جداً لي أن أجعل يوم الآخرين سيئاً ويعانون هم أيضاً من مثل هذا الوقت السيئ لكي أتأكد أنني أستطيع أن أستمّر أنا نفسي في قضاء ذلك الوقت السيئ.

ولو استطعت إقناع عدد قليل من موظفي أحد البنوك بالتفكير في المكوث بالفرش قليلاً ربما أكون قد فعلت شيئاً لتغيير العالم، وإذا استطعت أن أفعل ذلك وأنا أرثدي أحذية ضخمة برقبة خضراء ذات رسومات للأقحوان في مقدمتها فسيكون ذلك أفضل.

يجب أن أقول أنها لم تكن أنجح عملية لصق قمت بها في حياتي، فقد كان بها الكثير من التشنّج والارتباك، وكانت فوني تعيش في المنزل وقت وصولنا إليه، وبدا تار كما لو أن سيخاً حديدياً قد وخزه ببطء، لا بد أن يكون لي كلمة معه.

استطاعت جيما التحمل، الحياة جميلة، أليست كذلك؟ أحياناً؟.

سألت فوني: "ماذا ترى بالنسبة لمشاعر أهلها تجاهها".

- "إنهما يحاولان الاحتفاظ بها وإبقاءها معهما في المنزل، إنهما ليسا مثل والدي تار، أليس كذلك؟".

حسناً، المهم أن فوني كان لديها رأيها الخاص.

(٨)

جيما

مررنا بوقت عصيب، تصميغ البنوك، التشارك فى دورة المياه والاستحمام، تناول بطاطس مشوية وفاصوليا فى الغداء كل يوم. واو... ياه... كله تمام حقًا، لقد كنت أفكر كثيرًا كما تعرفون، أين الحفلات الصاخبة، أين حياة الشارع؟ أين المدينة؟.

ولكن تار كان يستمتع بهذا الوقت العظيم، وذلك هو الذى جعل كل شىء على ما يرام، بأمانة... كان يعتقد أنه فى الجنة، لقد أحب كل شخص هنا، أغرم بريتشارد، وأحب- حتى- فونى على الرغم من أنها كانت تبدى عداوة واضحة تجاهه.

وبالطبع لقد كنت أنا معه.

كنا نسهر لأوقات متأخرة كما نشاء، ونستيقظ عندما نريد، واستطعنا أن نكون معًا طوال النهار والليل،

ولا بد أن أعترف أن ذلك كان جميلًا جدًا حقًا، ولكن لو لم يكن تار هناك، لما استطعت قضاء اليوم بدونيه ولكنه كان هناك.

ونظرًا لأن تار لم يكن لديه أى نقود وكانوا يطعمونه فقد كان يقوم بتنظيف المنزل وترتيبه، وكان ريتشارد يأتى يوميًا إلى المنزل، وفى يديه عدة جالونات من المعاجين والدهان، وكان تار يستيقظ فى التاسعة صباحًا كل يوم، ويدهن غرف المنزل غرفة بعد أخرى بلون شاحب مقرز، بالطبع كنت أنا أيضًا أعتد عليهم فى تدبير شئون معيشتى، ولم أكن حرة التصرف فى مائة الجنيه التى كانت معى، لذا كان ينبغى على أن أساعده، وقد توقفت- فى الحال- عن الاستيقاظ فى التاسعة صباحًا، وأصبحنا نستيقظ فى منتصف النهار، وكنا نقضى النهار ونحن نقلب فى الفراش، ونقضى فترة ما بعد الظهر فى الدهان والطلاء.

ومنذ أن بدأنا فى النوم معًا، جعلته كالمجنون، وكنا نستمر فى العناق، وكلما خلعت ملابسى كانت تظهر علامات أصابعه على جسمى كله.

كان تار رفيقًا عظيمًا، لا بد أنه فكر فى كل شىء فى لحظة أو أخرى لأنه كان لديه دائمًا شىء ما ليقوله لى، كما أنه كان دائم الإنصات، لقد ظل يتظاهر بأن لديه القدرة على العمل وتعويض كل ما فاتته، وكان يشعر كما لو أنها كانت غلطته هو وحده لأنه جعلنى أترك أهلى وأعيش معه، وكنت أقول له بعض الأشياء الغريبة كعادتى دائمًا، لكنه كان لطيفًا معى، أقصد أنه كان يحب ما أقوله من نكات ومزاح، كنا نستغرق فى الضحك نصف الوقت تقريبًا، وكنا فى منتهى الانسجام والسعادة معًا.

ولكن من ناحية أخرى كان يوجد لديه بعض العادات المزعجة، وأعتقد أنه كان يهلك نفسه ليظهر فى شكل المتعاون، بقدر ما كنت أهتم له على قدر الإمكان، لقد كانوا يطعموننا، ولكننا كنا نعمل فى مقابل ما كانوا يقدمونه لنا، ولم تكن تلك غرفتنا الخاصة التى كنا نطليها، ولكن تار كان عطوفًا وشكورًا ولديه شعور بالذنب

تجاههم، لقد قضى نصف وقته مستغرقاً في العمل من أجلهم، يطبخ، وينظف ويعمل كل شيء، ولكن الشيء الآخر، الشيء الذي أثار فضولي كان الأحاديث غير المنتهية عني أنا، عن جيمما.

كانت فوني خلف كل ذلك بالطبع، كانت مهمة لكل ما هو صحيح وصائب، وكانت تسعى لإقناع كل شخص آخر بفعل الصواب، كانت كذلك مع كل شخص بالفعل، وكانت دائماً تقنع جيري بالقيام بفعل شيء ما، افتتاح المزيد من المساحات مع ريتشارد، أو الانطلاق إلى المطبخ أو ترتيب السرير أو غسل الملابس وكيها، لم يكن لديها الكثير من الحظ مع الآخرين، ولكن كان حظها أفضل مع تار، وذلك الذي أثار الشك لديها نحوي، لقد أحبها تار بالطبع، وكل ما كان عليها هو أن تعلن بصوت عال عن طلباتها من أجل عشاء الليلة حتى تجده قد أسرع وافقاً على قدميه يطلب منها بكل خضوع أن ينطلق إلى الحوانيت بحقيبة المشتريات لكي يلبي كل طلباتها، ولا يمكن تفسير ذلك بأنه كان من منطلق الشكر أو العرفان بالجميل تجاه ما يقدمونه لنا، لكنه كان ذلاً وخضوعاً تاماً منه تجاهها، كما لو كان يريد أن تكون أمّاً أخرى له، لقد تخلص - توة - من أمه القديمة، وأراد أن يستبدل بها أمّاً أخرى بأسرع ما يمكن.

لم تكن فوني تكن لي أي حب ولو قليلاً، وكان يمكن رؤية ذلك الشعور مرسوماً على وجهها بوضوح، فهي ترى أنني طفلة مدللة، ولم تكن تحب طريقتي في الحديث أو أسلوبى في التصرف أو مظهرى، وهي ترى أنني كان يجب أن أكون خارج حياتها في المدرسة أو في منزل أسرتى، لقد كانت تتصور أنه يجب على أن أعود طفلة رضيعة في صدر أمى.

وأنا أرى أن هذه هي مشكلتها.

كانت فى الأساس تقود حملة من أجل طردى من هنا وإرجاعى إلى المنزل، إنها لم تكن تعرفنى وكانت تتصور أن أفضل طريقة لجعلى أقوم بأداء أى عمل هو أن تقول لى: "لا تقومى به"، ولكنها كانت كذلك مع ريتشارد أيضاً، وقد استطعت أن أرى أن ريتشارد كان يوافقها دائماً، كان أكثر رومانسية، ولم يكن ذلك يفرق فى شىء، ولو كنت فى سن الرابعة عشرة فإنك سوف تكون ملكاً لشخص ما، وفى هذه الحالة سوف يكون ذلك الشخص هو أمى وأبى، وقد كانت فونى على هذه الحالة مع نار طوال الوقت، وكان يمكنك رؤيته وهو يحترق، لقد كانت تسكب عليه الزيت الساخن وتجعله يطقطق ويشوى على تلك النار، وهى تخبره كم كان أناثياً عندما قام بسحب فتاة صغيرة بريئة مثلى بعيداً عن حضن أسرتها المحبة الحنونة.

قال منتحباً: "ما الشعور الذى ينبغى على والدك الشعور به؟".

أخبرته: "أنهم يشعرون شعوراً حسناً مثل ذلك الشعور الذى ستجعله فونى تشعر به".

وظهر على وجهه نفس التعبير الذى كان لديه عندما كانت أمه تجعله يدور حول نفسه بحركة من إصبعها الصغير فى مدينة مينلى.

كان ريتشارد وفونى قد كونا من الناحية الفعلية نموذجاً جيداً للوالدين الصالحين، ولو كان لدى مثل هذين الوالدين فعلاً، بدلاً من الوالدين اللذين حبانى الله بهما، لما كنت قد فررت من المنزل، لقد كانا سيصبحان والدين ممتازين، وكنت سأستطيع الخروج وقضاء الليلة مع صديقى، وتزيين حجرى ودهانها بالألوان التى أحبها، وأن أظل خارج المنزل كما أريد، لقد كانا سيصبحان والدين ممتازين حقاً.

لكن المشكلة الوحيدة كانت فى أننى لم أهرب من المنزل لكى أبحث عن آباء جدد، أو أن أستبدل بوالدى الحقيقين فونى وريتشارد، لم أخبر تار بأى شىء عن ذلك بالطبع ولكننى كنت أفكر، حسناً، لقد كان ذلك مناسباً حتى الآن، سأجعل عينى مفتوحتين لكى أكسب أصدقاء حقيقين، أصدقاء أكبر من عمرنا أو أصغر قليلاً، من الذين لا يهتمون لموقفنا القانونى، لأنهم من المحتمل أن يكونوا- هم أنفسهم- خارجين عن القانون.

كنا نقوم بمقابلة الكثير من الناس، فقد كان لريتشارد وجينى وفونى أصدقاء كثيرون، وكان الليل هو الوقت المسموح لنا فيه بإضاءة الأنوار فى المنزل، والتجول على هدى الأضواء الكهربائية الحقيقية.

حسناً، لقد كان من المثير- بالفعل- العودة إلى استخدام الأضواء الكهربائية بعد الزحف على ضوء الشموع لمدة أسبوع، وأصبح لديهم بعض الأفراد القلائل الذين يزورونهم لأول مرة بسبب الإضاءة الكهربائية، مجرد أناس جالسين يتحدثون ويشربون بدون رقص ولا أى شىء.

أطفاً ريتشارد السماعات، وجلسنا أنا وتار فى الركن نتفرج مثل زوج من البيغاوات المستأنسة، وكان بعض الناس يأتون من وقت لآخر، كانوا لطفاء معنا، وكانوا جميعهم من الأصدقاء القدامى، وكان أحد الأشياء المثيرة التى سوف تحدث أننا كنا سنقيم حفلاً بمناسبة الانتقال إلى العيش فى هذه الساحة فى عطلة الأسبوع القادم، وذلك لافتتاح الساحة بصورة رسمية، حفلة حقيقية، رقص وأصوات عالية، وقال ريتشارد إنه سيدعو بعض الأشخاص الأكبر سناً منا، وكان ريتشارد يعرف الجميع، لقد افتتح العديد من الساحات من قبل، وذكر أسماء بعض الأشخاص القاطنين على بعد عدة شوارع من الذين يرعاهم ويهتم لهم، كما ذكر أيضاً أسماء

الكثيرين ممن قد يأتون... وبدأت أظن أنه ربما يكون ثمة فائدة فى ذلك، وقد كان الأمر كذلك حقًا، فإن أسبوعين من العيش على ضوء الشموع وطلاء المنزل كان فوق احتمالى.

ما زالت لدى مائة الجنيه التى سرقتها من بطاقة الفيزا الخاصة بأبى، ولم يكن يتوجب على أن أنفق أى شيء، فقد دفعوا ثمن كل الطعام، وكان فونى وجيرى يعطينانى السجائر، وفكرت فى نفسى... حسنًا، فى اليوم التالى أخبرت تار بأننا سنخرج.

هل تصدقون لقد استلزم الأمر منى مدة طويلة لكى أسحبه للخارج؛ وكان لا يزال فى حالة جنانه وهوسه بطلاء ذلك المنزل المتهالك، ومن الناحية العملية كان ينبغى عليك أن تحصل على موعد مقدمًا معه قبل أن تتمكن من عمل أى شيء بخلاف الطلاء وأمر أو أمرين آخرين فقط.

لقد جذبته تقريبًا إلى خارج المنزل، وخرجنا إلى المدينة لإنفاق قليل من النقود.

قضينا اليوم كله سائرين فى المدينة وطرقاتها، وبمرور الوقت وصلنا إلى "ولورث"، وكنت أعرف بالضبط ما الذى كنت سأفعله بنقودى، كان أول شيء هو شراء قطعة لحم برجر مقرقة ضخمة ومدهنة، وكان ذلك -تقريبًا- هو الشيء الوحيد الذى افقدته فى المنزل، اللحم، لقد كنت أحيًا على فول الصويا ولبن الصويا.

قاومنى تار بدعوى أنه نباتى، ولكننى زججت به إلى ماكدونالدز، وقمت بطلب سندوتشين ضخمين.

- "بقرة ميتة".

أجاب: "بقرة ميتة".

أكلنا برجر، وكانت لذيذة بشكل لا يصدق، ثم أخذنا قليلاً من المشروب غليظ القوام، وجلسنا نقرأ فى نسخة من خريطة المدينة، وكان هناك حانة فى "ألبرت شاييل"، وأعطيت تار بعض الجنيهات، وقلت له: "انتظرنى هنا".

ثم عانقته، لم أرد أن أجعله يمل أثناء تجوالى وشرائى للهدايا، كما كان تار أيضاً يريد أن يظل جالساً فقط، لقد كنت منبهرة بفكرة إنفاق مائة الجنيه الخاصة بى على حقائب النوم والأحذية الحديثة.

كنت أريد أن أنظف حياتى كثيراً.

أخذت الأتوبيس إلى السوق عند الأستاذ الرياضى، وقد كنا هناك من قبل، بعد ظهر يوم الأحد، يوم اللصق، لكنى لم أقم - وقتها - بإنفاق أى نقود، وكنت حريصة واحتفظت بعينى مفتوحتين، ما رأيته كان مماثلاً لما كانوا يفعلونه فى الساحة.

كان منظرى يبدو متخلفاً عن هذا العصر بحوالى ألف سنة.

هذا الفراء الثمين الجيد النوعية فى ذلك اليوم المشمس، كان يمكن أن يبدو مناسباً لوقت آخر، لقد كنت أبداً أكبر سناً من فونى، ويا لهول ذلك، لقد غيرت نفسها إلى شكل الموهيكان من أفراد قبائل الهنود الحمر، ووضعت حلقات فى أنفها بينما أظل أنا فى هذه البلوزة المنقوشة بالزهور.

كان أول شىء اشتريته هو جاكيت جلد أسود بعد أن عقدت اتفاقاً جيداً مع البائع، خمسون جنيهاً فقط ثمناً لجاكيت مستعمل، كان جاكناً جميلاً وجذاباً، وكانت

رائحته حلوة، رائحة الجلد الطبيعي، وبه سوستة فى الأمام، قد تقوم باستخدامه لحبس غوريلا فى الداخل أو فى الخارج، وذهبت لشراء بنطلون جينز جلدى أيضا، ولكنه كان غالى الثمن جدا، وعلى أى حال فإن البناطيل الجلدية تبدو منقوشة، وقد اكتشفت ذلك فيما بعد.

ولكن كان يجب أن تكون الملابس سوداء، سوداء، سوداء، لذا اشتريت رابطة عنق سوداء، وجونلة قصيرة سوداء وحذاء ضخما لامعا برقبة من محل ملابس عسكرية مستعملة، ودفعت فى كل ذلك عشرين جنيها، ولم أستطع أن أؤمن ما الذى كان يفعله قائد عسكري بارتدائه جونلة سوداء قصيرة، وتى شيرت، لقد تقبت أذننى ثم تقبت أنفى مرتين، كان ذلك مؤلما، وكنت سأفعل ذلك مرة واحدة، ولكن فونى كان لديها ثقب واحد، أقصد... ثم ذهبت للكوافير لتسريح شعرى، لقد أصبح لدى الآن عشرون جنيها فقط، كما أننى صبغت شعرى، وكان شكله جميلا. وكنت... حسنا، إننى أعترف بنفسى أن ذلك كان استنزافا لأموالى، ولكنه كان عبقرىا.

الآن أعرف ما تقولونه، إننى قد صرفت مائة جنيه، صرفتها فى كلام فارغ، لكنكم لو كنتم قد ذهبتُم لشراء مثل هذه المشتريات لما كنتم قد أنفقتُم أقل من مئتين وخمسين جنيها، ولكن كونوا عادلين، لقد كانت هذه هى المرة الأولى التى أتصرف فيها بحزم ومهارة، وقد قمت بتجميل نفسى قليلا، استيقظت من غفلتى وإهمالى لمظهرى وجمالى، وكان ينبغى أن أذهب إلى صالون التجميل للقيام بذلك، أسود على الشفايف، أى لينز للعيون، وما إلى ذلك من الأشياء ثم...

نظرت إلى نفسى فى المرأة وفكرت، جيما... مممم.

هذا المكياج كان يناسبني، لم أكن جميلة حتى عندما كنت صغيرة، لكنى أعتقد أنني قد حصلت على أفضل ما فى العالم حقاً، أعنى، إذا كنت تبدين جميلة وجذابة حقاً من البداية فلا عليك- حتى- أن تجربى، كل ما عليك هو أن تغمزى بعينيك وسيستأقط الجميع حولك، ولكن إذا بدأت متأخرة مثلى، وقد كنت أبدو كما لو كنت ضفدعة تتضور جوعاً وتعانى من مشكلة فى أسنانها، فيجب أن تسلك بطريقة أخرى لإصلاح هذه الأمور، لقد اعتدت أن أنظر إلى نفسى فى المرآة عندما كنت صغيرة الحجم، وكنت اعتقدت... يا إلهى، وكنت أتساءل هل ينبغى على أن أفضى حياتى كلها على هذا المنوال، وبهذا الشكل؟ ثم عندما أصبحت فى حوالى الثانية عشرة، لاحظت أن الناس قد بدأوا ينظرون إلىّ وشعرت أنى قد أخذت شكلاً آخر، واعتقدت أن شيئاً ما من التغيير يحدث لى وأننى قد أخذت فى التغير فعلاً.

بعض الناس كانوا ينظرون إلىّ فلا يجدون شيئاً خاصاً، مجرد فتاة ذات فم ضخّم جداً، وعيناها بعيدتان جداً عن بعضهما، ولكن أناساً آخرين كانوا ينظرون إلىّ ويرون فىّ شيئاً آخر، وكثيراً من المزايا ويحبون طريقيّ، وكان ذلك هو الأسلوب الذى أستطيع أن أعرف عن طريقه ما إذا كان ذلك شخصاً من نوعى أم لا.

لقد أبلت الفتاة بلاءً حسناً.

ودخلت محل عاديّات واشتريت هدية لتار، ثم ذهبت لمقابلته فى المقهى التى اتفقنا عليه.

كنت محرجة فى هذا الوقت، وكان ذلك مخجلاً، كنت أفكر فى أننا يمكن أن نحظى بليلة متوهجة حقيقية، وأن نشرب أو حتى يمكن أن نقوم بشيء مسل، لكنى

فقدت الأمل الآن، فمن يحتاج إلى النقود عندما يشعر بأنه في أحسن الأحوال، إن الأمر العظيم والحقيقي كان... إنه لم يتعرف على حقاً، كان جالساً على طاولة بجانب النافذة، وجلست أنا على الطاولة المجاورة له، وحملق في كما لو كنت غريبة، فكرت لماذا لا أختبر مدى رجولته وإخلاصه لي حقيقة، وبدأت في النظر إليه بشدة كما لو كنت أغريه، فرأيتَه وقد أخذته العصبية، إنه لم يكن يعرف ما الذي يحدث، وأخذت أنظر إليه ثم غمزت له بعيني غمزة سريعة، ورفعت رأسي نحوه فاحمر وجهه خجلاً، ثم نظر إليّ بعد برهة بفضول، وابتسم لي ابتسامة صغيرة باهتة، وفي المرة التالية تعرف على عيني عندما غمزت له، فنهضت وجلست بجواره.

اعتقدت أنه سوف يموت، ولكنني استطعت أن أرى وجهه يشرق منيراً كالفجر كلما اقتربت منه وصرخ في دهشة: "جيماً؟؟؟".

- "من تعتقد إذن؟".

آه لو رأيتم وجه تار في تلك اللحظة، لا يمكنك رؤية كل شيء في وجهه، لقد انذهل بشدة، قلت له: "أنا لا أستطيع أن أعود إلى المنزل الآن".

وكان ذلك حقيقياً، أنا لم أعد أشعر بأنني ابنة لأحد ولنودع السيد والسيدة بروجان وشأنهما، وقمنا معاً وذهبنا إلى الحانة سيراً على الأقدام، وكان الناس ينظرون إليّ بإعجاب، فكان يشعر بالفخر لكونه يسير معي، ولكنه كان يشعر بالخجل أيضاً بسبب ذلك الفخر، أنتم تعرفون ما أقصده، وبعد قليل تعود على هذه الفكرة وتعود على وضعي الجديد وبدأ يرغب في لمسي وجذبني إليه، ثم بدأ في تقبيلي، وحاول إدخال يده تحت ملابسي ولكنني أبعدته عني.

نهرته قائلة: "هذا- عمليًا- ليس إخلاصًا". ثم ضحكت، ذلك أننى لم أرد أن يقوم بتخريب مكياجى وهندامى.

وصلنا إلى الحانة، وكنت أكاد أطير إليها، وكانت هناك فرقة رقص، وعندما وصلنا كان هناك بعض الناس يرقصون، ولكن أغلب الناس كانوا جالسين ينتظرون الفرقة الرئيسية، وشربنا بيرة بعد أن ذهبنا إلى البار واشتريناها، وكنت بشكلى هذا أستطيع السير وشراء المبنى كله ولكننا اكتفينا بالبيرة فقط.

وجلست بجانب تار، وأمسكت يده، وقبضت عليها بفخذى من تحت الطاولة، وشعرت بارتياح.

كان صوتى مرتفعًا، وأعجبنى الإزعاج والزحام، وأحببت أن أكون على طبيعتى، وقمنا ورقصنا قليلًا إلى أن غادرت الفرقة المسرح، وذهبنا معًا واستندنا على حائط، وتناولنا شربًا آخر، وانتظرنا حتى تستعد الفرقة التالية، كانت فرقة مجهولة وتافهة، ولم أكن أعرفهم من قبل، لكنهم أتوا وبدأوا فى العزف على الآلات التى معهم، وكان هناك بعض الأصوات النشاذ والأصوات العالية الصادرة منهم، إنهم لم يقوموا بعزف أى إيقاع منتظم مثل واحد، اثنين، ثلاثة، وكأنهم متأكدون من أن الصوت الذى كان يصدر عنهم كان جيدًا، وقاموا بعزف عدة كوردات (موسيقى إيقاعية كمقدمة لغناء) ثم... بدأ الأمر كما لو كان هناك نوع من الخلاف يدور بينهم، فقد بدأ المغنى فى الصراخ فى وجه أحد المتفرجين من خلال الميكروفون.

وبدا الأمر يخرج عن السيطرة، التفت الفرقة حول بعضها، وتجمع الجمهور تحت خشبة المسرح، وقاموا بالصراخ، واعتقدت أن هناك مشكلة حقيقية فى طريقها للحدوث، وبدا أن الفرقة تستعد لمغادرة المكان لأنهم توقفوا عن العزف، وكان الحاجز الأمامى للمسرح يمنع المشاهدين من الصعود إليهم، كان موضوعاً-

حقاً- من أجل ذلك، وكانت الأرضية تحت خشبة المسرح مليئة بالناس، وكان هناك شخص يصرخ فيهم لإبعادهم، ويصوب إصبعه نحوهم وهو يقول: "ابتعدوا"، فبدأ الناس في الرد عليه والصراخ في وجهه، وامتأ المكان بالهرج، ثم انحنى ذلك الشخص إلى الأمام وبصق بصقة كبيرة كان من الممكن رؤية رزازها وهو يتناثر فوق رعوس الناس الذين كانوا في المقدمة.

ثم بدأت الفرقة في العزف مرة أخرى.

لم أستطع أن أتقبل ذلك، وكان عزفهم عنيفاً، مثل صراخ شخص يُعتدى عليه، ولكن بطريقة موسيقية، وفجأة أخذ الجمهور في الرقص إلى أعلى وإلى أسفل، وأخذت الأضواء تتلألأ، وامتأ المكان بالصخب، وكان الجمهور الواقف أمام المسرح مباشرة يبصق على المطرب، وكان المطرب ينزلق ويتزحلق على المسرح، وكانت خشبة المسرح مبللة جداً من ذلك البصاق، هذا هو كل ما كان، وكنت أصرخ من شدة السعادة، لم أر- أبداً- شيئاً كهذا من قبل، وجريت لكى أخرج من ذلك الزحام، وبدأت أقفز معهم، بانج بانج بانج، إلى أعلى وإلى أسفل وأصبح مثلهم.

كنت أتمنى أن أعرف هذه الفرقة أو أى واحد منهم، لعلهم مشهورون، أو كانوا كذلك كانوا بذيئين ومذهلين جداً، وكان صوت الموسيقى مرتفعاً مثل الخطبات القوية والدوى الشديد، ولكنها لم تكن تؤذى السمع، أنتم تعرفون ما أقصد، كان هناك هياج شديد وأشياء ظريفة، لكن لم تحدث أية معارك.

وكان تار- أيضاً- هناك بجانبى يقفز، كان يقفز كالقرد أحياناً، يعلو ويهبط، يعلو ويهبط وشعره الأسود يتناثر ويسقط على عينيه، كان يبتسم، واستمر في ذلك.

أنهت الفرقة إحدى أغانيها ثم بدأت فى الثانية مباشرة، كانت الأصوات تتعالى وتفرقع، ولكن لم يهتم أحد لذلك، ثم كانت هناك أغنية للرقص الثنائى وأقول بأمانة... إنه كان يوجد بعض الأزواج والزوجات يرقصون معاً، أقسم على ذلك... أنتم تعرفون، لقد تعانقنا أنا وتار وحاولنا إلصاق ألسنتنا ببعض وإدخالها حتى الحنجرة، وقام تار بلعق وجهى كله بلسانه، ثم بدأت الموسيقى فى العزف السريع مرة أخرى، واستمرنا على ذلك الحال طويلاً.

ذهبنا لسماع هذه الفرقة النافهة بالصدفة، كانوا يبدوون مثل برادة الحديد الهشة، لم يهتموا لأى شىء، وشعرت - حقاً - بأننى مرتدية ملابس أكثر من اللازم، وعندما توجب على الذهاب إلى دورة المياه، وجدت ثقباً فى بلوزتى الجديدة يظهر منه لحمى الأبيض، فقامت بعمل ثقب آخر مثله كى يتماشى لون بياض جسمى مع سواد البلوزة، وجذبت جونلتى الجديدة الصغيرة من الأمام، وحاولت ثقب فتحة فى التى شيرت، ولكنى لم أنجح فى ذلك، كان القماش متيناً جداً، لذا لم أستطع إلا فنح نصف الثقب فقط وأعدت البلوزة إلى جسدى، وبدأت فى القفز.

لم أعد أستطيع رؤية تار، ولكن لم يكن ذلك مهماً، أفسحت لى نفسى طريقاً أوصلنى إلى أمام المسرح، وكان الناس يعلون ويهبطون، ويبصقون على المغنى، وكان ذلك عظيماً، ولكن الجو كان حاراً جداً وصعباً لدرجة أنك لا تستطيع أن تمكث لفترة طويلة فى ذلك الوضع، وكان هناك أناس يتسلقون المسرح، ويقفون أمام المغنى، وكان الجمهور متزاحماً هناك، واستطاع بعض الناس أن يفروا من خشبة المسرح ويتسلقوا عبر الجمهور، وهم يمشون على رؤوسهم، وقد خطا بعضهم عشرة أو اثنتى عشرة خطوة قبل أن يقل تزاحم المتفرجين عليهم، وكانوا يلقون بأنفسهم لتتلقفهم أيدى الجمهور أسفل المسرح، واصطدم أحدهم بأذنى.

عندما رغبت فى الهروب من ذلك الزحام والشعور بمساحة صغيرة من الفراغ حولي، ذهبت للخلف، وبدأت فى الرقص هناك، كنت أرقص وأرقص وأرقص، ولمحت تار يرقص كالأبله، واقتربنا من بعضنا، ورقصنا متعانقين لوهلة، ثم تركنى وذهب لكى يحضر لنا مشروباً بارداً، ولكننى واصلت الرقص، وظل الناس يأتون ويطلبون منى أن أراقصهم، فرقصت معهم، ثم افترقت عنهم، وسألنى أحد الفتيان إذا ما كنت أريد شرباً، أجبتّه بالموافقة، وذهب لإحضار المشروب، وقفت وانتظرت قليلاً، آه من هذه الموسيقى، وبدأت الفرقة فى عزف الأغنية الجديدة التى كانت جيدة جداً لدرجة جعلتنى أقتحم الزحام وأبدأ فى الرقص مرة أخرى، ونسيت كل شيء عن ذلك الفتى وعن مشروبه، وعن أى شيء آخر...

لم أر تار لمدة نصف ساعة ورقصت مع بعض الأشخاص الآخرين، وفى لحظة أتى تار وقال إنه قد اكتفى، وأنه عائد إلى المنزل، فقلت له وأنا أبتسم: "إن أراك فيما بعد". فقام بالنقاط أنفاسه وقال: "أنا لا أستطيع الذهاب بدونك"، فقلت له: "انتظرنى إذن"، واختفيت عن أنظاره لأنى لم أكن أرغب فى الذهاب، لماذا أذهب؟، لقد استطاع أن يرى رغبتى هذه، ولكن بعد حوالى عشر دقائق أتى وأراد مغادرة المكان مرة أخرى، وفكرت يا له من شيء مؤلم، لم أقل أى شيء، رأيته يتمدد أمام البار فى حالة بائسة، وفكرت آه، ياه، أقصد لقد فعلت كل ذلك من أجله، هذه الملابس التى ارتديتها للذهاب إلى الحانة معه، وكنت لا أزال محتفظة بهديتى له فى حقيبتى، وكان هو هناك يتأوه، ويبدو كما لو أن أباه كان يعاقبه، ولكننى لم أكن أباه، وطلبت منه أن يبدأ فى الرقص، وأخذت فى الرقص، لم أكن أريد التوقف، ليس من أجله، ولا من أجلكم، ولا من أجل أى أحد آخر على الإطلاق.

بعد قليل عاد هذا الفتى الذى كان يراقصنى ومعه مشروبى، ووقف هناك بشعره المريع وجينزهِ الأسود وذلك الثقب فى أنفه، بدا كما لو كان قد ظل مستيقظاً بدون نوم لمدة عشر سنوات، وكان أحدهم قد كرمشه ووضعهُ تحت الدولاب.

ضحكت قائلة: "هل كنت ممسكاً بهذا الشراب طوال هذا الوقت؟".

ضحك لنفسه وأشار برأسه قائلاً: "لقد سكبت نصفه".

قلت لنفسى، حسناً أنت ماهر وأنت شغوف بى، ولكنه لم يكن مندفعاً، ولم يكن مهتماً لأن أقوم أنا بفعل أى شىء أريده.

شربت البيرة فى الحال، وانطلقنا إلى الرقص مرة أخرى، كان راقصاً عبقرياً، وكنا ندور حول أنفسنا عبر المكان، وأنا فى نشوة كبيرة من الرقص، وفى هذه الأثناء لم أهتم لأى شىء آخر، وألقيت عدة نظرات على تار من طرف عيني عدة مرات، وحدثت نفسى، يجب أن تنظمى نفسك، يمكنك تحمل المعاناة فى سبيل التغيير، أقصد كفانى ما لاقيت من غرابة أصدقائه وبطاطسهم المشوية لمدة تزيد عن أسبوعين، بينما لا يستطيع هو أن ينتظر معى لمدة ليلة واحدة، بل مجرد أمسية فقط.

يمكنكم أن تروا أن هذا الشخص الآخر يعتقد أننى بدون أى تجارب، كان على حق، فقد دست على قدمه أثناء الرقص، وكنا نهتز ونتمايل، كلانا غرقنا فى العرق، وكانت هناك أغنية هادئة، وكان رفيقى مستنذاً على؟ لم أهتم، اعتقدت أنها مجرد رقصة، مجرد فرقة ومرح لذا لم أهتم على الإطلاق، كنت أرئى هذا التى شيرت، وكنت مبلة تماماً من العرق، وكانت ملابسى ملتصقة بى، وهو لا يستطيع إبعاد يده عن جسمى، حسناً؟ لماذا يجب عليه ذلك؟

لم أعرف بالضبط المدة التي استغرقتها تلك الرقصة، كنت أود لو أستطيع أن أجعلها تدوم إلى الأبد، ولكن ذلك الفتى قام أخيراً بوضع يده على مؤخرتي وانحنى على قائلًا: "يجب أن أذهب، لم لا تأتيني معي إلى منزلي الآن؟".

وفي خلال ثانية واحدة فقط رجعت قفزًا إلى الخلف، لقد كان ذلك غيابًا منه، ولكنني، بأمانة لم أتوقع منه ذلك، إنه لم يطلب مني ذلك مرة أخرى أو يدعوني لتناول فنان من القهوة، إن نوع الحياة التي كنت أحيها حتى هذه اللحظة لم تكن تسمح لأحد أن يطلب مني الذهاب إلى مكانه للنوم معه، فقد كان لمن هم في مثل سني آباء يعيشون معهم في المنزل وجموع تنتظر إليهم على الشاطئ.

نظرت حولي وقلت لنفسى يمكنك قضاء ليلة واحدة فقط على هذا المنوال بدون أن تصبى فتاة تامة القذارة، أليس كذلك؟ وقد فضلت هذا الفتى، فقد كان لديه نظرة ثابتة، أقصد أنني لم أقل أنني أريد أن أقضى حياتي كلها معه، لكنني كنت مستعدة للتصدي لكل ما يمكن أن يواجهني في طريقي في تلك الليلة.

نظرت حولي، لكنني لم أستطع رؤية تار في أى مكان.

قلت له: "حسنًا... هل تقصد أنك تريد أن تذهب الآن؟".

فهز رأسه ونقر بأصابعه على الكوب الذي يحتوى على مشروبه وذهب ليحضر لى حقيبتى، وها قد حضر تار.

كنت على يقين من أنه لن يذهب بدونى، إنه لم يكن جالسًا معنا على نفس الطاولة لكنه كان يرى كل شيء، ولأن هذه هى طبيعة تار المعهودة فإنه كان يرى كل شيء ولكنه لا يأتى ليتكلم ويقول: "إنك ملكى"، أو: "ما الذى تظنين أنك تستطيعين فعله؟".

ولكن ها هو يظهر لى أنه لا يزال هنا وأنه ينتظرنى، وقد تغير لون وجهه وأصبح مثل لون الجبنة الخضراء.

نظرت إليه ونظر إلى.

قلت له: "لقد طلب منى أحدهم أن أرافقه إلى منزله"، نظر إلى فقط.

وبدأت أفتش فى حقيبتى وكدت أن أفرغها تمامًا ثم قلت له: "ها هى، هل لديك نقود لتذاكر الأتوبيس؟".

ونقبت جيذاً فى حقيبتى حتى وجدت بعض النقود، لم أستطع أن أجدها بالسرعة الكافية، فقد كنت أريد أن أذهب بعيداً عنه فقط، دفعت النقود إلى يده بعنف، نظر إلى فشعرت بالقلق، لا أدرى لماذا، التفت إليه وصحت فيه "أنت أيضاً لست أُمى البغيضة!".

ذهبت، وكان ذلك الفتى الذى لا أعرف حتى اسمه واقفاً فى انتظار وسط مجموعة صغيرة من الناس، وكانوا هم الشيء الحقيقى والواقعى من حولى.

ربما كان كل ما يرتدونه من ملابس لا يساوى بأكمله أكثر من عشرة دولارات، وكان عددهم لا يتجاوز حوالى عشرة أفراد من البنات والأولاد، وقد استطعت أن أراهم جميعاً وهم يراقبوننى ويراقبون تار، كانوا حقيقة شرذمة من الحثالة المقززين الذين تظن أنهم سوف يشقون رقبتك إلى نصفين، ولكنى كنت أعرف تمامًا أنهم لن يفعلوا ذلك وأنه لا يوجد أى خطر من جانبهم، بل إن منظرهم فقط هو الذى كان يوحى بذلك، أليس كذلك؟ إنه مجرد نمط وطريقة فى ارتداء الملابس والتصرفات...

وغمرت لى إحدى الفتيات بطرف عينيها.

دخلت في وسطهم وأغلقوا الدائرة من حولي، فاندفعت نحو الباب، وخرجت إلى هواء الليل المنعش، فأخذوا في الكلام والضحك في الحال، وقال أحدهم شيئاً ما لى فرددت عليه، وشعرت بالسعادة مرة أخرى، ورفعت حقيبتى ووضعتها تحت ذراعى، وكانت هدية تار لا تزال موجودة بها.

قلت: "انتظرونى دقيقة؟".

جريت عائدة إلى الصالة وكان تار لا يزال واقفاً إلى جوار البار، فجريت نحوه وجذبتة.

قلت: "ها هى"، ودفعت بالهدية إلى يديه، ثم جررتة إلى مؤخرة الصالة، ودفعت به إلى خارج الباب وأنا أشده إلى الخلف، لا أدرى لماذا فعلت ذلك، فقد كنت قد قررت أن أمشى مع أولئك الشباب، وكانوا ينتظروننى قريباً.

اندفعنا أنا وتار نجرى على الطريق، وعندما تأكدنا من عدم ملاحقة أحد من أولئك الشباب لنا أوقفته عن الجرى، وأخذ كل منا ينظر إلى الآخر.

قلت له: "ينبغى عليك أن تنتظر إلى وجهك"، ثم استغرقنا فى الضحك، وأخذنا نضحك ونضحك كما لو كان الأمر كله مضحكاً ويدعو للسخرية، أو أنه مجرد نكتة، ولو لم أكن قد وجدت هدية تار لكى أعطيها له فى ذلك الوقت لكنت قد صنعت هذه الهدية له بنفسى لكى أقدمها له حينئذ، لكننى عدت وندمت بعد ذلك على عدم ذهابى مع هؤلاء الشباب، كنت أريد الذهاب معهم، ولكننى لم أستطع أن أفعل ذلك بتار، ليس مع تار، هل كنت أستطيع أن أفعل به ذلك؟.

لم نتحدث عن هذا الأمر أبداً بعد ذلك، لكن كلانا كان يعرف أننى كنت على وشك أن أفعل ذلك، وكان كلانا يعرف أيضاً أننى أستطيع أن أفعل ذلك مرة أخرى

فى أى وقت، كان تار عطوفاً ورقيقاً جداً ومحباً، أعتقد أنه كان يستطيع أن يجعلنى أحبه وأريده، ولكننى بالطبع لم أكن أريد الذهاب والابتعاد معه لأنه لم يكن لطيفاً بالقدر الكافى معى.

وضعت ملابسى وجيبتى الممزقة بعيداً ونحيتهما جانباً، كانت ملابس جميلة كما تعرف، وقد ارتديتها عند الاحتفال بافتتاح الساحة، قد تكون ليست مناسبة لذلك، ولكن على أية حال سوف أعود لأرتدى هذه الملابس مرة أخرى فى وقت ما قريب.

(٩)

فونى

كانت مشاعرى متجهة نحو إعادة جيما إلى منزلها مرة أخرى قبل أن تتحرف، وكان ذلك مهماً لأنها كانت على وشك أن تتجاوز الحدود، وكانت عندما تسير فى الطريق تميل برأسها نحو أى شخص تشعر أنه ظريف، وتتوجه نحو أى متجر أو كوفى شوب من نوع هذه الأماكن التى تفضلها، لكنها لم تتح أى فرصة لتار المسكين لكى يمشى على النار ويتعرف على ذاته ونوعية شخصيته.

أما ذلك الذى أزعجنى حقاً فهو أنه كان لديها كل وقت العالم لكى تحيا وتعيش بدون أن يكون لديها أى مشكلات، أى مشكلات حقيقية، لقد عاش تار مع أسرته الرهيبة لمدة طويلة، وكان شديد الانفتاح، وقد كان يحاول جاهداً، أما الآن وقد أصبح خارج هذه الأسرة فهو يحتاج إلى قليل من الانفراج، ولكنك لا تستطيع الحصول على أى وقت فراغ فى وجود جيما لأنها تشغل الوقت كله، ولكننى لم أحبها وتمنيت لو كنت قد عرفتها بعد أن تكبر، أى بعد عشر سنوات وليس الآن، هذا هو كل ما فى الأمر.

كنت غاضبة منها عندما عادت من الحانة مرتدية تلك الملابس المصنوعة من الجلد وباقى أرديتها، فقد كنا نطعمها وندفع لها فواتيرها، كما كنا نمدها بالسجائر أيضاً.

قالت: "إنها ملابس جميلة"، وخرجت وهى بهذا الشكل، ثم وقفت لحظة أمامي مثل عارضة الأزياء، وكان من الواضح أنها تعتقد أن كل ذلك سوف يجعلني منبهرة بها، ولكنني لم أفعل، كنت أعد ميزانية المنزل، وكنت أدفع من راتبي الأسبوعي، من هذه الثلاثين جنيها البائسة تكاليف إ طعامها وشرابها وتكاليف التدخين طوال الوقت.

قلت لها: "هذه ليست حفلة وأنا لست أمك".

انقلبت ملامح وجهها وتبدلت لبرهة، كانت المشكلة أنها كانت تريد أمًا، وهذا ما كنت أقصده.

كان جبري عديم الفائدة تمامًا، وأحب أن يأخذ الفتاة الصغيرة في جولة بعيدة على قدر الإمكان، وقد ساءت الأمور بيني وبينه، كان كل ما أراده هو اتباع أهواء نفسه فقط، ولم يكن يعنيه أى شخص آخر، ولا حتى أنا، عندما كان يريد إشباع مزاجه فقط، حسنًا، أنا أحب أن أقضى وقتًا طيبًا، ولكن أعتقد أن في الحياة أشياء أخرى أهم من ذلك بكثير.

عرف ريتشارد أن جيما لم تكن تفعل أى شيء جيد لأى أحد، وخصوصًا لتار المسكين، إنه المشكلة مع ريتشارد أنه لم يكن يحب أن يجعل يديه قنرتين، إنه مسئول- كما تعرفون- ولكنه يعتقد بطريقة ما أن كل الأمور ينبغي أن تكون لطيفة، وحينما يأتي وقت اتخاذ القرارات المهمة فإنه كان يقلب وجهه، ويذهب بعيدًا، ويقول: "إنها سياسة".

كان تار شخصًا جاذبًا، لكنه كان واقعًا في مشكلة، وعندما يقابل الناس تار فإنهم يقومون بواحد أو اثنين من ردود الأفعال، إما أن يتبنوه مثل أمه، أو يهربوا

منه، وعادة ما يفعل الناس هذين الشيئين معاً، ذلك بالضبط مثل موقف والدته الحقيقية منه، وكذلك جيما فعلت ذلك أيضاً، إنها- بالضبط- لم تكن تتعامل معه، فهي ليست من ذلك النوع من الأفراد، ولكنها كانت مهتمة لنفسها فقط، وتشعر بأن لديها اكتفاء ذاتي، وربما تكون كذلك بالفعل، وبعد أن جعلت من نفسها "بانكى" مثل فتيات الهنود الحمر اعتقدت أنها قد اكتشفت ذاتها أو أنها نجحت في ذلك، بالطبع إنها جيما، لقد اندفعت في ذلك بكل جوارحها، وعادت إلينا في تلك الليلة بحلق في كل أذن، واثنين في أنفها، وأصبح لديها ثلاثة حلقان أخرى بعد يومين، جعلت تار يتقّب لها أذنها بإبرة رفيعة معقمة، كانت قد اقترضتها منى، وظلت تردد: "أنا لن أستطيع أن أعود إلى المنزل الآن"، وكادت أن تقطع لسانها- إن استطاعت- لتضع فيه عدة حلقات أخرى، وقد جعلتني أعتقد أنها قد فعلت ذلك فقط لكي تنتقم منى.

وبعد ذلك أتى دور تار، فقامت بحلق شعر رأسه كله، إلا شريطاً طويلاً في المنتصف ليبدو كالموهيكان (أفراد قبائل من الهنود الحمر الأمريكية)، ثم صبغت ذلك الشريط باللونين الأخضر والأحمر، واستخدمت كميات هائلة من الجيل لتثبيت تسريحة شعره ولصقها، فأصبح شكله غريباً، ضحكنا جميعاً ولكن هذه كانت قسوة منا، فقد كان مستعداً أن يجرب أى شيء لمرة واحدة أو حتى لمرة اثنتين؛ لأنه كان يرغب في تجربة أى شيء يخطر على باله، ولكن ذلك لم يناسبه على الإطلاق، وأصبح غريب المنظر، ذا عنق جلدى طويل، ثم هذه التجاعيد، منظر بشع، رأسه مدببة من أعلى والفم مملوء بأسنانه العاجية، وهذا الشريط من الشعر المصبوغ باللونين الأخضر والأحمر فوق رأسه، إنه يبدو مثل أحد البيغاوات، توصلت إليها والدموع في عيني: "إنك لن تتركه يغادر المكان وهو بهذا الشكل، أليس كذلك؟".

قالت جيما: "أعتقد أنه يبدو عظيماً هكذا".

واستطعت أن أرى أن تار كان متوترًا ويجز على أسنانه محاولاً أن يقنع نفسه بأنه يريد أن يكون بهذا الشكل، لقد بدا شكله مثل الصور التي نراها فى الكروت التي تباع للسياح، بالطبع فإن جيما كانت تغطينى فقط، لقد قصت شعره ولونته، وبالرغم من ذلك ظل شكله مثيراً للسخرية.

كنت أخشى من الحفلة، وحتى الآن كانت جيما تظل موجودة بالمنزل فى أغلب الأوقات. ولكن عندما وجدت الهيكل (جزء من الكنيسة)، كانت تذهب إليه، وتغيب عن المنزل فى أغلب الأوقات، ولحسن الحظ لم يكن لديهما أى نقود، ولكنها قضت الأسبوع التالى تحاول البحث عن أى عمل كجرسونة أو شىء من هذا القبيل، ولكن لم يحالفها الحظ فى الحصول على أى عمل، فشكرًا لله على ذلك.

فى هذه الأثناء كنت مهتمة لريتشارد، كان كسولاً لا يقدم على أداء أى عمل، وكان ذلك واضحاً، أما تار فكان مختلفاً عنه تماماً، وكان يرغب فى أن يبقى مع أسرته لكن أسرته... كانت فى غاية السوء، لذا كان من المستحيل عليه أن يظل معها، لكن جيما... لم أكن أريد أن أتحمّل هذه المسؤولية، ولم أريد أن أرى أو أراقب ما كانت تفعله بتار، دعنا نواجه ذلك الأمر بصراحة، لم أكن أريد وجودها معنا فى المقام الأول.

تناقشنا معها فى الليلة السابقة بخصوص الحفلة، كان يجب علىّ أن أفعل ذلك بشكل ما بنفسى، وتناقشت- بصراحة- مع جبرى فى هذا الموضوع، وقام ريتشارد بإبعادى عن ذلك الموضوع، وكان سريعاً بشكل كاف ليتولى القيادة بنفسه إذا كان ذلك ضد السلطات، ولكن عندما يصبح فى موضع المسؤولية، فقد كان يجلس فقط فى الركن وتبدو عليه علامات التعاسة والبؤس، وكانت جيما تعرف بالضبط ما الذى سيحدث بعد ذلك.

لقد كان أمراً عادلاً أن نمهلها أسبوعاً لكي تستوعب هذه الفكرة، وكانت تعيش لحظات سعادة ومرح، وطلبت منا البقاء لحضور الحفلة ولكن بعد ذلك....، لم يكن عادلاً أن نبقىها هنا، إنها فى الرابعة عشرة فقط ولم يكن يبدو أن مشاكلها مع أسرتها فى حدة مشاكل تار، حسناً، من الواضح أن والديها كانا يصعبان عليها الحياة بدون داع.

قالت وهى تتعجب: "إنهم يصعبون على الحياة بدون داع، ولم أكن أستطيع عمل أى شىء....

ولكن الهروب من المشكلات لا يحلها، لقد حان الوقت لى تبدأ فى الترتيب للعودة إلى المنزل بعد الاحتفال ببيتهم الجديد.

توقعت منظر ذلك المشهد بالطبع، وكان أحدهم، وهو تار، جالساً هناك تبدو عليه علامات البؤس، وكانت جيما غاضبة ومشتعلة، جعلنى ذلك أتعاطف مع الآباء حقاً، فقد كانت جيما متعجلة دائماً، وإذا لم يتحقق لها ما أرادت توة فى اللحظة، أو فى الغد، فإن ذلك يصبح أمراً غير محتمل بالنسبة لها، وكنا نقوم بتهيأتها للعودة إلى المنزل بلطف بقدر استطاعتنا، وسوف تمكث هنا لمدة أسبوعين بالفعل، ونحن نهينها للعودة، وقد عرضت عليها أن أتحدث إلى والديها بنفسى، ولكنها رفضت إعطائى رقم تليفونهم، وأجابت بتهكم: "إننى لا أثق فيك أبداً"، لكنها كانت تظلمنى، فقد فعلنا كل ما نستطيع من أجلها، ولكن من أجل المسيح، إن ذلك الأمر غير قانونى بشكل واضح، لقد أطعمناها وأخفيناها وفعلنا لها كل شىء، ولكن ذلك لم يعطنا الحق فى اقتراح أى شىء عليها، ليست جيما التى تقبل أى مقترحات.

حاولت- بعد ذلك- التقرب إلى تار لى أجعله يتكلم ويحدثنى عن بعض مشاعره نحوها، وقد استطاع أن يفهم ذلك، وعلى الرغم من أنه لم يكن مرتاحاً

لفكرة أنه قد شجعها على الهرب والمجئء إلى هنا، لكنه- حقاً- لم يكن يريد لها أن ترحل، وحاولت الحصول على رقم تليفون أهلها منه، لكنه كان شديد الولاء لها.

قال: "لا تطلبى منى ذلك": لذا لم أضغط عليه.

حسنًا... ما الذى فى استطاعتنا أن نفعله أكثر من ذلك؟.

أعتقد أن ريتشارد كان يشعر بالذنب لأنه أصدر لها الأمر بالرحيل، وقد أخذ- بعد ذلك- فى عمل الترتيبات والإعداد لكى تقضى وقتاً طيباً وتسعد بالحفلة، ولكن أرى أنه أخطأ خطأ كبيراً بذلك من وجهة نظرى.

أتى ريتشارد فى أحد أوقات تناول الشاى والابتساماة تعلو وجهه وأعلن أنه قد قام من أجلها بدعوة عدة أشخاص فى مثل عمرها.

سألت: "من؟".

قال: "آه، أنت تعرفين" وهو يبتسم كقطة فى الهواء "هذه مجموعة من الشباب الذين يعيشون فى طريق المدينة"...

فقفزت إلى مخيلتى صورة فتاة رأيتها على النت ومعها ولد بدون أسنان أمامية.

- "هؤلاء الذين قدمتنى لهم...".

- "هذا حسن".

- "ريتشارد".

- "ماذا؟".

اندهشت، لم أستطع أن أصدق هذا، هذا الشخص ليس لديه أجراس إنذار.

- "هل نظرت في أعينهم".

- "لماذا؟".

بالطبع إن ريتشارد لا ينظر إلى أى شخص فى وجهه، لم أكن أعرف ماهية هؤلاء الفتية، وماذا كانوا يريدون، ولكنهم كانوا يريدون شيئاً ما، ومن المؤكد أننى لم أعتقد أبداً أن فكرة دعوتهم إلى الحفلة ووضعهم مع جيما فى نفس الغرفة كانت فكرة جيدة.

(١٠)

جيما

كان من الطبيعي أن تطلعي فوني على الأخبار قبل الحفلة فقط، كنت أتطلع إلى ذلك حقًا، وقد أخرجت ملابسى الجميلة، وصبغت شعري من أجل الحفلة، وكنت أنتظرها بفارغ الصبر، وها قد حضرت الرئيسة، كان ذلك رائعًا، فقد جاءت وكان ريتشارد إلى جانبها، وكان ذلك شيئًا سيئًا جدًا، ولكن حتى تار بدأ في الاتفاق معها، وظل يقول: "أنا لا أريدك أن تذهبي، أنت تعرفين، أنا لا أريدك أن تذهبي".

همست: "لماذا تبدو على هذه الحالة التي أنت عليها إذن؟".

فأوقف رأسه عن الحركة وقال: "لكنهم على حق...".

ابتعدت عن تار، أقصد لماذا كانوا يفعلون كل ذلك وما الهدف منه، لقد كنت أحبهم ولكن ماذا سأفعل إذا طأوعهم وأعادنى إلى المنزل مرة أخرى؟.

شكرًا يا تار.

لقد فعلت كل شيء من أجله، فعلت كل ذلك له، لم أكن لأهرب إلا من أجله، ربما أكون قد فكرت في ذلك ولكننى لم أفعل، والآن أنا فعلت ذلك من أجله وهو يخبرنى أننى أنتمى لبيتى ولأسرتى... عظيم.

أظهرت له عدم الاهتمام له، ينبغي عليك أن تنتظرنى، لقد بُست منه على
أى حال، إنه الآن يحاول أن يصبح السيد المسئول، لقد استطاع أن يجد شخصاً ما
آخر غيرى ليعانقه فى الليل.

كان ذلك اليوم هو يوم الجمعة، وفى يوم السبت سنكون مستعدين للحفلة،
وقد صممت على أن أحظى بوقت طيب فعلاً، ربما يكون هذا هو آخر يوم لى فى
الحرية، وقضينا اليوم كله فى صنع الطعام وتنظيف الغرف ومد الأسلاك لأجهزة
الصوت، وحبس جبرى نفسه مع ريتشارد فى الطابق الأعلى مع مكبرات الصوت
لإعداد شريط للحفل، وكنا أنا وفونى وتار نقوم بإعداد السلطات وغيرها من
الأشياء اللازمة للحفل، وكان ريتشارد يخبز الخبز، خبز زيتون، وخبزاً من زيت
الزيتون، وخبز جبنة وكل الأنواع المختلفة، وجهزت نفسى للحفلة، ولكننى شعرت
بالممل عندما ذهب تار لقضاء المشتريات على دراجته لمدة ساعة أو أكثر؛ لذا
صعدت إلى الطابق الأعلى لمساعدة جبرى بينما ظلت فونى بالطابق الأسفل
لترتيب المنزل.

كانت العلاقات سيئة بينى وبين جبرى على حد اعتقادى، وكنت مستثارة
كلية بسبب هذه الحفلة ولكن حدث... أنا لا أدرى، لم أكن فى حالتى الطبيعية
أساساً، فقد تخطت العمة فونى كل الحدود فى الكلام عنى، ولم أستطع أن أوقف
التفكير فى كيف أن جميعهم يعتبروننى صغيرة، وأن الجميع هنا لا يحبوننى ولا
يرحبون بوجودى بينهم.

ذهب الثلاثة الآخرون إلى الحانة، ولكننى أنا وتار- بالطبع- لم يكن لدينا
أى نقود، فأخذنا نتبادل العناق فى المنزل، وننظر إلى بعضنا، أو قل كنت أنظر

إليه عندما كان يحاول أن يكون لطيفاً، ولكن ليس بالقدر الكافى لتنفيذ رغبتى فى البقاء معه فى الساحة.

خففنا النبيذ الذى أحضروه وتناولنا بعض الطعام، وقبل أن يخرج ريتشارد قام بإعطائنا بعض البسكويت الذى صنعه... بسكويت ناعم. كنت فى انتظار أن تتلأ الأضواء أو شيء مثل ذلك وظللت أنتظر ولكن لم يحدث أى شيء، واعتقدت أنهم لم يقوموا بدعوة عدد كاف، وظللت منتظرة حتى وصلوا.

قال ريتشارد إن بعض معارفه ممن هم فى مثل أعمارنا سيأتون، ولكن لم يحضر سوى القليل من أصدقائهم، كانوا جميعهم واقفين فى مجموعات يتحدثون، وإذا أطالت هذه المجموعة شعرها قليلاً وارتدوا بذلات مثل الموظفين لأصبح ذلك حفلاً تقليدياً مثل التى تقام فى شقة والدى، وكان الحديث يدور عن حقوق الحيوانات والفوضوية، والعودة إلى المنزل التى كانت تعنى صالة الكنيسة والنادى الاجتماعى المحلى، وكان الاختلاف الوحيد أنهم ارتدوا تلك الملابس الشبابية وقصوا شعورهم لكن... حسناً، ولكن هذا الشكل يعنى أن أهاليهم قد قاموا- حقاً- بعمل جيد من أجلهم. ذلك هو كل شيء.

أخذت الأحداث فى التصاعد بحضور المزيد من الأشخاص، وكان لدى القليل من السجائر، وقد ظل تار يأتى ويذهب، وقد التفت فى لحظة لأجدنى بجانب سلطانية السلطة أخدم نفسى، فأخذت ألثفت فى دهشة، وكانوا يقولون إنهم قد أعجبوا بهذه الخطة وسيقومون بافتتاح المزيد من الساحات، قلت: "لماذا؟ فنحن لدينا واحدة".

- "لا، أنت لم تفهمى، إننا فعلنا ذلك فقط لتحرير كل ما يمكن أن نجده من الأشخاص المتميزين..." واصطحبت أحد أصدقاء ريتشارد لرؤية ذلك المكان فقام

بفحص المنزل وقرر أنه قديم كبير، ولكنه ممتاز بالطبع، وقد فرح ريتشارد بذلك - كالمعتاد، وكان تار متطوعاً كعادته، وكانوا يخططون - بالفعل - للذهاب وافتتاح تلك الساحة في هذه الليلة.

قلت: "لدينا حفلة"، أقصد لماذا قضينا اليوم كله في إعداد السلطات والبسكويتات ثم نترك ذلك كله ونخرج؟ لماذا كل هذه البيرة والنبیذ؟ لقد كانت آخر حفلة لى على الأرض فى عالم الحرية ويتركونها ويخرجون لافتتاح ساحة أخرى. أما تار فقد ضاع تماماً، كان ينحنى ويبتسم، واعتقدت فجأة أن شيئاً ما قد حدث له، كان يبدو للناظرين كأن وجهه يتمدد وأسنانه تهرب من فمه، وكانت عيناه تدوران.

قلت: "يبدو أنك منهك حقاً، هل أنت على ما يرام؟ هل أنت على ما يرام؟" ولكنه تركنى وذهب كما قال لتنظيم اجتماع لجنة أو لفعل شيء من هذا القبيل. وبدأت فى تناول المزيد من السلطة وحدثت نفسى، ذلك غير حقيقى؟ هذه الساحة، إنهم يفرون من حفلتهم.

ثم أخذ تار فى متابعتى بشأن الرجوع إلى أهلى: "هل هناك شيء خطأ؟ ما المشكلة يا جيما؟".

كنت سأرجع بالفعل، "وقلت له": اصمت، لم لا تتركنى بمفردى؟".

أخذت أدخن وأسكب العصير على رقبتى بمنتهى السرعة، لأننى لم أستطع أن أفكر فى عمل أى شيء آخر، لم أستطع إيقاف نفسى من فعل ذلك.

وتوالى حضور الناس، وبدأت فى الشعور بالتحسن، شخص ما أتى بباقة... الله وحده يعلم ما الذى كان بها... ويا للهول كل شيء مر بسرعة مذهلة و...

حسنًا، يمكننى القول أننى كنت - حقيقة - سأشعر بالغثيان إذا استمر الأمر على هذه الحال.

امتلاً المكان فجأة، فجأة لم أستطع الحركة، كل شخص كان يصرخ ويصيح ويرقص، أحسست أننى غريبة تمامًا، كان لدى رقصة لكن رأسى ظلت تؤلمنى وتدور أسرع فأسرع، ثم تناولت عدة سجانر ... و...، لذا صعدت إلى الطابق العلوى وجلست فى التواليت لبرهة، ثم أراد شخص ما الدخول، لذا ذهبت إلى حجرة النوم، ورقدت لعدة دقائق قليلة على السرير حتى كفت رأسى عن الدوران.

كان ذلك رائعًا، كما لو أن شخصًا ما يدعك بطنى ويقلبها بملعقة بمنتهى السرعة، مكثت هناك لفترة طويلة منتظرة أن يتوقف ذلك الشعور، وعندما أحسست بأننى قادرة على الجلوس مرة أخرى، كانت الموسيقى لا تزال تصدح فى الطابق الأسفل، ولكن لم يكن لدى أية فكرة كم كان الوقت متأخرًا، كنت لا أزال أحس بـ... حسنًا، وصلت الأمور إلى أقصى درجة، لم أكن أشعر بأننى سكرى أو تائهة، ولكن لا تزال هناك هذه الفقاعات فى معدتى، وكنت أحس أنها يمكن أن تخرج فى أى وقت محدثة فرقعة ضخمة.

استيقظت ونظرت من النافذة، كل ما أذكره أن كل شيء كان يبدو برتقاليًا ويشبه القطط، وكانت الأشياء ترحف فى كل مكان، وتختفى خلف صندوق القمامة، وكانت أعمدة النور مضاءة، أنا لا أقصد أننى استطعت رؤيتها، ولكنها كانت هناك خارج طرف عيني، فنظرت فى الغرفة وتفحصت كل الأشياء، الدواليب والمكاتب وحتى إطار النافذة، لقد بدت - جميعًا - كما لو كانت تنظر إلى - كما لو كانوا

أحياء، كنت أفكر ما الذى يحدث؟ وفجأة أدركت أنني قد قذفت بالحجارة، ذلك ما كان، لقد تم رجمى وإسقاطى من شجرتى...

وفكرت فى الكيك الناعم والكعك بالطبع، وطلب منى ريتشارد ألا أكل كثيرًا واعتقدت أنه كان يشعر بالقرف، كان يبدو كذلك، ولكنه لم يكن كذلك بالفعل، أكلت عشر مرات والتهمت طعامًا كثيرًا، والآن أنا أحس أنى أطير، أعتقد، واو، أن هناك شيئًا ما، على الرغم من أننى لم أكن مستمتعة كثيرًا بذلك فإننى نزلت لأعرف ما الذى كان يحدث.

كان أسفل السلم خاليا من الناس بعض الشيء، وكانت مجموعات قليلة من الضيوف جالسة على الأرض تتحدث، أناس غريبة جالسون على كراسى يتجادلون، يتصامدون فى الحديث، نظرت حولى ولكن تار لم يكن موجودا على مرمى النظر، وذهبت إلى المطبخ لإحضار بعض الماء، وتناولت ملعقة من الأرز كان مذاقها جيدًا، وبدأت فى الأكل وأخذت أكل وأكل وأكل، وعندما انتهيت وانتهى كل شيء تناولت كوبًا آخر من المشروب وعدت إلى غرفة الجلوس.

حضر بعض الأشخاص الجدد وكان هناك فتى واقفًا يتحدث إلى عدة أشخاص من الساحة وبدأ مختلفًا عن الآخرين، وكانت هناك هذه الفتاة التى كانت ترقص، أقصد كانت تقوم بعمل عدة أشياء وترقص فى نفس الوقت، وقد ذهبت ووضعت شريط كاسيت جديدًا ووضعت أغنية أفضل من الشريط القديم، ثم ابتعدت وأخذت سيجارة بها لفافة مخدرات من أحد الأشخاص، كانت تقوم بعمل الكثير من الأشياء وهى تتحرك مع الموسيقى طوال الوقت، ترقص وتهز رأسها، كانت تتحرك فقط مع الموسيقى، لم تكن تستطيع أن تظل ثابتة فى مكانها، وكانت تبسم طوال الوقت، ليس لأى فرد لكن لنفسها فقط وللوقت الجيد الذى كانت تحظى به،

وكان فمها أوسع من فمى، وعيناها تحولت إلى اللون الأسود، وكان لديها غمزتان صغيرتان سعيدتان فى وجهها تبدوان حين تبتسم، وقد بدت جميلة حقاً وهي ترقص مع صديقها وتقبله وتربت عليه، يمكنكم القول إنه كان فخوراً بها كما لو كان يحتسى كوباً من عصير القمر.

لم أستطع أن أبعد عيني عنها، وكانت تبدو كما لو كانت فى غرفة أخرى، وكانت مختلفة عن الجميع.

بعد قليل لاحظت ما الذى كانت ترتديه ... أواه... لم أستطع - فى البداية - أن أصدق عيني، نظرت حولي، ورأيت أن جميع الفتيات كانوا يتابعونها بنظراتهم، وكدت أموت من الضحك لأن الأمر كان ملحوظاً وفى نفس الوقت...

كانت مرتدية هذه الشبكة الرقيقة السوداء كجاكت، كانت كذلك، وكان الأمر يستدعى فترة لتتحقق منها، من النظرة الأولى التى تنظرون فيها إلى هذه البذلة كانت تبدو مجرد ملابس رقيقة، ثم - فجأة - تجحظ عيناك عند النظر إليها، كانت تبدو عارية كطفل، أقصد أنها عندما كانت تتحنى لتبذل شريط كاسيت جديد كان يمكنك رؤية أجزاء من جسمها عارية.

كان الجميع يراقبونها، ليس فقط لأنها كانت أقل أو أكثر عرياً، ولكن لأن لديها تلك القدرة، كان الناس يتحدثون عن هذا وذاك، ولكنهم كانوا يتظاهرون بذلك فقط، فقد كانت هى كل ما يحدث فى الغرفة، لم يستطع بعضهم تحمل مراقبتها مثلى، فاستمروا فى الحديث وهم يختلسون النظر إليها بلمحات سريعة من أركان أعينهم، بعضهم كان يحرق فى جسدها بأفواه فاعرة كأبواب التلاجيات، وكان الجميع ينظرون، كانت تجذب الأنظار، وتتحرك وتدور هنا وهناك ولا تقوم إلا بالقليل من الأعمال والتصرفات، تعطى ملحوظات قليلة للموجودين، وتضحك على النكات،

وكان فتاها- مرحًا وساخراً وشكل الموهيكان من الهنود الحمر، وكان لديه على الأقل سنان من أسنانه مفقودتين، وكان يحبها كما هي.

حصلت على لفافة مخدر من أحد الأشخاص وذهبت إليه حيث تشاركنا في تدخينها، ثم عادت لما كانت عليه مرة أخرى، وكان فتاها يتصرف كما لو أنها كانت ترتدي ملابس جينز أو تي - شيرت، وفيما عدا ذلك فقد لمس فتاها مؤخرتها عدة مرات، لم يبد أحد أي اعتراض على ما كانت تأخذه منهم من مشروبات أو سجائر، لكنها لو كانت أي شخص فربما كانوا سيعترضون، ولكن معها هي لم يكن أحد يعترض؛ لأن الأمر كان محبباً بالنسبة لهم أو ربما لأنهم لم يهتموا لشكوى من تصرفاتها معهم.

هل سبق أن رأيت أحداً ما وتمنيت أن تكون مكانه أو أن تكون مثله؟ لقد تمنيت أن أبدو مثلها، وأردت أن أفكر مثلها، وأن يكون لي نفس التأثير الذي تحدثه على الناس... أنتم تعلمون! هذه الفتاة، لا تبالى بأى شيء، كل القواعد، كل الأشياء التي تتمنون أن تفعلوها افعلوها، وكل الأشياء التي تريدون ألا تفعلوها لا تفعلوها، كل شيء كان يتم فعله أو عدم فعله وفقاً لرغبتها هي وحدها، لم يكن مطلوباً منها أن تقول من فضلك أو شكراً، لم يكن من الممكن تقديم أى شيء لها لأنه كان مملوكاً لها فعلاً، لقد كانت تعبر عن نفسها الحقيقية مثلما تريد أن تكون أكثر من أى شخص آخر، وعندما تفحصتها بعيني أدركت أنني أريد أن أكون نفسى بقدر ما هي نفسها، (أريد أن أتحقق وأحقق ذلك الاستقلال مثلها تماماً).

لم يكن لدى الشجاعة للتحدث معها، ولكنها أشعرتني بالسعادة بمجرد مراقبتي لها؛ فقط لأنها جعلتني أعرف أنه يمكنك أن تكون كذلك، استطاع شخص ما أن يفعل ذلك وأن يكون هو ذاته كما يريد بالفعل.

وقفت عند الباب أراقبها لبرهة قصيرة، كنت شديدة الاستثارة، ثم شعرت أنني أريد التحدث إلى أى شخص فذهبت للبحث عن تار، ولكنه لم يكن موجودا، فذهبت وجلست على كرسي قريبا من فتاها الذى كان واحدا من سكان الساحة.

سألته: "أين تار؟".

- "لا أعرف".

أخذت رشفة وقلت لنفسى "اللعة"، لقد تركنى هنا، لقد تركنى هنا ليذهب ويقوم بأعمال فوضوية، فقممت وتناولت شرابا آخر، وجلست بعيدا أفكر فيه، وذلك بسبب عدم وجود أى شيء آخر أستطيع فعله، أو شخص آخر لأكون معه أو مكان آخر لأذهب إليه.

كانت الفتاة هناك ترقص وتتحرك هنا وهناك وتهز رأسها على أنغام الموسيقى أمامى، قالت لى: "مرحى كيف حال الحفلة معك؟"، وكأنها لا تستطيع تصور أن هناك من لا يحظى بوقت طيب.

قلت: "عظيم"، ثم بدأت فى أخذ رشفة أخرى، وأخذت أضحك والمشروب فى فمى، فسكبته على نفسى، رجعت برأسى إلى الخلف وعاودت الضحك، ثم حاولت أن أهدأ كي لا أبدو حمقاء.

قالت: "عظيم حقاً".

ابتسمت لها محاولة أن أبدو كما لو أنني أحظى بوقت طيب، ومدت يديها وقالت: "هل يمكننى الحصول على بعض من ذلك؟".

- "بالتأكيد".

لقد كنت- كما تعرفون... واو، إنها تعتقد أن مشروبى يستحق أن يُشرب، أخذته، وذهبت تتهاذى، أحسست لبرهة أننى عارية، جالسة بدون مشروبى، فكرت ياله من عطف، أقصد، إنها لا تشعر بالعري حتى لو كانت بدون ملابس ترتديها، راقبتها بعصبية وهى ترقص حاملة الكوب الملىء بمشروبى، شمتة، ولكنها لم تشرب منه أى شىء، تركته على الطاولة، وبدأت فى النقاط بعض الفناجين من على الأرض، وأخذت ترصهم معاً لعمل صف طويل.

قالت: "قوة" وكانت تلقى بهم إلى مجموعة من الأشخاص جالسين على الأرض كما لو كانوا شعاع ضوء أو شيئاً من هذا القبيل.

ضحكت قائلة: "قو، قو، قوة..." وألقت بالفناجين فى السلة وابتعدت للرقص، وتموج جسدها مع الإيقاع، وابتسم الناس الذين كانوا جالسين على الأرض، ولا يمكن القول بأنها كانت تثيرهم لأنها اعتقدت أنهم كانوا فى حاجة إلى قوة أو لأنها كان لديها كل تلك القوة التى كانت تعطىها لهم.

نهضت وذهبت إلى المطبخ لإعداد شراب آخر، وكنت أقوم بصببه عندما أتت- مرة أخرى- من خلفى، قالت: "أنت لست فى حاجة لهذا الشىء، ما الذى جعلك تعتقدين أنك فى حاجة لهذا الشىء؟" لم تكن تبسّم، نظرت إليها فى دهشة.

اقتربت منى وأخذت مشروبى: "لماذا تعتقدين أننى أخذت منك ذلك الشراب فى آخر مرة؟".

هزرت رأسى "أنا أعرف، أنا أعرف. أنا لا أعرف ما الذى كنت أفعله".

قالت: "أنت تفعلين الشىء الصواب. أتعرفين ذلك؟".

يبدو أنها كانت تعرف كل شيء عنى بالفعل، وقفت مشدوهة أحملق كالحمقاء وأنا ممسكة برأسي وأقول: "أنا أعرف... أعرف... أعرف..." ولم أكن أعرف أى شيء بالطبع.

فجأة وضعت ذراعيها حولي وحضنتني، جذبتني قريبًا منها، حضنتها فقط وأحسست بدموعي تهطل، كنت أعتقد أنني أحظى بوقت طيب، وكان عليها أن تلمسني - فقط - لكي أستغرق في البكاء.

دخل بعض الأشخاص المطبخ ورأونا في هذا الوضع ثم خرجوا، لم تقل شيئًا، بعد برهة أخذت تتحرك مرة أخرى مع الموسيقى، وهي تحضنني بشدة، وأدركت أنها قد توقفت فقط لكي تحضنني، كنت أول شيء يجعلها تتوقف في تلك الليلة، وبدأت في التحرك مرة أخرى، ووقفنا معًا لفترة أطول نتمايل مع الموسيقى.

قالت: "أليس ذلك عظيمًا؟ أليس ذلك عظيمًا؟ الموسيقى هي المخدر الوحيد... نعم..." وضعت رأسي على كتفها، وحاولت ألا أفكر في أى شيء، لم أعرف ماذا كانت تفعل، ربما كانت تشركني في سحرها، واستطعت أن أشعر بتلك الفقاعات في معدتي تذوب وتتلاشى.

قالت: "هيا لنرى ماذا يحدث..." وابتعدت متجهة نحو الباب، وكانت لا تزال ترقص أثناء تحركها، وتبعتها، جلست على الكنب، وكانت تلك الفتاة - الفتاة السحرية - لا تزال ترقص في الغرفة، ترقص أثناء سيرها، وتقبل فتاها في أذنه، ترقص وهي تقدم مشروبًا لأي شخص يقابلها، ترقص وهي تدفع شخصًا ما إلى الأعلى... يا إلهي، لقد انسكب المشروب على الأرض وعليها، ضحك الجميع، حتى تلك الفتاة التي انسكب مشروبها ضحكت، الفتاة السحرية، أخذت تلعق البلبل

الذى على ذراعها ونظرت إلى كما لو أنها تقول لى انظرى، لا يجب عليك أن تتصرفى مثلهم، لا ينبغي عليك أن تتصرفى مثل أحد آخر، ثم أخذت لفافة مخدر من أصابع أحد الأشخاص وجاءت لتجلس بجانبى.

تحدثنا فى كل المواضيع، أخذت بعضًا من الوسائد المحشوة للجلوس عليها، ولكنها نظرت إلى وأخذتها بعيدًا عني، وضحكت قائلة: "أنت لا تحتاجين لذلك أيضًا"، حتى وهى جالسة كانت ترقص، إنها لم تحاول أنها تسألنى عن أى شىء خاص بى، أو من أين أتيت، تحدثت عن الموسيقى والفرق الموسيقية وتحدثت عن نفسها وعن صديقها، وعن ماهيته وكم هو مسل.

قالت: "عم، إنه يلتزم جانب الصواب"، وهى تشير برأسها وتتفث الدخان لأسفل، قلت لها: "أنا لا أعرف حتى ما الجانب الصواب؟" وأخذت فى الضحك مرة أخرى.

- "الجانب الصواب، جانبك، جانبى، كما تعرفين". لم أعرف ما إذا كانت تتحدث عن العالم أو عن هذه الحجرة أو تتحدث عنا، سألتها ما إذا كانت تعرف أفراد الثلة جيدًا، قالت: "لا".

يبدو أن ريتشارد قد ساعدهم فى افتتاح ساحتهم منذ ستة أشهر مضت، وقالت: "إنه لا يهتم لأى شىء. ولكن بقيتهم... يلعبون اللعبة الخاسرة. إنهم يلعبون نفس اللعبة مثل لعبة البنوك والأعمال الكبرى...".

قلت: "لا... سوف يخرجون غذا ويقومون بتصميغ الأقفال"، وكنت فخورة لاعتقادي أنها لم تكن تعرف ذلك، ولكنها ضحكت فقط، ضحكت وهزت رأسها وقالت: "خبطة ضخمة، وماذا بعد؟ البنوك لا تهتمى لذلك، ولماذا ذلك؟"

- "سيدخلون من الأبواب الخلفية، ويستدعون صانعي الأقفال، ويحملون عملاءهم بالمصاريف بدون أى مشكلات، استمعى إلىّ، فأنا نفسى سيدة أعمال".

ضحكت من هذه الفكرة، ثم أكملت "اسمعى إنهم يعيشون فى الساحات ويحبون أن يعتقدوا أنهم نجحوا فى فعل ذلك، ولكنهم لا يعرفون حتى ما الذى يفكرون فيه، إنهم سيكونون بالخارج مع أنابيههم الضخمة المملوءة بالصمغ، وفى يوم الاثنين أو الثلاثاء سيعودون إلى الجامعات ليتأكدوا أنهم قد نجحوا فى اختباراتهم وأن البنك سوف يمنحهم الوظائف الكبيرة بعد تخرجهم من الجامعة خلال سنتين أو عدة سنوات...، وخلال خمس سنوات من الآن على الأكثر سيعملون فى نفس البنك وسيقلبون وجوههم ويغضبون لأن مرتباتهم ليست كبيرة بشكل كاف، وربما يقومون بتصميم البنوك مرة أخرى. نعم... صمغ شديد من أجل مبالغ أضخم".

ضحكت وأخذت تتقلب على الكنبه قائلة: "هذه لعبة الأعمال الكبيرة؟، أنا لحدى عملى الخاص الذى أمارسه، شكرًا".

توقفت الموسيقى فقالت: "هل هم مجانيين أم ماذا؟"، ثم نهضت وذهبت لترتدى المزيد من الملابس.

تحدثنا وتحدثنا... لا أدرى ما المدة التى قضيناها فى الحديث معًا، لكننى أحسست بأننى قد أخذت أشعر بتحسن وتحسن، جاء صديقها "روب" وجلس معنا، وكان كما ذكرت من قبل لطيفًا حقًا، ولكنه بدا كما لو كان يمكن أن يقطع رقبتك أو يذبحك من عنقك، وذلك من أجل قرش واحد فقط، برغم أنه كان دافئًا جدًا. وعظيمًا حقًا...

كانت "للى" ... هي الأساس، لقد فعلت ما فعلته، هربت من منزلها عندما كانت فى الثانية عشرة، هل يمكنكم تخيل ذلك؟ اعتقدت، واو، تخيل أنك متأكد مما تريد، يمكنك الفرار فى سن الثانية عشرة، وأنا أعتقد أنني قد فعلت شيئاً ما وأنا فى الرابعة عشرة، لقد كانت أكثر واقعية من أى شخص قابلته.

بدأت أعتقد أنني كنت على خطأ... نعرفون أنني كنت مجرد فتاة غبية، ذات أفكار كبيرة فقط مثل أمى وأبى، وكان فونى وريتشارد وتار قد حققوا ذلك، ولكن كان هناك هذه الشخصية المثيرة التى تتحدث إليّ وأحسست، واو! هذا أنا جيما بورجان وهى فى مكان ما...

التفت لتار فيما بعد، وكان ينبغي على أن أدرك أنه لن يفارقنى أو يضعنى فى تلك الورطة الكبيرة.

قال: "أوه، حسناً، ها أنت ذا"، وكان يتسم هذه الابتسامة الكبيرة، ولكننى كنت فى كوكب آخر وقتها، أضاف قائلاً: "لقد كنا بالخارج لإلقاء نظرة على الساحة الجديدة، ولكنك كنت نائمة، هل أنت بخير؟"، وتحول وجهه إلى الجدية التامة لمدة ثانية، ثم رأيت عينيه تتابع للى وهى جالسة بجانبى... كانت مرتدية بذلة من الخيوط تظهر نصف كتفها وحلمات صدرها، وتحول بوجهه إلى وحملق فى وجهى بتركيز.

قلت: "هذه للى".

أوما تار وقال: "هه، هاى، أهلاً".

واستطعت أن أراه ينظر بعصبية تجاه "روب"، وكان روب مؤدباً دائماً، أكثر أدباً من أى شخص آخر، كله ابتسامات، وسؤال بأدب، وشكر للناس، ولكن يمكنك القول أنه كان يجتاز معارك شديدة وسيئة حقاً.

ظننت أن تار المسكين كان يتزين لكى يصبح مظهره جيدًا ولكى يحظى بالنظر إلى صدر لى، ولكنه لم يرد أن يغضب روب، وكان روب سيعطيه تلك البذلة ذات الخيوط الرقيقة إذا طلبها.

ابتسم روب له ابتسامة كبيرة، ووقف لتحيته بيده، وقد جعل ذلك تار المسكين أكثر عصبية عن ذى قبل.

قال تار: "نعم، حقًا من الجيد أن أقابلك".

قالت لى: "هذا حذاء بوت جيد حقًا"، وهى تومئ برأسها إلى الأسفل ناظرة إلى قدميه.

نظر تار بشك إلى قدميه وإلى حذائه، لم يكن حذاء خاصًا، لكنه كان يلمع بجاذبية، وكان قد قضى وقتًا طويلًا فى تلميعه، لاحظت ذلك من قبل.

قال "هل هو حقًا كذلك؟" محاولاً اختبار ما إذا كانت تسخر منه أم لا.

قالت لى: "نعم... إنه يعجبني".

- "شكرًا".

وقف تار وقد بدا مرتبكًا وحزينًا بينما أغلقت لى عينيها وتمايلت برأسها. يالتار المسكين، أحسست بالأسى من أجله، لقد كانوا يسخرون منه فقط، وقففت وأخذت ذراعه وقلت لهم: "إنه الفتى الذى هربت معه".

أجابت لى: "أوه، حسنًا... نعم هذا عظيم حقًا، كل فرد ينبغى أن يفر، لقد فعلت الشيء الصواب، لقد فعلت الشيء الصواب لجيما أيضًا".

ابتسم تار وقد بدا على وجهه الشك، فقد كانوا يؤكدون له حتى الآن أنني
كان يجب أن أكون الآن موجودة في المنزل مع أبي وأمي... والآن ها هي هذه
الفتاة الظريفة العارية تخبره أن كل ما فعله كان صواباً.

قلت: "نعم، إن لم يكن ذلك من أجل تار فإنني كنت لم أزل أعيش في منزلي
مع والدي".

كانت للى جالسة هناك تراقب تار، وكنت منزعجة لأنني اعتقدت أنها ربما
تكون قد صممت أن تكون ضده. لم يكن لدى أي فكرة على الإطلاق عن الجانب
الذي قرر تار اتخاذه، ولكنني أردته أن يكون في الجانب الصحيح أيضاً.

لقد مر تار بوقت سيئ - حقاً - في منزله، فقد كان أبوه يضربه باستمرار.

قال روب "نعم، حقاً... لقد ترك ذلك الوحش".

راقبت للى وهي تنتظر إليه، ثم غمزت لي، وقالت: "سوف أثني عليه...".

قفزت إلى أعلى وأمسكته من عنقه وأبقت بنفسها عليه وقالت: "حسناً فعلت

يا رجل، لقد حطمت الباب... عبقرى، عبقرى، نعم!".

وقف تار ويداه ترتعشان في عصبية وهما ملتفتان حول ظهرها العاري،

ونظر في استغراب إلى روب الذي وقف وأخذ يربت على عنقه وظهره قائلاً:

"عبقرى... أنا أحبك يا رجل، أنا أحبك".

قلت: "كل شيء على ما يرام يا تار..." لأنه بدا منزعجاً من ذلك.

تركنه للى يذهب ونظرت إلى الغرفة، كان الجميع يحملقون فينا.

قالت: "دعك من ذلك. لنذهب، هيا... هذا المكان ميت"، قالت ذلك بصوت مرتفع لذا عرف الجميع رأيها فيهم.

قال تار: "لكن... كل أغراضنا هنا".

- "ستكون هناك في الغد، أو يمكننا أن نحضر لكما أغراضا جديدة...".

قال روب وهو يضحك: "إن ذلك حقيقي، اكتب قائمة بالأشياء التي تريدها"، وتوجهنا جميعًا نحو الباب، ولمحت فوني بطرف عيني وهي تحقق نحوي غاضبة، قلت في نفسي نعم! لأنني نجحت في فعلها، لقد ذهبت بعيدًا... ووقفت تحملق فينا بشدة كما لو كانت تمثالا شمعيًا أثناء خروجنا من الباب، ونحن نسير في خط مستقيم كما لو كنا في السيرك.

(١١)

تار

تم ذلك كله بمنتهى السرعة، كنت ألهث وأختطف وأهبش، ولكننى لم أمسك بأى شىء على الإطلاق.

كانت جيما مستتارة بشدة، وكانت هى واللى تتحدثان وتتعانقان، لم تكن تهتم لأى شىء من أمورى سواء كان خاصا بالساحة أو بأصدقائى الجدد، لكنها تركتني وراء ظهرها، فقدت التواصل معهم جميعا، وبدأت جيما سعيدة، أسعد مما كانت معى من قبل، ولكنها كانت تتصرف بهستيرية نوعا ما فى نفس الوقت، وقد جعلنى ذلك أعتقد أنها قد تعود إلى فى الصباح.

كانت جيما منزعة بعض الشىء، وكانت تسير بنفس الطريقة التى كانت تسير بها فى شوارع بريستول، أما للى فقد كانت شبه عارية لا ترتدى أى شىء تقريبا عدا هذه البذلة من الخيوط السوداء، كنت أشعر أنهما مثل القطط، وكنت على يقين من أننا قد ارتبطنا بالذهاب إلى مسرحية أو الدخول فى مناقشة أو شىء ما من هذا القبيل، بدأ بعض الأشخاص الذين كانوا يشربون يصرخون فينا، ولكن الأمر مر بسلام وأصبح كل شىء على ما يرام، وبدأت أشعر بجنون العظمة، وكان الشخص الوحيد الذى أزعجه ذلك الشعور هو أنا نفسى.

كادت جيما ألا تشعر بوجودي مطلقاً، فقد كانت مستثارة جداً، ولكن للى ظلت تنتظر إلى الخلف؛ إلى، واعتقدت أنها كانت تتعجب وتسال نفسها ما الخطأ الموجود في؟ ثم بدأوا في الحديث عني، علمت ذلك لأنهم استمروا في توجيه بعض اللمحات الخاطفة نحوي، واستمر ذلك لبرهة، ثم عادت للى وأخذت بذراعي.

قالت: "احك لي عن أمك".

نظرت إلى جيما، وكنت محرجاً لأن هذا الأمر كان خاصاً جداً بالنسبة لى، ولكن جيما قالت: "استمر، أخبرها، أنى موافقة على ذلك، أخبرها... أخبرها...".

لذا حاولت... لكن ذلك كان أمراً صعباً للغاية فأنا لا أعرفهم، وظلت جيما تدور وتقفز، لقد أرادت مشاركة لى في كل شيء سواء كان ذلك خاصاً بها أو غيرها، وكانت تتحدث عن والدى كما لو كانا زوجاً من الوحوش، وأنا لم أحب ذلك الحديث عنهما بالطبع، خاصة بالنسبة لوالدى التى لم يكن الأمر بيدها، إنها ليست كما تبدو، وقد فعلت ما فعلته رغماً عنها، ليس لأنها قد أرادت أن تفعل ذلك بالفعل، حتى أبى كان كذلك أيضاً، إنهما لم يتمكننا فقط من التوافق معى، لقد كانا مرتبطين بعضهما ببعض، لكنهما لم يستطيعا فهمى أو التوافق معى، ربما لم يكن إنجاب الأطفال أمراً مناسباً بالنسبة لهما، هذا هو كل ما فى الأمر.

واستمرت للى فى الهمس مع جيما، لم تقل شيئاً كثيراً، استمعت إليها فقط، لكنى لم أعرف ما الذى فعلته بها.

وكان المكان الذى يعيشون فيه عبارة عن منزل كبير وقديم على طريق المدينة، قام ريتشارد بفتحه لهما، وأعتقد أنه قد فتحه من قبل لنصف الثلل الموجودة فى بريستول، وكان عبارة عن شقة فى الدور الأرضى، وهذه الحديقة الكبيرة، كان

داخلها يسوده الفوضى ومملوءًا بأشياء كثيرة من كل الأنواع: كتب، ملابس، أدوات، وكان هناك نصف موتور مفكوكًا إلى قطع صغيرة على الأرض، وكان روب دائمًا يركب المحركات أو يفكها.

وضعت لى الغلاية على النار، وشغلت بعض الموسيقى، وبدأت في الحديث مع روب، وكان ذلك حسنًا تمامًا، وكان روب ظريفًا وغريبًا بعض الشيء، كان لديه سنان أماميتان مفقودتان في فمه، وقد بدا كالمضروب على وجهه، ولكنه كان مهذبًا جدًا ومؤدبًا حقًا، فقط هذه الفجوة التي كانت في فمه تعطيك انطباعًا بأنه يمكن أن يكون شخصًا حقيرًا عندما يرغب هو أن يعطيك ذلك الانطباع عن نفسه.

أخذت جيما وللى في إنارة الشموع، وبدأ ذلك شيئًا جميلًا كبداية، ولكننى احترت لأنهما بدأتا في إحضار المزيد والمزيد من الشموع التي يصعب حصرها، فبدت كأنها غير متناهية العدد، وقد ظلت للى تحضر المزيد منها من الدولاب، وبدأ الأمر أغرب وأغرب، حتى روب بدا مندهشًا، لم يكن لديه فكرة من أين أتت بكل هذه الشموع بالرغم من إقامته معها، وكنا نضحك ونميل برءوسنا في كل مرة تخرجان فيها صندوقًا آخر من الشموع.

قال روب: "مناسبة كبيرة خاصة"، وبدأ في إخبارى عن المحرك الذى على الأرض والذي وجده فى المخلفات، كان موتور موتوسيكل، واعتقد روب أنه يستطيع القيام بإصلاحه وبيعه، كان قد درس المحركات عندما كان صغيرًا، وكانت طفولته غريبة، فقد كانت أمه تسكن فى مقطورة فى الشتاء وكانوا يركبون القطارات ويسافرون إلى المهرجانات والاحتفالات فى جميع أنحاء البلد فى الصيف، وما إلى ذلك من الأمور، لذا كان يعرف بالطبع كيفية إصلاح المحركات

منذ كان فى الثامنة من عمره، لأن كل شخص فى أسرته كان يستطيع دائماً إصلاح السيارات أو فكها إلى قطع والقيام بعمل الميكانيكى بنفسه.

قالت لى: "نعم موتور هوندا كبير ألف سى سى، برم، برم، الزعيم الكبير يزور الأماكن".

كانت تغيظه، ولكنه ضحك فقط، لم يكن يهتم لذلك على الإطلاق، امتلأت الحجرة بضوء الشموع، وكنت خائفاً من حدوث حريق، وكان هناك بعض الشموع الموجودة على الطاولة بين الأطباق والأواني الخاصة بوجبتنا الأخيرة، ربما عشرون أو ثلاثون شمعة أخرى مشتعلة، وكان الشمع موجوداً فى كل مكان على الأرض وملتبساً بالكتب والأرفف والطاولات وحتى أعلى الأبواب، وأصبح الجو ساخناً جداً هناك.

قال روب: "إنه تجمع الشموع".

قالت لى: "الشموع سحر وأنا أجمع السحر كله".

وعندما أشعلت لى الشموع كلها... لا أدري كيف أخبرك عما حدث، لقد جاءت وجذبتنى إلى قدمى جيما التى كانت تبسم لى.

قالت لى: "لقد فعلتها".

- "فعلت ماذا؟".

- "لقد كانوا يريدون تحويلك إلى حيوان، ولكنك حطمت ذلك، لقد ابتعدت عنهم وتركتهم".

قلت: "نعم".

كنت مثل الأحمق واقفاً هناك أحملق في الشموع متعجباً ومتسانلاً عما يحدث.

صرخت للى فجأة: "إنك رجل معدنى لعين من التيتانيوم! نعم... تار الرجل التيتانيوم".

جذبتى من ذراعى ورفعته فى الهواء، حاولت إنزاله ولكنها دفعته مرة أخرى لأعلى وبدأت فى الرقص حولى.

قال روب مبسماً... "نعم. ذلك صحيح يا رجل، أنت تذهب بعيداً". ثم هز رأسه.

صاحت جيما: "إنها تقصد ذلك يا تار، لقد فعلت أكثر الأشياء دهشة، لقد فعلتها، لقد فعلتها...".

قالت للى: "لا أعرف كيف استطعت أن تكون قوياً هكذا وحقت كل ذلك، لقد فعلتها يا رجل، وما أنت ذا وسيكون باقى حياتك عظيماً، وأنت مثير حقاً وأنا أحبك يا رجل، أنا أحبك ممم... نعم، أنا لا أعرف كيف يمكن مقاومتك، إنك عظيم جداً"، ثم أمسكتى وجذبت رأسى إلى أسفل، وبدأت فى تقبيلى ودفعت نفسها نحوى، كما لو كنت نجماً سينمائياً شعبياً أو شيئاً من هذا القبيل، لم أعلم ماذا أفعل... أقصد لقد كانت شبه عارية، وكان روب موجوداً، ولكنه كان ودوداً، وكذلك كانت جيما تهتف أيضاً، لذا قمت بتقبيل للى رداً على تقبيلها لى، ودعكت جسدها بيدى وكان أغلب ذلك فى...

قالت للى: "هم هم أنت جذاب وقوى جداً، أنت الرجل التيتانيوم".

قلت فى نفسى: نعم... لأنى فعلتها، أليس كذلك؟.

لقد تعودت أن أظن أنه لم يكن لدى القوة الكافية، لقد اعتدت على هذه الطريقة في التفكير، وكنت أشعر بأننى مذنب وضعيف جدًا وكأننى شخص آخر يفر هاربًا، لكن... أقصد لا عجب فى أن الخروج من تلك المشاعر والأحاسيس كان أمرًا صعبًا، لقد حطمتنى ذلك الشعور تقريبًا، ولكننى فعلت ذلك، لقد ابتعدت عنهم، لقد فعلتها...

قالت: "لقد فعلتها، لقد فعلتها..."

اندهشت، لم أدرك ذلك من قبل، لقد فعلتها - لقد ابتعدت...

- "نعم".

(١٢)

روب

حدث ذلك فى نهاية الأسبوع، لم أكن مهتمًا لمعرفة اليوم، فأى يوم هو مجرد يوم فى نهاية الأمر، وكنا قد غادرنا الفراش، ربما فى الواحدة تمامًا، وكان لدى بعض العمل الذى يجب علىّ أن أنهيه، ولكن فى تلك اللحظة كان مجرد الجلوس والاستماع إلى الموسيقى ومراقبة الناس يعد أمرًا جيدًا، لقد قضيت نصف حياتى فى ذلك.

استيقظت جيمًا من نومها بدت كالعربية، واستمرت حتى أحست بالمكان، ثم أخذت تفرقع أصابع قدميها وهى تبتمسم، شغلت لى الموسيقى، وذهبت إلى جيمًا وأعطتها قبلة كبيرة، وسألتها: "هل أخبرتيه؟".

فردت عليها: "لا... لا... لم أستطع حتى الآن، سأخبره فيما بعد".

مكثنا معًا بعدما ذهب تار إلى الفراش فى الليلة السابقة، وأخذت جيمًا تخبرنا عن كل شيء عنه وعننا، وكيف أحبها برغم أنها لم تحبه، ولكنها لم ترد إيلاسه لأنها كانت تستلطفه كثيرًا، واستمرت فى الحديث عن كل هذه الأمور.

كانت جيمًا تشعر بأنها مكبلة قليلًا، واستطعت أن أدرك ما تعنيه، لقد مر تار بوقت صعب، وتعرض لكثير من المفاجآت فى الوقت الذى كان يريد فيه أن يرتاح

قليلاً، ولكن جيما أرادت أن تبدأ العاصفة، كانت مغرمة به، ولا تريد أن تخذله، ولم تكن تعرف إلى أى مدى يمكن أن تقتده، وقضينا نصف الليلة نتحدث عما إذا كانت ستركه وتوليه ظهرها أم أنها ستظل باقية معه.

ثم فى لحظة ما قالت للى: "تعالى وعيشى هنا...".

نظرت جيما إلىّ.

فقلت: "لم لا؟".

- "هل تقصد هذا؟ هل... حقاً... تقصد ذلك؟ أنا أحب أن أعيش هنا، أنا أحب أن أعيش معكما"، وساد الإحساس بالراحة كما تعرفون، وعندما لاحت هذه الفكرة فى أذهاننا عرفنا جميعاً أن ذلك كان صواباً، وبدأنا فى القفز، ورحنا ونحن فى هذه الحالة من الجنون نتقلب على الكنبه ونتعاق.

قلت: "مرحباً بك فى منزلك يا جيما"، ولففت لفافة تبغ كبيرة احتفالاً بهذه المناسبة...

إذن فقد تم ترتيب الأمر بأن يعود تار إلى ريتشارد وفونى ليعيش فى الساحة، وأن تبقى جيما هنا معنا.

قالت: "يمكنه أن يأتى ويزورنا متى شاء كان شعورى تجاه ذلك أن الأمور يمكن أن تسير على هذا المنوال.

عندما استيقظ تار فى ذلك الصباح، جلس بجانب جيما على الكنبه ممسكاً كوب الشاي بين يديه، ينفخ فيه، ويرفع عينيه إلينا، كنت أفكر فى ذلك الرجل التيتانيوم المعدنى، وما كان يفعله مع للى، وكيف جعله ذلك يشعر بتحسن فى الليلة الماضية، وتساءلت ماذا سيحدث الآن؟.

لقد أحببته، أتعرفون؟ لم يكن ذلك النوع المريح من الأشخاص، إنه حتى لم يحب هذا المكان مثل جيما، ولكنني أحببته، وكان يحتاج إلى أن يمضي بقليل من البطء، كان ذلك نوعاً من اليقظة، كانت يقظة كل من لى وجيما تزداد بسرعة، وكأننا نشعران بأنهما أختان بالروح منذ البداية، وكان تار المسكين جالساً لا يعرف ما الذى كان يحدث من حوله، فقد تركوه وحيداً، حسناً لقد هجروه، أليس كذلك؟ أما أنا فمن النوع الذاتى، كان تار جالساً مع لى وجيما عندما أخذنا فى الحديث، اللعنة لقد أحس بالهجر، وأمكنتى أن أرى أن جيما كانت منزوعة قليلاً، وكذلك كان هو أيضاً على ما أعتقد، نعم.

أخذت جاكنتى ونهضت قائلاً: "هل تأتون معى؟".

سأل تار: "إلى أين" ونظر إلى جيما.

قالت جيما: "كل شىء على ما يرام، يمكنك الذهاب معه، سأظل هنا إلى أن تعود".

نظرت لى إلى نظرة سريعة وأومات، إنها تلك الأمور التى تشغل بها، أنتم تعرفون، ثم أخذ تار معطفه، واتجهنا نحو الطريق، كان طفلاً صغيراً، أقصد، كان يشعر بأننى مختلف عنه، كما لو كان قد نشأ على ضفة النهر بينما نشأت أنا فى الغابات المتوحشة.

وبدا الحديث عن لى وقال: "إنها..."، ثم صمت، وبلغ الكلام، وهو أمر معقول جداً، كيف يمكن لأحد أن يصف لى؟.

قلت: "نعم لم يجد أحد الكلمات المناسبة لوصف لى حتى الآن"، وابتسم وأوما لى.

عدت لأقول "ولكن ماذا عن جيما؟ هل تعتقد أنهما ستظلان صديقتين حوالى ألف عام؟". وضحكت لأنهما ربما...

- "نعم"، قالها بنوع من الأسى الجميل، الذى لم يكن مفاجأة لى؛ لأن جيما لم تعد تعبره أى اهتمام منذ أن قابلت لى، قلت: "إنهما فتاتان مدهشتان، أليس كذلك؟" وتوقفت، وابتسمت له لأننا- كما تعرفون- كنا بالخارج معهما، إذا ما الذى فعله ذلك بنا؟ وربت على ظهره، لقد جعلنا هذا مثل الإخوة بالدم، وابتسم مرة أخرى بقليل من الخجل، نعم، وأعتقد أنه قد أصبح أكثر رقة بعد ذلك.

لم يكن لدى سوى القليل من الوقت، فقد أردت فقط أن أجعله يرى ما كنت أرغب فى أن يراه، وجدنا دلوًا للمهمات، وأخذت أبحث عن بعض الحطب من النباتات التى كانت فى الصيف، وكان الجو دافئًا ولكن ربما أردنا أن نوقد بعض النار فى الحديقة فيما بعد إذ كان الطقس على ما يرام، وجذبنا بعض قطع الخشب وبعض الأشياء الأخرى إلى الخارج، ثم وجدت هذه الصور، كانت بضع صفحات منزوعة من كتاب قديم، رسومات ولوحات... أنتم تعرفون هذه الأشياء، وكان يوجد قليل من المناديل الورقية على كل لوحة، لا بد أنه كان معرضًا لتلك اللوحات، وكان تار ينظر إليها، لذا حملتها معى.

قلت: "هل أعجبك؟ يمكنك أن تأخذها".

وبدأ فى رفعها، ربما ظلت هناك ثلاث لوحات باقية، كانت هذه اللوحات رسوماً لورود صغيرة فى مكان ما، وهى صور تشبه الحقيقة، وقد شدته تلك اللوحات بالفعل، فقد كان يحب رسم الزهور، ويحب أن يتعلم الرسم، ثم بدأ فى الانزعاج بشأن الكتاب.

قال تار: "لا بد أن شخصًا ما قد ألقى به بالصدفة بدون قصد".

فقلت له: "ربما يساوى شيئًا ما، من الأفضل أن ندق على الباب...".

كنت أضحك معه فقط، إنه لا يعرف شيئًا عن تلك المواقف التي يشعل فيها الناس الأشياء القديمة، إنه لا يعرف عن نوعية الأشياء التي يتخلص منها الناس، يمكنك أن تجد أي شيء في ذلك الدلو: سجاجيد، ملابس، كتب، أجهزة راديو، وأشياء من كل نوع، أنتم تعرفون... تموت الجدة، وكل شيء يذهب معها لأنه قديم، أو لأن الجدة كانت مثل الحقيقة القديمة ولذلك فإن كل شخص يعتقد أن أي شيء امتلكته عديم الفائدة مثلها تمامًا.

يمكنك أن تجد أي شيء في دلو المهملات، وكان لديه عين فاحصة، ولم يستطع أن يصدق أن أي شخص يمكن أن يفكر في أن هذه القطع مجرد قمامة عديمة الفائدة.

أخبرته أنه ربما كانت بقية الكتاب موجودة هناك، فنظر إلى دلو القمامة كما لو كان خزانة كنز، وقد كان في الحقيقة كذلك، وقلت في نفسي، آه، إنه يحول هذه الأشياء التي لا قيمة لها إلى أشياء ثمينة، لذا تجمعنا هناك، وكان شغوفًا جدًا برؤية كل شيء، وانتهى به الأمر إلى حفر ممر أسفل باب قديم، وبذا استطاع أن يجد طريقه إلى الداخل، التصقت قدماه بالحافة بينما ظللت أنا أراقب الطريق، كان ذلك عظيمًا، لم نجد بقية هذا الكتاب ولكننا وجدنا بعض الكتب الأخرى الغريبة، منها كتب فيها صور أطباق مع القليل من الرسوم لتلال ولأشياء أخرى، وكان مبهورًا بذلك.

ظل تار يردد: "هذا غير معقول، خيال يذهلنى" ابترست فقط، هذه الأشياء لم تكن لها أى قيمة بالنسبة لى، لقد أخرجتها بنفسى، وكنت قد وجدت فيها مفتاحًا إنجليزياً بحالة سليمة وكابل كهرباء، ولكنه كان معطلاً لا يعمل.

وعندما جمعنا كل الكتب، قمنا بتنظيف بعض الخشب وحملناه إلى المنزل ورصصناه بالداخل، انظر؟ وقود مجانى، وقمنا بتدفئة المنزل كله طوال الشتاء باستخدام هذا الدلو كموقد للخشب ووفر علينا ذلك بناء مدفأة.

بدأ تار يفهم الفكرة، كان يتحدث عن كيف أن والده قد اعتاد على التوفير فى تكلفة التدفئة بأن يخرج كل الوقت ويدفئ نفسه فقط، بالطبع لم يكن والده كذلك أبداً، إن الناس يخلون من الحصول على الأشياء بالمجان، ولو كانت الخزائير المحمرة تجرى فى الشارع من حولنا كنا سنتركها لأننا لا نتحمل الوصمة الاجتماعية، ذلك هو ما يفعله الرجل السيئ فقط.

قلت: "ولكن لم تكن أنت من يفعل ذلك؟" وابتسم.

ذهب تار لبرهة ليعرض الكتب على جيما التى بدأت فى قطع بعض الخشب الذى سيستعملونه فيما بعد، ولم يكن الخشب هو الشيء الوحيد الذى كان يمكنك أن تجده فى براميل المهملات، لكن هل تعرف أن الشيء المدهش هو أن أخذ أى شيء من براميل المهملات كان يعتبر سرقة، فتلك القمامة تكون مملوكة أيضاً لشخص ما، كنت ذات مرة موجوداً داخل أحد براميل القمامة أفترش عن بعض الخشب، وكان أحدهم قد خبأ كمية من المسامير والصواميل ولو خاً معدنياً فى ذلك البرميل، وقد أمكنتنى أن أخرج منه بعض الأدوات لكى نستخدمها فى الساحة على أية حال، وتلفت فوجدت رجل شرطة يسير وهو ينظر إلى بدرجة كبيرة من

الأهمية، كما لو كان قد ضبطنى وأنا أركل امرأة عجوزاً، وقال: "إنها أملاك خاصة لشخص ما".

قال ذلك وأخرج دفتره الصغير من جيبه.

"لقد كانت هذه الأشياء مبعثرة فى الخارج".

لوح بدفتره فى وجهى قائلاً: "إنه شأن المالك وليس شأنك أنت، اسمك من فضلك يا بنى".

لم أستطع أن أصدق ذلك وأشرت إليه قائلاً: "إنهم لا يريدونها ولذلك ألقوا بها هنا".

قال: "فى هذه الحالة فهى تصبح ملكاً لمجلس المدينة الذى سيكون مسئولاً عنها، الآن أنا أريد اسمك وعنوانك".

قلت: "إن المجلس يجب أن يدفع للتخلص منها".

قال: "لا تجادلنى يا بنى"، ورفع قلمه الرصاص فى الهواء وانتظر.

أقصد ما الذى يمكنك عمله. مع أناس مثل هؤلاء؟ لقد أخبرت للى عن ذلك فيما بعد، وكانت غاضبة، بدأت فى ركل الأشياء التى حولى فى الغرفة، إنها فقط لم تستطع أن تتحمل فكرة أن أناساً مثل هؤلاء يتجولون ويثيرون المشكلات.

صرخت: "اللعة على هؤلاء الشرطة".

وبدأت فى ركل ثقب كان موجوداً فى الباب بقدمها لم يكن هناك شىء نتجادل بسببه معاً، وأخذ الشرطى منى تلك الكتب وأعطيته اسمى، حسناً.

"فأر... إنه فأر... نطقها فأور.

دمدم الشرطى: "أستطيع أن أصرفه، أستطيع أن أصرف ذلك الفأر".

قلت وأنا أتسلق خارجاً من البرميل "ميشيل"... لقد كان ذلك الشرطى سمجاً جداً، ولم يكن ليترك المكان قبل أن أبدأ فى ذكر عنوانى "٦ طريق حفرة الفأر - ديزنى لاند".

كان آخر شيء أراده هذا الشرطى هو أن يعود إلى المخفر قابضاً على فتى بتهمة السرقة من برميل مهملات، فقد كان يدور بوزنه الثقيل باحثاً عن قليل من الفكاهة والمرح، انظروا...

"الآن استمع إلىّ يا بنى..."

قلت: "حسناً، دعنا نذهب إلى المخفر ويمكنك توثيقى أمام كل زملائك، اتفقنا؟"

ما التهمة، حيازة غير قانونية لبعض المهملات؟

وسادت لحظة من الصمت أثناء حملة الشرطى فى، كانت نظرتة سيئة حقاً كما لو كنت قطعة من براز كلب، إن رجال الشرطة لا يحبون أن ينهزموا، ماذا لديهم إذن؟ الشيء الذى يذكر هنا أنه ليس من المهم إيقافك، ماذا لديهم إذن؟

قال: "أنت ماهر أيها الصبى. ألسنت كذلك؟".

قلت: "أمهر منك"، قد كان ذلك حقيقياً، لكنه لم يكن تحية لى، ثم أسرعت الخطى، اتبعنى لبرهة ولكنه توقف وكف عن متابعتى.

صرخت: "غبي! إن عقلك ليس كبيراً مثل كرشك"، فاستدار متظاهراً بأن شيئاً لم يحدث، لقد كان خائفاً من أن يبدو تافهاً لو ألقى القبض على، لا... لقد كان خائفاً بالفعل.

بعد أن دفنا الخشب في الحديقة ذهبنا إلى مكان صديقي ديف، جلسنا ودخنا بعض اللقافات، وتسألنا خارجين من الخلف مع ديف لإنهاء بعض الأعمال، وعندما عدنا كان تار جالساً هناك يتحدث مع سال عن براميل المهملات، وكيف أنها كانت مدهشة بكل ما تحتويه مما يلقي به الناس فيها وما إلى ذلك، كان مبهوراً بنفسه لذا قلت في نفسي إنه يلقي علينا الدرس رقم اثنين.

فعلينا، كان ينبغي علينا العودة لرؤية للى، فربما كانت تشعر بالقليل من الغضب الآن، ولكنى كنت أقضى وقتاً طيباً، لقد أحببت الفتى و... حسناً إن للى عنيفة حقاً بصفة عامة، واصطحبته إلى وسط المدينة وألقينا نظرة على المتاجر، كنت متوجهاً مباشرة إلى متجر مارك أند سبنسر، وأريته كيف يتحرر الطعام ويصبح مجانياً ومررنا في طريقنا على مكتبة إلين.

كان هناك مجموعة كتب معروضة في الداخل، وكانت ضخمة ومنها كتاب طوله نصف متر، وهو أحد كتب التصوير الضوئي لصور أبيض وأسود، ونساء عاريات، ولكنهن لسن منحرفات، حسناً؟ كان بعضهن في غاية الجمال بالفعل ولكنه كان فناً سيئاً، أتعرفون؟ كان من النوع المسموح لك بالنظر إليه.

أحب تار الخبير كل ذلك، وظل يتصفحه ويكتشف الصور والجزئيات الصغيرة الموجودة في كل صورة جديدة، ويصبح بتعجب ويقول: "انظر إلى هذه!"، لقد استحوذ عليه ذلك حقاً، لكن هذا النوع من الأشياء ليس له أى تأثير على، أقصد أننى كنت أحب الصور الوقحة ولكنه- أحبها فعلاً- لسبب آخر، كان أحب شىء

إلى نفسي فى هذا الكتاب كان ثمنه، ستون جنيهاً لأجل كتاب! يا للمسيح، لقد كان ذلك عملاً فنياً، ومن كان يعتقد خلاف ذلك ينبغي أن يحصل على خصم عليه، لم أعتقد أن هناك من سيشتريه، فقد كان معروضاً هناك نوعاً من الدعاية للمكتبة، أنتم تعرفون ذلك النوع من الدعاية، ما أروعنا من مكتبة لبيع الكتب، لدينا كتب غالية الثمن لدرجة أنه لا يوجد أحد يستطيع أن يتحمل أسعارها.

قال: "شخص ما سيشتريه فعلاً ليصبح ملكه".

قلت: "ينبغي أن أصبح كالديك".

قال تار: "إن امتلاكك لمثل هذا الكتاب مثل امتلاكك للسماء أو شيء من هذا القبيل".

كان لدى شيء من الرغبة فى أن أحمل بعض هذه الكتب ولكن العاملين فى المكتبة كانوا يراقبون، لذا أدركت أنه من الأفضل أن نتحرك من هذا المكان.

كنت أخطئ بوقت طيب فى محل مارك أند سبنسرز، وفكرت أنه وقت المقابلات والاحتفالات، نحن نقابلهم... وهم يقابلوننا... وهو مناسبة للاحتفال كذلك لأن جيما كانت آتية لتعيش معنا على الرغم من أن تار لم يعرف ذلك بعد.

كنا واقفين أمام قسم اللحوم، قلت: "هل أنتما الاثنان من النباتيين؟".

- "لا".

وضعت عدة أكياس من اللحم الإستيك فى سلة.

قال تار: "انظر! أنا لا أملك أى نقود". وكان فى منتهى العصبية.

- "وكذلك أنا".

عبرنا الممشى ولم أجعله يرانى وأنا أخفى اللحوم فى معطفى، لقد لاحظ فقط أن السلة أصبحت فارغة، ولمحته بطرف عيني وهو ينظر إلى الأرض خلفه ليرى ما إذا كنت قد ألقيت بالأشياء على الأرض.

ثم حدثت نكتة.

يا لتار المسكين! لقد تجمدت ملامح وجهه تقريباً، عندما أخذت علبتين من الفاصوليا وذهبت لدفع ثمنهما، ووقفنا فى الصف، وأصبحت متوترًا فى ذلك الوقت بالرغم من أننا قد قمنا بالسرقة بهذه الطريقة عدة مرات من قبل، كان تار خائفاً جداً وقلقاً وكان يتلفت حوله فى المكان ليرى ما إذا كان هناك من يراقب الزبائن، وكنت أعتقد أن هناك من يلاحظ المكان ولكن المفتشات الموجودات فى المتجر كن يشعرن بالملل لدرجة أنه كان يمكنك سرقة فيل بأكمله والخروج به أمامهن دون أن يلاحظن ذلك.

كان تار مبهوراً ومندهشاً بذلك عندما خرجنا من المتجر بسلام، وكان يرقص حولي ويتمايل بشدة، وأصبح يشعر بالسرور وهو برفقتي، إن تار شخص متقلب، وقد تعتقد فى وقت ما أنه شخص هادئ، ثم يبدأ بعد دقيقة واحدة فقط فى الهياج كما سبق من قبل.

قال تار: "هيا نعود إلى الداخل ونحصل على أشياء أخرى".

قلت له وأنا أهز رأسى: "فى المرة القادمة".

لم يكن يعرف كيف يتظاهر، ينبغى عليك أن تتظاهر بأنك صناعى تحاول شراء بعض الأدوات الخاصة بحرفتك، كانت علامات التجهيم ترسم بوضوح على وجه تار، وكان لا بد لنا من الحصول على بعض البيرة ونحن فى طريقنا إلى

المنزل، فدخلنا متجراً، وعندما خرجنا أظهر لى ما كان يخفيه فى معطفه، وهو زجاجة من النبيذ لم ألحظه وهو يسرقها، ربت على ظهره وابتسمت، وانحنى أمامى كما لو كنت قد منحتة مائة ألف جنيه، حسناً، سوف يستطيع الحصول على أى شىء يريده بعد ذلك كما ترون.

كان يشعر كأنه طائرة ورقية محلقة فى السماء، ألقت جيما عليه نظرة وقالت "ما الذى حدث لك؟"، وكانت للى على استعداد تام للشجار لأننى تأخرت كثيراً، ولكن عندما علمت كيف قضيت ذلك الوقت مع تار شعرت بالارتياح لذلك، وذهبت معها إلى الجزء الخلفى المبنى وأخذنا نتسابق ونلهو معاً، فقد كنا فى عطلة نهاية الأسبوع وكان من المهم أن نهدأ ونخطط لقضائنا فى بطة.

كان تار جالساً على الأرض يعرض على جيما ذاك الكتاب الذى وجده فى البرميل أمام مكتبة إلين، وكل الأشياء التى وجدها هناك، وكانت جيما تعامله بقليل من الاستسلام، وقد أزعجنى ذلك لأنه كان يبدو عليها كأنها سوف تتركه وراء ظهرها وتمضى، وكنت أحب أن نظل جميعاً معاً كمجموعة واحدة، ونظرت إلى للى التى كانت تتحنى على جيما لتلقى نظرة على ذلك الكتاب، وبدأ تار فى إخبارها عن رغبته فى الرسم، وكانت تبدى اهتمامها لذلك، وقد فكرنا أنا وللى فى أنه ينبغي ألا نتركهما للضياع أو للألم، ربما نجد طريقة لإحضاره للعيش معنا بدلاً من أن نتركه يذهب بعيداً عنا بهذا الشكل.

تناولنا وجبة كبيرة، لحم ونبيذ، كما تناولت للى بعض اللحم أيضاً، لم يكن لدينا أى لحم فى المنزل منذ أسابيع، وقد أشعلنا ناراً كبيرة فى الحديقة للشواء.

كان لدينا حديقة رائعة، ستحبونها، وكان يوجد شجرة عالية فى نهاية الحديقة تطل على الطريق، كما كان يوجد أيضاً سرير صغير مغطى بالزهور والقليل من

النباتات الأخرى قمنا بزراعتها في أول الربيع، ولكننا لم نَقم بأى شىء زيادة على ذلك، وكانت بعض النباتات الأخرى قد أخذت في النمو من تلقاء نفسها، ارتفعت روى المعنوية في هذه الليلة، وبدأت في الحفر ولكن الفأس تحطمت.

وكان هناك نبات الهندباء ينمو بين الحشائش، استمر تار في الحديث عن الهندباء، وعن اللوحة التي رسمها لها، وكيف كان- حقاً- يريد أن يرسم لوحة أكبر وأشد تألُقاً يوماً ما باستخدام ألوان الباستيل التي اشترتها له جيما.

كانت ليلة جميلة، وكانت جيما راقدة وتار بين ذراعيها، كانا سعيدين معاً، وكنت أريد أن تغير رأيها بالنسبة للرحيل، وكنا سنجيز حقائب النوم لننام في الخارج، ولكن السماء أخذت تمطر فيما بعد، لذا ذهبنا جميعاً إلى الفراش بالداخل.

نظرت في الصباح من خارج النافذة، كانت المدفأة مبللة، ولكن كان بها بقايا بعض الحطب، وكان يوماً ندياً لذا ارتسمت هذه الصورة في مخيلتي لأنك لا ترى مثل هذا المنظر كل يوم.

كان تار جالساً هناك على كرثونة حليب أمام المدفأة محلقاً وهو ينظر إلى الشجرة، وكان يبكي، اعتقدت في البداية أن تلك القطرات الموجودة على وجهه كانت من المطر، ولكنها كانت دموعاً حقيقية، وقلت في نفسي اللعنة على ذلك.

وقمت بالتربيت على لى لإيقاظها لكي تلقى نظرة على تار.

التصقنا كلانا بقرب النافذة، ووقفنا في صمت، ونصفنا خلف الستارة، لذا لم يستطع تار أن يرانا وكان الوقت باكراً.

قالت: "آه ه ه"، وهى تحتضن بذراعيها إطار النافذة، وشاهدته يبكي بجانب النار.

وعادت لنقول: "أليس ذلك المنظر جميلاً؟ فلففت ذراعى حولها وقالت مرة أخرى: "أليس هذا المنظر جميلاً؟".

(١٣)

تار

عدت إلى حجرتي وأخرجت الألوان الباستيل التي أعطتها لي جيما وذهبت إلى نبات الهندباء، وكان لدى قطعة من الورق المقوى أعطتها لي فوني، وجلست وعلى ركبتي قطع الباستيل متألقة مثل ما أردته بالضبط، ولكنها لم تكن ألواناً جيدة.

جاءت فوني وسألتني عن حالي، قلت "بخير"، وسألت عن مكان جيما وكان ينبغي عليّ أن أخبرها أنها لم تعد معي إلى هنا، وجاء جيري وسأل ماذا يحدث، ثم جاء ريتشارد، جلست وتمنيت أن يذهبوا جميعاً ويتعدوا عن هنا.

أشعر أحياناً كما لو أنني كنت عضواً منزوعاً من أعضاء وحش كاسر، كان كل ما أراه يجعلني مشتتاً طوال الوقت، وكان يمكنني تغيير تعابير وجهي حسبما أريد ولكنني نسيت ذلك، لذا عرف الجميع بكل خلجات نفسي، وما يدور في رأسي وما أشعر به في كل ثانية.

كنت أريد فقط أن أدفن نفسي في الأرض على عمق أكثر من مليون ميل.

كانوا يدخلون ويخرجون ويتحدثون عن ذلك الأمر وهم يراقبونني ويغمزون بعضهم للبعض، ثم أخذوا في الحديث عن للى وروب.

قال جيري: "خبثاء"، الأمر الذى صدمنى، كانا يبدوان خبثاء، ولكنهما لم يكونا كذلك.

قالت فونى: "أنا لا أحب أن أرى أى واحد منهما يتتبع خطوات حذائى فى الصباح". وقد أضحكنى هذا الأمر بالفعل.

نظرت إلى ريتشارد لأنه كان الشخص الذى أثق به أكثر من أى فرد آخر فيهم، لقد بدا غاضبًا بشكل رائع، ولكنه لم يقل أى شىء. لقد تجمعوا حولى وعانقونى وحاولوا إسعادى، ولكن لم يستطع أى واحد منهم أن يجعلنى أشعر بالسعادة مثل للى، وذلك عندما أطلقت على اسم الرجل التيتانيوم (الفلىزى).

قلت: "لقد أحببتهما".

قال ريتشارد: "أه يا عزيزى".

كانت فونى غاضبة من جيما، وهى تظن أنها مستهترة غير مبالية ولا تستطيع تحمل أى مسؤولية حقًا، واستمر جيري فى إغضابى منها ولكنه-ربما- كان ذلك من أجل مصلحتها، والشىء الغريب هو أننى كنت طوال الوقت أفكر فى أمى، وكل ما كان يدور فى خلفية ذاكرتى هو رؤيتى لهذه الصورة الصغيرة لأمى وهى تنظر إلى، وأبى وهو واقف خلفها كالجبل الشامخ وقد أخذ وجهه فى التحول إلى اللون الأصفر أكثر وأكثر وأكثر.

قلت: "إنها فقط تريد أن تطير".

قالت فونى: "يجب عليها أن تسير أولاً قبل أن تركض، دعها تطير بمفردها".

ولكننى كنت أيضًا أريد أن أطير معها.

أتى روب فى اليوم التالى أو الذى يليه، وكنت فى حالة حيرة وتردد من أمرى بشأن تصميمى على أن أظل بعيداً عن جيما، كنت أمل أن أعطيها فسحة من الوقت، فربما تشعر بأنها تفقدنى وتريد استرجاعى بالرغم من أنه- لكن صديقين- لم يكن هناك فرصة كبيرة للحديث عن ذلك.

قال: "إنها تريد أن تظلا أصدقاء فقط وليس معنى ذلك أنها لا تريد أن تراك".

أخبرته "أريد فقط أن أتركها لفترة قليلة".

قال: "ماذا عنى وعن لى؟ نحن نريد أن نراك".

وخرجنا للتمشية، لم أخبره عما قاله الآخرون عنهما، وتجولنا حول المكتبات والمحلات التى تبيع قطعاً فنية لكننى... كنت مشتتاً جداً وشعرت بالسرور عندما انتهينا وأخبرته أن يقول لجيما أننى لن أراها لبعض الوقت.

قال روب: "سوف تصاب بخيبة أمل".

قلت: "لا أعتقد هذا" ؛ لم يجب، كانت تلك هى الحقيقة، فقد ألقت بى وراء ظهرها.

مر أسبوع قبل أن أراهم مرة أخرى.

قالت فونى: "يوجد شخص ما يريد رؤيتك"، وعرفت من هو فى الحال من طريقة حديثها التى بدت كما لو أن المرحاض قد طفح بما فيه أو شئ من هذا القبيل، نظرت أسفل السلالم وكانت للى تتلوى بالأسفل مثل قطعة أو ثعبان أو... مثل للى.

كان من الغريب أن أراها هنا، وكان الأمر هكذا- دائماً- مع للى، كلما تراها خارج منزلها تبدو كأنها مشردة بدون مأوى، أو أنك قد نظرت خارج نافذتك فرأيت أفعى كبيرة تتزلق مبتعدة عن الدغل، أو كما لو كانت تمارس مغامرة خطيرة غير معقولة لمجرد السير فى الطريق.

قالت: "تعال معى!" وكنت أخطط لأن أبقى بعيدًا لعدة أيام أطول ولكن...

ارتديت معطفى واتبعته خارج المنزل.

كان يومًا معتمًا... ورأيتها فى الليل نصف عارية داخل المنزل، وقد ارتدت الآن جونة طويلة وأخذت تجرها وراءها.

كانت تسير بجانبى وهى مبتسمة طوال الوقت كعادتها، كما لو أن لديها سرًا خطيرًا.

سألت: "كيف حال جيما؟".

قالت: "آه، إنها عظيمة، إنها مثيرة، أنت تعرف صديقتنا جيما". ثم ضحكت لى.

كان يجب على أن أبدو محبطًا لأن جيما لم تكن حزينة مثلى، قالت لى: "لا تفقد كل شيء فى هذه العلاقة الحميمة الرومانسية".

ثم بدأت فى التأوه والخبط على صدرها ورقبتها قائلة: إن حياتى عند طرف النهاية، فلن أستطيع الاستمرار بدونها، آه واو، آه، واو... ثم أنهت حديثها ومالت بظهرها على حائط ممسكة عنقها بيدها ولسانها خارج فمها.

خمنت أن الأمر كان كذلك فعلاً، أليس كذلك؟ لقد كانت الأمور معلقة بينى وبينها، وأعتقد أنني أردت شيئاً ما لكى أتعلق به بعد الفرار بعيداً عن المنزل، سنذاً آخر أو عكازاً آخرًا أستند عليه، ربما كان ذلك هو كل ما فى الأمر.

ابتعدت لى عن الحائط ووضعت ذراعها فى ذراعى.

قالت: "لقد كانت تفقدك، حسناً كلنا افقدناك، وأنا أيضاً". ثم وقفت على أصابع قدميها وقبلتني على شفتى قبلة طويلة حقيقية، ثم انطلقنا فى الطريق وذراعها فى ذراعى، وجسدها الدافئ بجوار جسدى.

وصلنا إلى المنزل وجعلتني أنتظر فى الصالة.

صرخت قائلة: "نحن فى المنزل".

قال روب: "انتظرا دقيقة".

ثم انفتح الباب وخرجت جيما بسرعة، بسرعة مائة ميل فى الساعة، ولفت ذراعها حولى وأخذت تقبل وجهى كله، مثل المرة التى استقبلتها فيها فى محطة الأتوبيس عندما أنت إلى هنا لأول مرة.

قالت: "لقد افقدتك. افقدتك حقاً، وكنت مندهشة من مقدار افتقادی لك"، وبدون أن تترك لى أى فرصة للتفكير، جذبتني إلى الغرفة حيث كان هناك روب ومعه علبة بييرة فى يده يومئ ويبتسم وبجانبه...

كان ذلك الكتاب! لم أستطع أن أصدق ذلك، الكتاب الذى يساوى ستين جنيهًا، والذى ينبغى أن تكون إلهاً لكى تمتلكه، كان لديهم فى ذلك الصندوق الخشبى، وقد علقوه بالأشرطة والأزهار التى قطفوها، أكواماً وأكواماً من الهندباء،

وكارت كبير مكتوب عليه "من أجل تار حبا من...، وكانت أسماؤهم مكتوبة عليه من أجلي.

قلت: "لمن هذا؟ لمن هذا؟" لأن ذلك لم يكن له أى معنى.

وقالوا معا: "لأجلك. لأجلك".

لم أصدق ذلك، وكانوا قد فتحوا الكتاب على إحدى الصور التى أعتقد أنها مذهشة فعلاً كانت مغطاة بالزهور وأوراق الزهور التى صنعتها لى، وكان كل ذلك مغلفاً فى حرير أحمر، وكان ذلك مثل القطع الأثرية بالنسبة لى.

- "لكن... كيف حصلتم عليه؟ أقصد على هذا الكتاب، فقد كان تحت حراسة وملاحظة شديدة فى المكتبة من جانب الأمن والمساعدين".

قال روب: "إنك أنت الشخص الوحيد الذى يمكن أن يقدم إليه هذا الكتاب".

وقالت لى: "نعم، والآن قد حصلت على ثلاثة أشخاص يحبونك بدلاً من واحدة فقط".

وقبلتنى قبلة كبيرة، قبلة خاصة لمدة دقيقتين، وسمعت جيما تصفق بكفيها وتصرخ، وكذلك فعل روب.

- "ياه، ياه" لقد بدأ فى العد ليريا كم طول المدة التى يمكننا فيها الاستمرار فى العناق والبقاء معا على هذا الوضع.

ثم أخذت جيما فى البكاء فى وسط تقبيلى لها.

وكان ذلك نوعاً من دموع الفرح والتأثر، وليس بكاءً حقيقياً، وكانت الدموع تنهمر على خدى، وهم يعتقدون أننى كنت مسروراً، وقد كنت مسروراً فعلاً، ولكن

الأمر لم يكن كذلك فقط. فقد كنت حزينا لفقد جيما، وقالت للى لى ذلك وهى تقبلنى وتذكرنى بذلك الفراق، ثم وقفت للى على أطراف أصابع قدميها، لقد كنت- حقًا- أطول منها، وقامت بلعق كل الدموع التى على خدى.

وقالت: "الآن سأحيا إلى الأبد".

قضوا الأسبوع الماضى كله يخططون للحصول على الكتاب، كانوا يراقبون المكان يوميًا ليحددوا اللحظة التى يقفل فيها العاملون، وكانوا يتخفون فى ملابس مختلفة كي لا يتعرف عليهم أحد، وقد جعلنى ذلك أضحك لأن جيما وللى يمكنهما التتكر بسهولة عدة مرات، ولكن كيف يتأتى ذلك لروب ذى قصة الشعر الموهيكان وسنيه الأماميتين المفقودتين، فهو لا يمكن أن يتخفى مثلها.

وهكذا لم ينجحوا فى سرقة طوال ستة أيام، لم يتمكنوا من ذلك إلا بعد أن سمع روب أحد الحراس يتحدث عن أن شخصًا مهمًا ينبغي أن يدخل إلى المكتبة بدون أن يدخل الحراس معه، وكان ذلك الحارس يشكو من أن ذلك الشخص قد تأخر، وأن موعد استراحة تناول الشاي قد حان وهو لم يحضر بعد، ثم حضر نائب المدير وذهب الحارس إلى استراحة الشاي، ثم رن الهاتف وكان يتوجب على نائب المدير أن يذهب أيضًا ليرد عليه.

أخذ روب يخطط لكى يدخل باعتباره طالبًا فى كلية الفنون حاملاً معه إحدى حقائب الفنانين ليخبي فيها الكتاب، لم يأخذه وقتها لأنه كان مهمًا لدراسة المكان، ولكنه وجد نفسه أمام الكتاب فجأة، ولم يكن هناك أحد من البائعين يراه، ولم يكن مستعدًا لأخذ الكتاب بعد...

قام بوضعه فقط تحت إبطه وخرج أمام الجميع، مر أمام العاملين فى إدارة الأفراد الواقفين بينه وبين الباب، ومر بالفتاة الجالسة عند دكة المبيعات، وكان باقى العمال يتجولون حوله، مر أمام طاقم العمال الذين يحرسون الكتب، والذين يلصقون الأسعار عليها، مر أمام الجميع حاملاً هذا الكتاب المدهش تحت إبطه أمام أعينهم جميعاً، ووصل إلى الرصيف، ورأته جيما، وسارا معاً بسرعة عند الزاوية، ثم أطلقوا سيقانهم للريح.

لأجلى، لقد فعلوا هذا من أجلى.

جاءت جيما وأخذت تقلب صفحات الكتاب معى، وكنا نفرج بعضنا بعضاً على صور جميلة ونبتسم لبعضنا طوال هذا الوقت، وكنت أفكر وفى ذهنى، ماذا سنفعل الآن؟ ماذا سنفعل الآن؟.

كان لى وروب جالسين على الطاولة، وكان روب يهز شيئاً ملفوفاً فى رقاقة معدنية.

قالت جيما: "أوه... ياه".

أعطى روب اللفة لللى، فأشعلت عوداً من الكبريت، ووضعته تحت اللقافة وفاحت هذه الرائحة النفاذة العميقة، وظهرت حلقات من الدخان الأبيض، حملت لى اللقافة بفمها وقالت "جلوب"، وامتنعت هذه الحلقات الدخانية البيضاء، ومطبت شفيتها إلى الأسفل وكنمت نفسها لفترة طويلة، ثم أخرجت الدخان بمنتهى البطء وابتسمت كأفعى.

قالت: "أنا الآن أشعر بالراحة".

سألت: "ماذا كان ذلك؟".

حركت للى إصبعها فى الهواء كما لو كانت ساحرة تتلو تعاويذ سحرية
وقالت: "هيروين... ياه".

قلت: "هل هذا؟ هل هذا هيروين حقاً؟ هل هو؟" وكنت مذعوراً جداً.
كان روب يقوم بإعداد لفافة أخرى، وكنت أفكر إنها مدمنة، إنها مدمنة، إنها
مدمنة.

أنتم تعرفون تلك القصص، فإنك تتناول شمة واحدة، وهى كافية لأن تعلقك
بهذا المخدر إلى الأبد، ثم ينتهى بك الأمر إلى الشوارع تسرق السيدات العجائز،
وتضع يدك فى جيوب الرجال المسنين لسرقة عدة جنيهاً لشراء المزيد.

أعطى روب اللفافة الأخرى لجيما، وابتسمت لى وأشعلت عوداً من
الكبريت، وقالت "جلوب"، ورأيتها تخرج الدخان من أنفها، ولكن لا بد أنها فعلت
ذلك بشكل خاطئ لأن روب وللى قفزا وصرخا فيها: "لا تخرجيه، لا تجعله
يخرج..." فقامت جيما بمطاردة الدخان تريد إرجاعه لقمها وإلى داخل صدرها مرة
أخرى.

قال روب: "ذلك دخان جميل ومهم".

كنت أفكر يا إلهى... يا إلهى...

ثم جهز واحدة لى، ولكننى هزرت رأسى رافضاً، ضحك روب وأخذها
لنفسه.

- "ها" قالتها للى فى غضب واستمرت تقول: "ها... إنها لأجل تار، ما
الذى تفعله؟".

ابتسم فقط وفتح فمه ليجعل الدخان يخرج، بدا كالشبح، وانزعجت للى بالفعل، ولكنه نفخ الدخان فى وجهها.

قال: "لا يزال الكثير من الدخان، من أين يأتى، ذلك كله يأتى".
وابتسمت للى.

قالت جيما لى: "استمر - جربه - إنه لن يؤلمك أو يضرّك، إنه يشعرك بالتحسن فقط".

قلت: "أنا لا أريد ذلك".

اندهشت للى وقالت: "ألن تدخن ذلك معنا وتدمنه؟"، ثم أكملت بإثارة، "هل أنت مدمن يا تار؟".

- "لا".

- "إن كمية قليلة من الهيروين لن تحولك إلى مدمن، يجب أن تفكر كمدمن إذا أردت أن تصبح مدمناً".

- "إنك لا تحتاجين إلى لكمة لكى تجعلك نقيين".

نظرت جيما إليّ ورجعت بظهرها فى مقعدها، ونظرت إلى وجهها كى أستطيع أن أرى أى فرق، لقد كانت... سعيدة.

- "إن كل شيء على ما يرام يا تار، وأنت لست مطالباً بأن تقوم بذلك مرة أخرى إذا لم ترد، ولكن جربه مرة واحدة فقط، جرب كل شيء مرة واحدة فقط، كل هذه الأشياء التى تسمع عنها، إن مقولة أن محاولة واحدة صغيرة تجعلك نصير مدمناً لمدى الحياة هي مجرد قصص فقط، أنت تعرف".

قالت للى: "إنها قصص لتخويف الصغار، قصص لتجعلك قابعا فى مكانك".

لف روب واحدة أخرى، وقدمها لى قائلا: "الإدمان هو الأفضل، وهذا هو السبب الذى يجعل الأطباء يحتفظون به لأنفسهم"، ثم غمز لى غمزة خفيفة.

قالت للى: "أنا أعرف ما الأفضل لى أكثر من أى طبيب".

نظرت إلى اللقافة وقلت فى نفسى أنا لا أعرف ما الذى يجب على فعله...

قالت للى: "انظر إنه بالفعل سيخسر فرصة لكى يحس ويشعر بشكل أفضل من أى شخص آخر فى هذا العالم".

قال روب: "المزيد من أجلنا".

ثم فكرت ما الذى سأخسره؟ واحتفظ روب ببعض المخدرات من أجلى، فقامت بإشعال القداحة ووضعتها أسفل اللقافة وراقبت المسحوق الأبيض وهو يتحول إلى فقائيع بنية تتحرك فى الرقاقة المعدنية. ثم ذهبت: "جلوب" و...

ربما تحتاج فى بعض الأحيان إلى تجربة أو خبرة، وهذه الخبرة يمكنها أن تكون شخصا أو مخدرا، إن التجربة تفتح بابا كان موجودا طوال الوقت ولكنك لم تراه أبدا، أو ربما تأخذك إلى الفضاء الخارجى، وطوال هذا الوقت كان كل من للى وجيما وروب يحاولون أن يشعرونى بأننى واحد منهم، ولكن كانت- المخدرات- أيضا- هى سبب كل هذه التهيؤات عن أن جيما سوف تتركنى، وعن أبى وأمى، وترك المنزل، كل هذه الأشياء السلبية، كل الألم...

لكن ذلك كله قد ابتعد عنى الآن، وابتعدت أنا عنه... وأصبحت طائرا

عاليا وبعيدا...

رجعت بظهرى ونظرت إلى الكتاب وإليهم، وابتسمت جيما لى ابتسامة عريضة ناعمة، وكانت عيناها لامعتين كالرخام المصقول.

قالت: "هل تشعر بأنك أفضل؟".

أومأت فقط، لم أكن أشعر بالدهشة أو بأى شىء آخر، ولكن كل ذلك قد ذهب، لقد ذهبت كل الآلام، وأنت وجلست بجانبى ودغدغت إبطى.

قالت: "تار"! هل تخرج معى؟".

قلت: "نعم سأفعل... نعم سأفعل".

قالت للى: "أنت الآن ستعيش هنا معنا، كلاكما سيعيش معنا، أليس كذلك؟".

ما الذى يمكننى أن أقوله؟ أحسست أننى قد بدأت فى تعلم كيف أعيش،
"نعم".

(١٤)

للى

لقد دخلت تحت جلدى.

ولكننى لا أجد أن ذلك يدعو للغضب.

إنك دائماً تلعب لتريح ولكننى لا أريد إعادة تأهيل.

أو... لا... لا.

أنا أعتقد أننى فى كوكب آخر معك... معك.

أنا أعتقد أننى فى عالم آخر معك... معك.

فتاة أخرى.

كوكب آخر.

فتاة أخرى... كوكب آخر.

الوحيدون فقط

كل شيء حر، ذلك السر.

الشيء الوحيد الذى ليس حرًا هو أنت، أنت تفعل كما يقال لك، أنت تجلس فى مقعدك حتى يقولوا لك "قف"، وتظل واقفًا فى مكانك حتى يقولوا لك... "اذهب".

ربما هذا هو الأسلوب الذى تحبه. إنه سهل. إنه جاهز دائمًا، ليس عليك أن تفكر فيه. بل ليس عليك حتى أن تشعر به.

أحيانًا أتعجب وأتساءل كيف يظل هذا الكوكب ملتصقًا بقدمي، لقد فعلوا كل شيء لكى يقيدونى به ويشدونى إلى أسفل... أمي، أبى، المدرسة، لقد وضعونى فى بيوت مع أشخاص طبيين ووضعونى فى بيوت مع أشخاص سيئين. لقد فعلوا معي أشياء لا يمكنك حتى الحديث عنها، لكننى لا زلت بخير. ولكن ماذا عنك أنت.

إنه تحكم فى عقلى... وضبط له ، أتفهمنى، ينبغى عليك الذهاب إلى المدرسة، ودخول هذه الاختبارات، والالتحاق بالجامعة أو الكلية، والحصول على عمل، والزواج، فلا تخرج من الصف ولا تدع قطار الزواج يفوتك.

قم بذلك الآن وإلا قم بإلقاء حياتك كلها فى مجارى الصرف الصحى، نعم. إنهم يسيطرون عليك منذ لحظة ميلادك. إنهم لا يضيعوا أبدًا أية ثانية من حياتك، وعندما يكون لديك أطفال سيقال لهم إنه ينبغى عليهم أن يضعوا قناعًا من البلاستيك، ويعلموهم الاهتمام لجمع المال قبل أن يتعلموا كيف يتنفسون.

أنصت: العمة للى تعرف الطريق الواجب اتباعه.

إن الهواء مجانى. ماذا، أنت تعرف هذا؟ حسن والطعام مجانى. أنت لا تعرف هذا! اسمع: إليك الطريقة التى تحصل بها على الطعام المجانى.

إنك لا تعرف ذلك! اسمع؟ إنها الطريقة المناسبة التي ستفعل بها ما هو المطلوب منك.

أولاً- يجب عليك أن تجد محل الطعام المجاني، ستخرج من باب بيتك الأمامي وتسير في الطرق، وعاجلاً أو آجلاً ستجد محل الطعام المجاني، لن تغفل عنه، قد يكون اسمه سينسبري، أو تيسكو، أو موريسون لو كان محلاً كبيراً، وقد يطلق عليه اسم سميث أو سكول أو سينج إذا كان محلاً صغيراً. إن مسألة اسم الطعام ليست أمراً مهماً. لكن سيكون الطعام أكواماً أكواماً في كل مكان؛ على الرفوف؛ في أكياس وأكوام على الأرض؛ في صناديق وحقائب وأوعية أنت تريد ذلك الطعام، حدد اسمه وسيصبح ملكك.

ادخل، يجب عليك أن تلقى نظرة حولك وتحدد أي نوع من الطعام تريد، وضع الطعام الذي تريده تحت معطفك، أو في حقيبة مشترياتك، ثم امض به إلى المنزل وتناوله.

ياه! أتوقع أنك تظن أنه كان ينبغي عليك الذهاب إلى المدرسة، وأن تدرس فيها، ثم تتعلم مهنة، وتمارس هذه المهنة، وتتسلم راتبك، وتأخذ النقود وتدفعها لأصحاب المحل قبل أن تتمكن من أخذ الطعام إلى المنزل، هه؟.

أنت تهتم للإصغاء إلى الناس أكثر من اللازم وبمجرد أن تعرف كيف تفعل ذلك: انظر حولك وسترى محلات الطعام المجاني في كل مكان، ولكن الشيء الوحيد الذي ينبغي أن يثير قلقك هو أنه عادة ما يوجد شخص ما يعتقد أن الطعام ملك له، لذا ينبغي عليك أن تتأكد من أنك خفي غير مرئي لكي لا يراك وأنت تأخذ طعامك المجاني.

هذا شيء يسير أيضًا، لأنه يمكنك أن تصبح أى شيء تريده، إنه سر، أنت شيء سحري، أنت مذهل، أنت أى شيء تريد أن تكونه، يجب أن تصدق هذا، حرر الطعام واجعله مجانيًا نعم... يجب أن تحرره.

وإذا أمسك بك أحد من هؤلاء الأشخاص الذين يظنون أن الطعام ملك لهم، فلا فائدة من الشجار أو النقاش لأنهم متمرسون جيدًا بهذا الأمر، ومن الأفضل لك أن تفر هاربًا، وربما يتم القبض عليك إذا كان حظك ليس جيدًا فى ذلك اليوم، ثم تذهب إلى قسم الشرطة ويتم تحويلك إلى المحكمة، وإذا كان لديك نقود فستحصل على الخدمة مقابل نقودك، وسيكون ذلك حسنًا، لست فى حاجة لأن يحدث ذلك كله، فأنا أعرف أناسًا لم يتم القبض عليهم أبدًا طوال سنوات، وكل هذه الأمور المرتبطة بالدخول والخروج من السجن تعتبر مجرد شكل من الأشكال التى يمكن تجنبها من خلال التحكم وال ضبط العقلي، ولكن حتى إذا تم إلقاء القبض عليك فسأخبرك بما تفعل، يمكنك القيام بالخدمة الاجتماعية فى المؤسسة لمدة أربعين أو مائة ساعة، ما البديل لذلك؟ إنه الخروج للعمل كل يوم طوال حياتك.

أنا أقصد ما معنى ذلك؟ وأى حياة هذه التى تكون مجبرًا فيها على العمل
للدائم؟

انظر خارج النافذة وسترى هذه الحشود الزاحفة من اللذاهبين إلى العمل والعائدين منه، إنهم يتعلمون كيف يذهبون إلى العمل؛ ومهما كان الأمر، فإننى أشعر بالرغبة فى الصراخ قائلة: "هاى! اسمعونى، إن الأمر ليس كذلك، إنه حقًا ليس كذلك".

لكننى لم أفعل ذلك أبدًا، لأنه بلا فائدة، لا بد أنهم متبلدون مثاقلون جدًا يزنون أكثر من ستين ألف طن، أنا مختلفة عن مثل هؤلاء الناس وبعيدة جدًا عنهم،

إنهم لا يستطيعون حتى رؤيتي، هل تريد أن تعرف المزيد عنهم، اسمع: سوف أحكي لك كل شيء.

أنت تستطيع أن تفعل أي شيء تريده.

إنك لا تصدقني، تعتقد أنني فقدت عقلي.

نعم، لقد فقدت عقلي، ولا أستطيع أن أكون أنا ذاتي الحقيقية فعلاً.

ما هذه الحالة التي أنت عليها؟ هل يجب علي أن أكون مثلهم، أنت لا تعرف، أراهن أنه لم تتح لك أي فرصة أبداً لكي تعرف.

تذكر عندما كنت صغيراً، وقد اعتادوا أن يقولوا: "فتاة شقية، أو فتى شقي"، لأنك حطمت شيئاً ما أو قلت أي شيء غلطاً، فقالوا عنك أنك: "شخص سيئ"، لأنك حطمت شيئاً ما أو قلت شيئاً خطأ، ولكن الأمر لم يكن كذلك، إنك قمت فقط بعمل شيء سيئ؛ ولم تكن أنت السيء، لكن الشيء الذي فعلته هو الذي كان سيئاً، أما أنت نفسك فقد كنت شخصاً في غاية الجمال والروعة، لقد كنت مدهشاً؛ وكل شيء فعلته كان مدهشاً لأنك أنت الذي فعلته، وكنت تملك تلك القوة التي تجعلك تستطيع أن تفعل ذلك بطريقة سيئة، وأنت مدرك أنك فعلت شيئاً سيئاً، وتستطيع أن تفعل شيئاً جيداً وأنت تعرف أنك فعلت شيئاً جيداً، ولكن ذلك لا يفرق شيئاً وسوف تظل كما أنت بالنسبة لهم.

اسمع! يمكنك أن تكون أي شيء تريده، لكن كن حذراً، إنها تمنمات سحرية، إنه سحر... استمع إلى الكلمات يمكنك أن تكون أي شيء تريده؟ يمكنك فعل أي شيء، يمكنك أن تكون أي شيء، يمكنك فعل أي شيء. استمع إلى ذلك السحر الذي بداخلك.

أنت أى شىء... وكل شخص، وأى شخص، مهما كان الشىء الذى تريده سوف أجعلك تراه، لقد ظلمت لفترة طويلة قابعاً داخل نفسك، يمكنك أكل القذارة، وستكون حلوة المذاق لأنك أنت الذى تريد أن تأكلها، يمكنك حتى أن تلمس فضلاتهم إذا كان لزاماً عليك أن تفعل ذلك، أنت تستمع إليهم: المعلمين والوالدين والسياسيين، إنهم دائماً يقولون إذا سرقت فأنت لص، وإذا نمت هنا أو هناك فأنت فاسق، وإذا تعاطيت المخدرات فأنت تاجر مخدرات، إنهم يريدون أن يدخلوا إلى رأسك ويتحكموا فيك بهذه المخاوف.

ربما تعتقد أن أباك وأمك يحبانك، ولكنك إذا فعلت أى شىء سيئاً سيحاولان أن يحولاك إلى شىء قذر، مثلما حدث معي تماماً، فقد حاولا أن يحولاني إلى شىء قذر، إنه عقابك لكونك تريد أن تكون شيئاً أصيلاً، وأن تكون أنت ذاتك، لا تلعب لعبتهم، لا يوجد شىء يستطيع أن يكبك، وستظل جميلاً كما أنت.

لقد فعلت كل شىء، كل شىء تعتقد أنني فعلته، وكل الأشياء التى لم تجرؤ أنت على قولها أبداً، كل الأشياء التى تحلم بها، كل الأشياء التى تتطلع لفعلها ثم نسيتها لأنك تعرف أنك لن تستطيع أن تفعلها أبداً.

لقد فعلتها أنا...، نعم لقد فعلتها بالأمس بينما كنت أنت لا تزال نائماً فى فراشك.

ماذا عنك أنت، متى سيأتى دورك لكى تفعل ما تشاء؟.

(١٥)

جيما

ترصد وحسب.

ترصد، ترصد، ترصد.

ترصدنا نحن فقط

نترصد صد د- نترصد

لوركي

أنا أطير، ولكن الكثير من الناس انتهوا بالموت من الداخل، لا يمكنك اكتشاف ذلك من مجرد النظر إليهم لكن ما أن يفتحوا أفواههم حتى تدرك أنهم فقدوا ما بداخلهم، لقد قتلتهم الحياة.

نظرت للخلف حيث المكان الذي أتيت منه وفكرت، يا له من ضياع ذلك الذي يصنعه الناس بحياتهم، أبي، إنه خائف جدًا من أن يحيا، وخائف جدًا من أن يموت، إنه يشتغل طوال اليوم من أجل تلك المؤسسة التي يعمل فيها، يدير هذا، ويدير ذاك، وبصرف النظر عن حقيقة أنه يوجد أفراد آخرون يقومون بالعمل، أقصد العمل الحقيقي، العمل الذي ينتج الأشياء، إنه يحرق نفسه لكي يبدو مهمًا، والحقيقة أنه لا يقوم بفعل أي شيء، وهو يكره ذلك، لكن لأجل ماذا يفعل ذلك؟ إنه

يحصل على هذه النقود وينفقها لشراء جهاز تليفزيون جديد بينما الجهاز القديم لا يزال يعمل، أو لشراء سيارة جديدة لأن سيارته قديمة، أو ينفقها على إجازة للذهاب بعيداً ليسترخى من ذلك العمل المرهق الذى كان يجب عليه القيام عليه لأنه يحتاج للنقود....

أنا لا أحتاج نقوداً، الناس الذين يرغبون فى ملكية الأشياء هم الذين يجب عليهم أن يلتحقوا بعمل.

يجب أن تأتى إلى المكان الذى نعيش فيه، ستحب المكان، الجميع يحبونه، سنأتى وسنجد بعض الناس هناك، لكننا لا نتوقع أى شىء، يمكنك الجلوس فى ركن ما ومراقبة الأشياء، أو يمكنك الكلام أو فعل أى شىء تريده، سيكون هناك موسيقى، وسيكون هناك شىء تشربه، وقد يوجد بعد ذلك طعام، كنا عادة نقوم بفتح الشبائيك، ذات الأبواب ويجلس الناس فى الحدائق، ثم تتحول الجلسة إلى حفلة بدون أى تخطيط مسبق، مثلاً يحضر "كول" بعض الجعة، وتأتى "سال" بشىء يمكن تذخينه، ثم يحضر شخص آخر المزيد من الجعة، وتصبح جميعاً سكارى إلى درجة ما، ونرى أننا نريد المزيد... فيقوم كل فرد بإخراج ما فى جيبه من نقود وأقوم بتشغيل الموسيقى.

وهكذا تصبح حفلة حقيقية.

وفى الليل نقوم بإشعال النار، يذهب الناس للبحث عن الخشب فى أوعية القمامة الكبيرة التى فى الشارع، وتظل النيران مشتعلة، يبيع مخدرات، موسيقى، أناس، وهناك "ديف" تاجر المخدرات، إنه لا يخرج كثيراً، لكنه يأتى أحياناً ليجلس بجانب النيران، ويقوم بلف سجائر المخدرات الواحدة بعد الأخرى، وهناك كول وسال، اعتادت سال أن تكون مع نيف ولكنهما لفترقا، وكانت علاقتى جيدة بسال،

وكنا متفاهمتين تمامًا، وقريبتين من بعضنا مثلما الحال مع للى تقريينا، كول شخص جيد، لكنه ممل بعض الشيء وأعتقد أنه يقوم بفعل الكثير من الأشياء.

كول... يمكن أن يكون ضحية، حسنًا، يوجد في الحياة كثير من الضحايا، فالحياة مهمة خطيرة، وأعتقد أن كول وسال سينفصلان قريينا، وهناك وندى و جاكسون، دول وبيت. لا ينقصنا أبداً وجود الكثير من الناس معنا لكن في قلب كل شيء يوجد دائماً أنا وتار، وللى وروب.

أصبح تار الآن أفضل كثيراً، لن تستطيع التعرف عليه، اعتاد دائماً أن يكون قلقاً مهموماً، لكنه أصبح يأخذ الأمور ببساطة الآن، وبممكنك ملاحظة ذلك من مجرد النظر إليه، لقد وضع جانباً تلك الأمور مع أبيه وأمه، وكان يجب عليه أن يتركهما وراء ظهره، أقصد لقد تركهما جسدياً، ولكنه لا يزال يحملهما في داخل رأسه، قالت له للى مراراً وتكراراً: "لماذا تحمل همهما؟"، إنها مشكلتهما، لقد جعلتا حياتهما مشوشة ومرتبكة، ولا ينبغي أن تجعل حياتك أنت أيضاً مشوشة ومرتبكة من أجلهما..

أنا أحبه حقاً، وعندما أفكر كيف اقتربت جداً من هجره! كان وقوع ذلك الأمر قريينا جداً، لا بد أنني كنت مجنونة، أظن أنني كنت مستتارة للغاية، شعرت أن كل شيء ينبغي أن يكون مختلفاً بعد أن التقيت بللى وروب. إنهما اللذان أبقا عانى ألا أتركه، حكيت لهما كثيراً كيف جعلنى أشعر أنني محبوسة ومحاصرة، وكيف يحملق النظر فى كما لو كنت سمكة فى حوض زجاجي، قللاً لى - لا لا، إنه شخص ظريف حقاً، إنه مميز، لماذا لا تكونى لطيفة معه، يجب أن تكونى لطيفة مع أصدقائك....".

قلت: "ولكنى لا أحبه"

ضحكت لى وقالت: "ينبغى أن تعتنى به، إنه ملكك، ألا تستطيعين رؤية ذلك؟".

نعم إنه ملكى، نحن يملك بعضنا بعضاً، وأنا له.

كنت أقوم بالاتصال بوالدى ووالدتى من حين لآخر لمجرد أن يعرفوا أننى بخير، كنت أريد أن يكون كل شىء على ما يرام بيننا، أتصل بهما و"أدرش" معهما فقط، أو أدعوهما للزيارة، ولكنى لا أجرؤ على ذلك، إنهما لا يزالان فى حالة الشعور بامتلاكهما لى، لقد دفعا للشرطة رشوة ليرجعونى إلى البيت، ذلك البيت المعدنى اللعين لأنه بيتهما.

قلت لأمى: "عندما أصبح فى السادسة عشرة سأتى لأزوركما، وسنكون أصدقاء"، قالت شيئاً ما، أنا أعرف فيما كانت تفكر، كانت أمى تحاول أن تبقى فيها مغلقاً، ولكنه كان ينزلق ببعض الكلمات من حين لآخر، إنها لا تزال لا تستطيع أن تسامحنى، وتعتقد أننى فعلت شيئاً ما لها، أقصد أننى عشت حياتى ومارست حريتى فقط، وهى ملكى، لكن أمى تعتقد أننى أحببتها وخذلتها، ولا عجب فى أننى لم أستطع - حتى - تنفس الهواء فى ذلك المنزل.

فى أول مرة اتصلت فيها بالمنزل بعد مغادرتى للساحة والعيش مع لى وروب كنت مرعوبة جداً، وظللت أتصل وأغلق الخط؛ أتصل وأغلق الخط عدة مرات، وكنت أتساءل: "ما الذى يمكننى أن أقوله لهما؟"، لقد تحولت إلى شىء آخر لا يستطيع أبى وأمى فهمه أبداً، ولكن أصدقائى استمروا يشجعوننى.

كان تار دائم الاتصال بوالدته بالرغم من أن والديه كانا أسوأ من والديّ، إنه مثال للفتى الصغير الطيب، لهذا كنت أؤمنز منه فى بعض الأحيان، وكان هو وللى وروب مستمرين فى البقاء معى.

كان روب ودودًا وحنونًا حقًا مع الأمهات، كان ذلك شيئًا جيدًا بالنسبة له، وكانت أمه عظيمة حقًا، إنها سيدة مدهشة، فقد أتت لزيارتنا مرة، وعندما رأيت كل الأشياء التى كانت معنا ضحكت فقط، وقالت: "احذروا من إلقاء القبض عليكم".

وكان ذلك هو كل شيء، هل يمكنكم تخيل ذلك؟ لقد كان من الرائع رؤية بشر مثل هذه السيدة، أقصد أنها لم تعتمد إلى النصائح أو غسيل المخ المعتاد، أنتم يمكنكم تحرير أطفالكم وأحفادكم وكل الأجيال التالية.

تناول روب أول لفافة عندما كان فى -حوالى- الثامنة من عمره، لم يدخن التبغ، وأعتقد أن هذه هي الطريقة التى تربيته بها أمه، كانت مسرورة- حقًا- من الأسلوب الذى كنا نعيش به، وأغلب الذين يدخنون الحشيش يدخنون التبغ أيضًا، ولكن روب تربي على الحشيش، لذا كان لديه إحساس قوى تجاهه؛ لأنه تناول أول لفافة حشيش فى وقت مبكر جدًا من حياته، وهو لم يقل لأمه كل شيء، وجعلنا جميعًا نقسم ألا نخبرها بأى شيء عن تناوله للهيروين، لأنها كانت ستفجر غضبًا لو عرفت بذلك، إن الكثير من الناس لا يستطيعون التعامل مع الإدمان، وينبغى عليك أن تكون شخصًا خاصًا لكى تستطيع التعامل معه.

على أية حال كان روب يلج ويلج علىّ لكى أظل على اتصال بوالدتي، وكذلك الأمر بالنسبة لللى وتار، قلت: "أنا أعرف أن الأمر سيكون رائعًا، وسيجعلوننى أكرههم، أنا أعرف ذلك تمامًا".

استمروا فى ذلك الإلحاح والإصرار إلى أن رضخت لهم وفعلت ذلك فى النهاية، وذهبوا معى جميعاً إلى كابينة التليفون لكى يشجعونى.

رد أبى قائلاً: "جيما هل هذا أنت؟".

كانوا قد جعلونى مشحونة للاستجابة له والإجابة عليه وقلت "ألن تسأل عن حالى؟".

كنت أبتسم لروب، وكان يهز رأسه، حدث ذلك منذ أسبوعين أو ثلاثة أسابيع بعد لقائى بللى وروب.

قال أبى: "هل هذا أنت؟"، مرة أخرى، لقد بدا كرجل غير واضح، رمادى الملامح وصغير.

قلت: "نعم. إنه أنا. حسناً، كيف أنت يا أبى؟".

قال: "جيما... جيما". كان منزعاً جداً وبدا...

قربت لى وجهها نحوى وهمست: "إنه خائف منك".

قلت فى نفسى: "واو"، كنت أعرف أن ذلك حقيقى، فقد بدا كطفل صغير ملتصقاً بالجدار الخارجى لغرفة مدير المدرسة، لقد تحررت لأننى عرفت أن سلطته العلوية علىّ قد تحطمت بالتأكيد، ولكننى لم أرد أن أكون حقيرة معه، وحملت فى الهاتف ولففت شفتى ثم قلت: "نعم كل شىء على ما يرام يا أبى، من اللطيف أن أتحدث إليك"، ثم سادت لحظة صمت وقلت بعدها: "كيف حال أمى؟".

- "جيما إنها قلقة عليك لدرجة المرض، كلانا كذلك، لم لم تتصلى بنا؟ يمكنك الاتصال فى أى وقت تشائين".

- " لا تلمنى يا أبى، إننى على أفضل حال"، ثم سألته: "هل أمى موجودة؟".
لم أكن أريد أن أبدأ حديثى بالأمور التى كان يريد أبى أن أبدأ الحديث فيها.
"تحن نحبك يا جيمما".

- "أبى...".

- "أنا أعرف أننا ارتكبنا بعض الأخطاء فى حقك ولكننا جميعًا نحبك، أنت
تعرفين ذلك، أليس كذلك؟".

لقد صدمنى هذا، وكنت محرجة لأبى لا أنكر أبدًا أنه قال لى إنى أحبك من
قبل، والآن ها هو يقولها لى، إنه يبدو محطماً جداً ومجروحاً، ولكن ذلك جعلنى
غاضبة أيضاً لأنه كان مثل الفخ الذى ينصبه لى، أقصد أنهما لوثاننى بالقذارة عندما
كنت أعيش معهما، وأنا الآن خارج سيطرتهم، فإذا به يقول لى: "أنا أحبك...".
كان يمكنه أن يقول ذلك فى أى وقت مضى لكى أستطيع أن أصدق.

- "انظر يا أبى، أرجو ألا تجادل، فقط وألا تحاول معى، لن أعود، أنا الآن
أقضى وقتًا ممتعًا".

- "جيمما أنت فى الرابعة عشرة من عمرك..." ثم سمعت أصواتاً فى
الهاتف، وأظن أننى سمعت صوت والدتى.

- "هل هذه أمى؟ هل يمكننى التحدث إليها؟".

استطعت سماعها من بعيد، وكانت تقول: "جرل... جرل... هل هى يا
جرل؟".

وكانت دائماً تنادى أبى بجرل، الله أعلم لماذا كانت تناديه بهذا الاسم برغم أن اسمه كان أندرو.

فقال لها: "دقيقة واحدة فقط"، ثم قال لى: "لماذا تفعلين ذلك؟ هل تقومين بمعايبتنا؟ ألا تعتقدين أنك فعلت ما فيه الكفاية؟".

ضحكت بشدة، لم يكن لديه أى فكرة، أعاقبه؟ لقد كان ذلك اعتقاده وحده أنا لم أفعل له شيئاً. ولم يكن لدى ما يدعونى لذلك.

أخبرته: "أنا- فقط- أفضى وقتاً طيباً، لم يعد هناك أى شىء يمكن فعله معكما".

قال أبى: "أعتقد أن هناك شيئاً ما تقومين به معنا يا جيما، قد حان الوقت لإيقاف كل ذلك، هل تدركين مدى الألم الذى تسببت فيه لأمك؟".

بدأت أشعر بالحزن، أولاً لأنه كان يحبنى، ثم إن ما فعلته معه وما أفعله الآن قد أصبحت أفعله الآن مع أمى أيضاً، فوضعت رأسى على الميكروفون وقلت: "لا أعتقد أنه يمكننى تحمل ذلك".

كان روب يقول: "احتفظى بهدوئك... احتفظى بهدوئك".

قالت لى: "إنك تتصرفين ببراعة يا جيما، أنت تتصرفين بطريقة جميلة، واستطعت أن أسمع والدتى تقول فى الهاتف: "ما الذى تقوله يا جرل؟ ما الذى تقوله؟".

فقلت: "دعنى أتحدث إليها فقط".

قال: "ما الذى يحدث؟ هل معك أحد؟".

- "لا تهتم لذلك، هل يمكنني أن أتحدث إلى أمي الآن؟".

- "إنها قلقة لدرجة المرض، تتصل بالشرطة، تتصل بالصحف، وليس هناك كلمة واحدة منك يا جيما، ليس هناك أى كلمة منك منذ أربعة أسابيع...".

استمر أبى فى الحديث، وكنت أسمع أمى خلفه وهي تحاول أن تصل إلى الهاتف، ولكنه لم يكن يسمح بذلك.

- "لقد فعلت كل شيء من أجلك، ربما كان عليك التفكير فيها..." وبالفعل كنت قد بدأت أجن لأنه لم يمكنني من التحدث إلى أمى، واستمر فى ذلك لأنها كانت فى الحجرة، كان يسعده دائما القيام بأداء أدوارها.

قام روب بخطف الهاتف.

قال روب: "مرحبا بالسيد بروجان؟".

صرخ أبى: "من هذا؟ من هذا؟".

رد روب: "أنا صديق لجيما يا سيد بروجان، أنا أريد- فقط- أن أخبرك أن لديك ابنة جميلة، وينبغي أن تكون فخورا بها يا سيد بروجان".

قال أبى: "أوه. إذن هى مغرمة بشخص، أليس كذلك؟، أظن أنك تعرف أنها دون السن القانونى، من تكون أنت؟...".

جذبت الهاتف من يد روب، وكنت غاضبة جدا، فقد كنت محرجة من أجله.

استمر أبى قائلا: "جيما، جيما؟ أريد أن أتحدث إلى ابنتى الآن من فضلك".

ثم قامت للى بجذب الهاتف: "أنا أيضا أعتقد أنها جميلة، وإذا أردت أن تعرف أنا أيضا تحت السن القانونى، ولا تبدأ فى القول لصديقى إنه يلعب بذيله ويخوننى مع أفضل صديقاتى، اتفقنا يا سيدى؟".

ثم بدأ الأمر يتحول إلى مشاجرة صغيرة، وراح كل واحد منهم يصرخ ويحاول خطف الهاتف ليخبر أبى بما يريد، ووقف تار لكى يستمع إلى ما يقال، وهو يصيح: "ورى... دورى"، كان صوته مرتفعًا جدًا، وأمسك بالهاتف ثم قربه من أنفه وظل واقفًا، وقد استطعت أن أسمع صوت أبى يذهب بعيدًا، وصوت نقات صغيرة ضئيلة وهمهمات، ولكن تار كان واقفًا يستمع فقط، وأعتقد أنه كان يريد أن يسمع فقط، ولم يكن لديه أى شىء يقوله، ووقفنا صامتين نراقبه، ثم تبدلت للقرعة للخافعة، واستطعت للتعرف على صوت أمى.

قال تار: "مرحبًا بالسيدة بورجان".

قالت أمى: "مرحبًا دافيد؟ هل ابنتى هناك؟ أريد أن أتحدث إليها من فضلك"، ققام تار بإعطائى الهاتف، وهو ينظر إلى نظرة صغيرة لطيفة، وتجمعوا كلهم حولى ورعوسهم قريبة من الساعة لكى يستمعوا إلى ما سيقال.

قالت أمى: "جيما... جيما. هل هذه أنت؟ هل أنت حقًا؟"، وكنت مسرورة جدًا لسماع صوتها ونسيت كل ما فعلته معى.

قلت لها: "ماما! مرحبًا ماما! ماما! أنا أحبك"، وكان روب يهز رأسه وللى تهتف: "هيه... هيه".

سألت أمى: "هل أنت على ما يرام؟ هل تأكلين بشكل كاف؟ هل تحتاجين لآى شىء؟".

- نعم يا أمى، أنا بخير. وعلى ما يرام وكله تمام، كيف أنت؟".

- "جيما. عودى للبيت من فضلك، عودى إلى البيت... من فضلك...". ثم أخذت فى البكاء.

أردت أن أحتضنها وأعانقها وأتعلق بصدرها، كان يجب على أن أغلق الخط، لقد استطعت الاتصال بها، وقد أغضبنى أبى، ولكن أمى هى فقط التى جعلتني أحبها.

أخذت أغغم: "لا أستطيع العودة، ليس الآن يا أمى، وسأتى عندما أستطيع"، وكنت على وشك البكاء.

قالت: "أواه يا جيما... أواه يا جيما..."، ولم تستطع حتى الكلام، كانت تبكى كثيرا.

تمنيت ألا تبكى. واستطعت أن أسمع أبى يحاول استعادة الهاتف ولكنها جذبته منه، كان يتراجع إلى الخلف رافعا صوته، وقد أفرغنى ذلك.

قلت: "ما الذى يحدث الآن؟".

قالت أمى: "لا تغضبى من والدك يا جيما، إنه فى حالة مرعبة، إنه لا ينام ولقد أعطاه الطبيب أقرصنا مهدنة".

أحسست بالتقرز حينئذ، ولكن تار جاء ووضع يده على السماعه لذا لم نستطع أمى أن تسمعه يقول وقال: "مدمن لعين".

كان ذلك مضحكا جدا، ومقرزا أيضا، ساد الصمت للحظة، ثم بدأ كل واحد فى الضحك فى صمت، صفقت لى وخطبت بيدها على فمها، وانزلت على

الأرض، وأخفت وجهها بيديها، أخذت أعض على شفتي كي أتوقف عن الضحك،
وجزرت على أسناني وقلت: "ما نوع هذه الأقراص؟".

- "أقراص منومة، أنت تعلمين أنها حقًا أقراص قوية".

أمسك روب وتار بعضهما ببعض.

قالت أمي: "إنه في أسوأ حالاته".

كنت أضحك وأضحك وأكرع، وكان يجب على أن أفعل ذلك كله بدون
انزعاج، كان ذلك مضحكًا جدًا، كل هذه الأشياء عنه، الانزعاج بشأنى، وهكذا كان
يقضى الوقت فى ابتلاع الأقراص وتذخين السجائر، وقامت للى من على الأرض
وهمست: "اسألها هل سيرسل لنا بعض هذه الأقراص، سنعطيه سعرًا جيدًا...".

كنت أحاول جاهدة لكى أمنع نفسى من الضحك، وكانت أمى تقول: "لا بد
أنها مسطولة أو شيء من هذا القبيل...".

وبالطبع جعلنى ذلك أقهقه مرة أخرى، لم أستطع التوقف عن ذلك، لقد
أصبنا جميعًا بحالة ضحك هستيرية، ثم بدأت أمى فى البكاء مرة أخرى، فأحسست
بالقرف لذا قلت: "انظرى يا أمى توجد بعض المضايقات الآن، ولا يمكن
الاستمرار هنا وسأصل بك فيما بعد..." وأغلقت الهاتف، وأخذنا جميعًا نزار من
الضحك بطريقة هستيرية، وشعرت بنوع من الصدا بداخلى وبالقرف أيضًا، ولكنه
كان قرفًا مضحكًا فى نفس الوقت... لم يستطع أى منا مقاومة الضحك، كان روب
يحملق فى تار ويقول: "أنت ملعونة"، وهو لا يزال يضحك ويقول: "أسف...
أسف"، لكننا لم نستطع التوقف عن الضحك.

عاودت الاتصال بأبى فيما بعد بنفسى، وكان كل شىء على ما يرام، ورات أبى أنه قد حدث بيننا نوع من التفاهم الوجدانى كما أظن، وجعلته يبدو كذلك كما قالت، ولكننى ظللت أفكر فى ذلك طوال الوقت، وظللت أنفجر ضحكاً بقية اليوم.

وعندما تقبلت فكرة أننى لن أعود للمنزل مرة أخرى أبداً أصبح الحوار بيننا واضحاً، لكنها ظلت تقاطع، وتأخذ فى البكاء أحياناً من فرط ما كانت تشعر به من حسرة وألم؛ لأننى كنت أتصل بها المرة تلو الأخرى، فقد كرهت ذلك لأنه لم يكن له أى فائدة أو أثر حسن.

كان أبى على ما يرام أيضاً، وكنت أحاول أن تكون المحادثة عادية، ولكن ذلك لم يتعد: "كيف حالك أنت؟ كيف الطقس عندكم؟"، وأشياء من هذا القبيل، وكان أبى يخبرنى أحياناً بأنه يحببى، ولكنه لم يستطع أن يظهر كل ذلك فى المحادثة التليفونية، وبدأت أعتقد أن الأمور كلها قد أخذت فى التحسن بينى وبين أبى بصفة عامة.

كان فونى وريتشارد يأتیان من حين لآخر، لكنى لست على يقين من أنهما كانا يفعلان ذلك لأنهما يحباننا أم لكى يَتمكنا من العناية بنا ورعايتنا، كان ذلك لطيفاً منهما، أنا أحبهما، حتى فونى، وهى الآن لا تستطيع أن تكون مثل العمّة الحكيمة المجربة، وأصبحت ترى كل شىء على ما يرام، يجب أن تأخذوا فى اعتباركم أنهما لم يكونا على علم كامل حتى بنصف الحقيقة، لم أخبرها بكل شىء، مثل الهيروين مثلاً، لم أخبرهما عن ذلك لأنهما لن يفهما؟ فهما لديهما مخدراتهما مثل الحشيش والمواد سريعة التأثير والجمعة، ولكنى لا أعرف إذا كان يوجد لديهما مخدرات كالهيروين أم لا، وقد أطلب منهما يوماً ما أن ينظرا إلى وجهيهما لرؤية آثار المخدرات.

نعم يوجد الكثير من المخدرات هنا، فالمخدرات مجرد جزء من الحياة، سعادة، تجارة، إنها تطير بك إلى أعلى ثم تلقى بك إلى أسفل، وتجعلك تشعر بأنك في أحسن حال، إنها تأخذك إلى كوكب آخر أحياناً، وينبغي عليك أحياناً أن تجد طريقك للعودة إلى الأرض مرة أخرى.

أنا أعرف فيم تفكرون، أنتم تفكرون وتقولون عنى أولاً إنها مدمنة أو تاجرة مخدرات، فهي بعيدة عن منزلها منذ ستة أشهر، وهى الآن مدمنة أو تاجرة مخدرات بالفعل.

أنت أيها الطفل الممل لقد غسلوا مخك، انظر إن المخدرات ظريفة، إنها تجعلك تشعر بأنك في أحسن حال، هذا كله، حقاً إنها قوية وذلك هو سر خطورتها.

كذلك هى الحياة، لو كنت مضبوطاً وتحت السيطرة فإنك - عندئذ - تكون بخير، لكنهم لن يجرعوا أن يقولوا لك ذلك بالطبع، ليس لكى يبعدوك عن المخدرات أولاً، لا، إنهم يحبونها ويريدونك أن تحبها أنت أيضاً، إنهم يريدون فقط أن يتأكدوا أنك ستأخذ الأنواع التى يريدونك أن تأخذها فقط، إن ذلك كله جزء من مخططهم للتحكم الكبير فى عقولنا وتوجيهها لكى نتصرف حسب رغبتهم، التبغ، الخمر، العقاقير والحشيش والأحماض والمخدرات السيئة.

فكر فى ذلك الأمر، ما دور الزجاجات الصغيرة فى دولاى الأدوية الخاص بوالدتك؟ كم مرة تتناولها فى اليوم، كم مرة تظن أن هذه العقاقير أسوأ لا عيار عليه، فهي تيرول - مرة كل ثلاثة أشهر - عندما تنتهى الروشتة إلى الطبيب لتحصل على المزيد، إنهم يسمونه العلاج.

شكراً، أنا أستطيع أن أعالج نفسي، لست فى حاجة إلى المزيد من الخبراء
أو المتخصصين ليقولوا لى ما العلاج المناسب لى.

ماذا عن ابن العم جون، إنه يعيش حياته مدخناً عشرين سيجارة فى اليوم،
يملاً الهواء بسمومه، وينفث هذا الدخان فى وجه ابنه ويراقبه وهو يحاول الإمساك
بالدخان ويضحك ملء شديقه لذلك، ماذا عن والدك، هل يذهب إلى الحانة كل ليلة
ليتناول ثلاثة أقداح أو أربعة أو خمسة من الخمر؟، يمكنك أن تعرف عنه الكثير لو
صورنا صورته بالأشعة، ورأينا ما الذى آل إليه حاله من الداخل، وكيف أصبح
شكل صدره وأمعانه بعد كل تلك السنين، ثلاثون عاماً أو أكثر وهو على هذه
الحال، إنك لا تعرف ما الذى حدث له، بعد أن تذهب إلى فراشك بسلام فسوف
تسمع قرقرة وصوت مشروب من زجاجة فى كوب بعد انطفاء الأضواء، ألق نظرة
على محلات الشراب وسوف ترى.

سيقبضون عليك ذات يوم ومعك لفافة حشيش فى يدك ويقولون- يا إلهى-
إنها مسطولة من المخدرات... ثم تأتى الشرطة ومسئول الخدمة الاجتماعية،
ويخبروا المدرسة، ويفحص المعلمون عينيك فى الصباح، ويحولونك إلى مركز
الرعاية، وقبل أن تدركى أى شىء سوف تصلى إلى حالة من الهوس والجنون،
وبذا تكون كل أحلامهم السوداء قد تحققت بالفعل، إن كل ذلك هو نوع من التحكم
العقلى، شركات التبغ، شركات العقاقير، شركات الخمور، لقد جعلوا ذلك متاحاً
وفى متناول الأيدي، ولا يوجد أى خطأ فى تناول أى مادة موجودة ومتاحة ويتم
تداولها والإعلان عنها والدعاية لها، إن التبغ يجعلك تشعر متعشاً وهائفاً وجميلاً
كما لو كنت فى خيمة أكسجين وسداك عبوراً، اذهب إلى الطبيب، وتناول هذه
الأدوية، سنجعلك تشعر التحسن فى هذه الأثناء، سوف يقومون بإغراق أسواق

دول العالم الثالث بكل المواد التى ليس لها أى نفع، وسوف تستيقظ ذات صباح لتجد طفلك بلا أذرع وبعين واحدة فى منتصف عنقه.

لا...شكراً...

نعم، أنا أحب أن أأخذ القليل من الحشيش، وأحب أن أستشق قليلاً من البودرة لأنها تجعلنى أشعر بأننى فى أحسن حال، وأحب أن أعترف بأن الهيروين هو الأفضل، أقصد أنه الأفضل أما المواد الأخرى... حسناً... المشروبات الحمضية تجعل أفكارك تتعش وتُشعر بأنك تعيش حالة خاصة بها، والحشيش يوقظ أحاسيسك، ولكن مع الهيروين أألا لا لا... يمكنك فقط- أن تجلس فى أى مكان طوال اليوم حتى لو كان بالوعة وستشعر أنك س سعيد جداً.

سوف تشعر أنك تطارد التنين... نعم، إنه مثل السحر الصينى، وسيصبح هذا الدخان تنينك الصينى، وعندما تستشق هذا التنين فى داخلك وينتشر فى عروقك، وكما قالت لى، ستشعر بأنك أفضل من أى شخص آخر، ستشعر بأنك أفضل من تشرشل بعد انتصاره فى الحرب، وأفضل من رجل الكهف عندما اكتشف النار، ستشعر بإحساس روميو عندما ذهب أخيراً إلى الفراش مع جوليت.

ذلك هو سر خطورته، يجب أن تكون قوياً لتشعر بهذه السعادة، لأنه سينبغى عليك أن تفتح الباب مرة أخرى وتقفز إلى الخارج و... تذهب إلى العمل، أو أن تتصل بوالدتك، أو أياً كان ذلك الشيء الذى ينبغى عليك فعله فإنك لن تجرؤ غالباً على ذلك، لأنه إحساس يساوى مائة مليون دولار من الشعور بالسعادة، إنك لن تجرؤ على تناوله لكى تستطيع الهروب فقط، لأنك عندما تعود إليه مرة أخرى، فقد لا تحبه كثيراً، نعم... لأنه لكى تتعاطى الهيروين ينبغى أن يكون لك حياة حقيقية ملكك.

لا إنه خطر حقًا، حتى

أنا أعرف ذلك، لقد اعتاد روب وللى تناول شيء ما، وكان ذلك قبل أن يذهبا إلى بريستول عندما كانا لا يزالان يقطنان مانشستر، لقد مارسا القليل من الضياع هناك، لا سيما روب، الذى مر بوقت عصيب ولكنه نجح فى طرد ذلك من رأسه، وكان يعالج لمدة شهر، عندما انتقلنا إلى هنا لنعيش معًا.

أما للى... حسنًا فقد كانت شيئًا آخر مختلفًا، وكان روب يقول إنها اعتادت تناول كميات كبيرة فى مانشستر، لكن عندما رأت مدى ما كانا يعيشان فيه من ضياع ومعاناة حزما أمتعتهما وذهبا إلى بريستول وتخلصت تمامًا من كل ذلك، ولم يكن هناك مشكلة على الإطلاق، ثم أصبح دمها نظيفًا وخاليًا من المخدرات، لكنها عادت كما كانت من قبل، عادت مرة أخرى لتناول جرعات وجرعات من المخدرات، إنها تخيفنى لأنها تتعاطى الكثير، وهى تقول إنها تفعل ذلك لأنها أقوى بكثير من أى شخص آخر... حسنًا... إنها كذلك فعلاً.

أما روب فإنه لم يدمن الهيروين أبدًا، إنها الحقن، وكان يتعاطى شيئًا ما يحقنه فى ذراعيه، واعتاد أن يحقن نفسه حتى بالجن والفودكا، بل كان يحقن نفسه بالماء أحيانًا إذا لم يجد أى شيء آخر، كان يفعل ذلك قبل أن نجتمع ونعيش سوياً، ولكن الأمور أصبحت مختلفة الآن، كان الهيروين قوياً بالتأكيد، ولكننا كنا أقوى، وينبغى أن تكون قادراً على التوقف، وأن تبدأ ذلك عندما تريد أنت، مثلما نفعل عندما نأخذ قليلاً من البنج، أو عندما نرقد فى الفراش لعدة أيام أو أسبوع، كنا استسلمنا لمدة أسبوع أو أقل ذات مرة، أنا وللى وروب وتار، لكننا قلنا الشيء الصواب، لا مزيد من ذلك لأسابيع قليلة، وفعلنا ما قلنا، ويمكننى فعلها غذا أيضاً.

مرة أخرى حفرنا الحديقة وزرع ناربس الهندباء، وقام فعلاً بزرع شجرة ضخمة على جدار حائط غرفة نومنا، وقد بدأ هذا العمل بمجرد انتقالنا إلى هنا لأول مرة، وعندما يكتمل نموها فإنها سوف تغطي الحائط كله، يجب أن نروها ونروا منظرها، الخلفية السوداء في المؤخرة، وهذه الأسهم المدهشة من اللونين الأصفر والبرتقالي.

وهو يقول لي: "إنها مثلك أنت، ذات أوراق ملونة"، ولم يزل يقول لي هذا الكلام أحياناً، ويصفني بأنني شجرة هندباء، وهو يقول لي هذا الكلام عندما نتبادل العواطف في الليل، فيهمس قائلاً: "إنني لا أريد أن أصفك بأنك مثل القراشة المنقطعة أو الليدي بيرد مرة أخرى بل أنك مثل شجرة هندباء، هندباء، هندباء، أنا أحبك".

لقد توقفت عن قول هذا الكلام لبعض الوقت، ولكن عندما تناول المخدرات في ذلك الأسبوع كف نهائياً عن قول هذا الكلام، وأحضر روب بدراجته البخارية، وكانت لقاء على الأرض منذ أن انتقلنا لهذا المكان بدون أن يلمسها، ثم ركبها، وركب لها عجلات وركبها، ووضع الموتور في مكانه، وسوف يقوم بركنها قريباً مرة أخرى، ثم يهملها نهائياً بعد ذلك كما أتوقع.

لم يكن من الصعب أن ينتهي كل شيء، ويمكنني أن أفعل ذلك وأتوقف عن تناول الهيروين مرة أخرى في أي وقت أشاء، وعندما أريد ذلك، وسوف يصبح كل شيء على ما يرام.

(١٦)

تار

إنه يوم شتوى جميل.

هنا فى برىستول لا تحس بالصقيع الشديد، لقد شق البحر قناة برىستول، وجعلنا جميعًا غارقين فى الضباب والبرودة، ولكن اليومين الماضيين كانا ياردين حقًا، وبالأمس كانت توجد بلورات صغيرة من الثلج على كل الحوائط وأوراق الأشجار والأغصان، يوجد فى هذه المدينة الكثير من الأشجار، واليوم كان هناك صقيع مرة أخرى، وأصبحت بلورات الأمس الثلجية أكثر ضخامة، كما لو كانت أرض الجنيات الأسطورية، زهور الثلج فى كل مكان يقع عليه البصر، وعندما أدركت ذلك خرجت وظللت واقفاً أشاهد ذلك المنظر لعدة ساعات.

ذهبنا أنا وروب وسال لنترحل على الجليد فى طريق ريتشموند، كان للطريق زلقًا بالفعل، وقد واجهتنا عدة مشكلات أثناء سيرنا عليه، وعندما وصلنا إلى القمة استطعنا أن نجلس على لوح كرتونى ونترحل لمدة أميال هابطين إلى الميدان أسفل التل، ومكثنا هناك مدة طويلة، وأخرجنا جيما وكول للترحل حتى لى خرجت فى النهاية، لقد نسينا كل شيء ثم جاء هذا الشخص الكبير الأسود، ومر بنا، وبدأ فى نقت نظرنا إلى أن هذ الممر خطر علينا، وقعدت لى أعصابها كالمعتاد.

صرخت لى قائلـة "يا ابن السفلة، مت بغيطك"، إن لى تعرف حقًا كيف تصبح فتاة سليطة اللسان بنجاح منقطع النظير.

لم تخرج لى كثيرًا بعد ذلك، قالت: "إن الناس هنا مستقيمون أكثر من اللازم" كانت قد اعتادت القيام بالتسوق معنا فى الصيف، ولكننا لم نعد نفعل ذلك كثيرًا الآن.

قمنا أنا وروب ببعض الأعمال التجارية البسيطة هذه الأيام، ليس من أجل المال، لم يكن لدينا أبدًا الكثير من المال، ولكنه كان كافيًا لكى نشتري بعض التبغ والحشيش والقليل من المخدرات من وقت لآخر، وكان يمكننا سرقة أغلب الأشياء، ولكن ليس من الشطارة أن تسرق المخدرات، ذلك لأنها بخلاف أى شىء آخر ملك لأصدقائك.

والتجارة شىء حسن لأنها عمل، أنت تتجول وتزور أصدقاءك، وتشتري القليل وتبيع القليل وتأخذ القليل، ويكون لدينا عادة النقود الكافية لشراء الطعام والمخدرات، لذا لم نكن مجبرين - كثيرًا - على أن نقوم بعمليات سرقة المشتريات، وهذا شىء لطيف لأنه على الرغم من أن السرقة مسألة ظريفة فإنها يمكن أن تضيعنا إذا اضطررنا لأن نفعل ذلك كل يوم.

كان روب فى السادسة عشرة من عمره ويمكنه التوقيع على عقود العمل وما إلى ذلك، وكانت لى ستبلغ السادسة عشرة خلال أشهر قليلة، ولكننا كنا فى هذه الأثناء نحصل على ما نريد بأنفسنا.

حقًا لقد انخرطت - قليلًا - فى عمليات سرقة المحال، وجعلت جيما تحوك لى جيوبنا ضخمة فى معطفى لكى أستطيع إخفاء ما أسرقه فيها، وقد اعتدت الذهاب

إلى السوبر ماركت، أدخل إليه ثم أخرج منه وأنا منتفخ بما سرقت من بضائع، كنت أفعل ذلك- حتى مع روب، وكانت هذه المحاولات خطيرة جدًا لأن روب كان من طبقة اجتماعية أخرى.

كان روب منغمسًا في ذلك منذ أن كان طفلًا، وكان معتادًا ذلك ومدربًا عليه، فقد نشأ في مقطورات القطارات والسيارات واللوريات، وقد اعتاد أن يدخل إلى كابينة أى شخص في المساء منذ أن كان صغيرًا، ثم يبدأ بالزحف فيها، ويختفي خلف المقاعد والطاولات، وكان يحطم الأطباق عندما لا يراه أحد، هل تستطيع تخيل ذلك؟.

كان روب يقول: "تدريب وممارسة في مجال سرقة المتاجر"، ولم يتم القبض عليه أبدًا طوال حياته.

حقًا كان الصيف جميلًا، لكن الآن جاء الشتاء، إنه بارد، وأنا أرى أنكم لا تتوقعون أنه سيكون شتاءً جيدًا، أنا أتذكر تلك الليالي التي كنا نقضيها في الحديقة بجانب النيران، لقد كانت- حقًا- هي الصيف بالنسبة لى، نار كبيرة كنا نجعلها مستمرة في الاشتعال طوال الليل، وعندما تأخذ في الانطفاء كان يأتى أحد الأشخاص ويغذيها ببعض الأخشاب، وكانت هناك تلك الأرجوحة، هل سمعتم عنها، أنا وروب على الشجرة الكبيرة التي في نهاية الحديقة، كانت شجرة ضخمة قوية الجذور، تحطم الحوائط في الجانب الآخر وتحطم الصخور أيضًا...على أية حال، لقد تسلقناها وقطعنا بعض الأغصان لعمل هذه الأرجوحة، وكان ينبغي علينا أن نخوض حربًا مع للى من أجل ذلك؟ لقد أصابها الجنون، وقالت نحن نقتل هذه الشجرة، واستمرت في قول ذلك، ولكن عندما انتهينا من إقامة الأرجوحة، وكانت مصنوعة من حبل طويل قوى يبلغ حوالى خمس ياردات طولاً مربوطاً بعارضة

من الخشب فى نهايته، وكان ينبغى عليك الذهاب إلى الجانب الآخر من الحديقة لجذب الحبل نحوك إلى أعلى... ثم تتركها لتتأرجح.

كانت أرجوحة مدهشة، ليس فى طولها فقط، ولكن لأنها كانت تذهب بك بعيدًا خلف الحديقة وعبر الطريق، كان الناس يسمعون صوتها فى الهواء، وهم سائرون، أو وهم يقودون سياراتهم أو يجلسون فوق دراجاتهم، وهى تحلق فوق رؤوسهم، وكأنها نسر عملاق أو شىء يهبط عليهم من السماء، أو يطير فوق رؤوسهم، لقد اعتدنا التأرجح ونحن عرايا بدون أى ملابس، وكان الناس يكانون أن يتصادموا بسياراتهم، كنا مثل الغاز أو الدخان الذى لا يمكن الإمساك به، ولا يمكنك تخيل أنك تقود سيارة لفترة طويلة، ثم تظهر أمامك فجأة الفتاة العارية، وهى طائرة فى الهواء.

كنا جميعًا نحب بغضنا، ومغرمين بحب أنفسنا، لا نزال أنا وجميما كذلك بالطبع، وعندما أعادتني إليها كنت سعيدًا جدًا، كنت سعيدًا جدًا فعلاً، لقد أحسست- بحق- أنني وصلت إلى مرساى، وأننى أصبحت أنتمى لشيء ما، كنت عصيبًا فى البداية، وكنا أنا وهى نتعالى على بعضنا، لأنها كانت تريد المزيد من الحرية فى الأيام القليلة التالية، ولكن الأمر لم يكن كذلك أبدًا.

كانت تفقدنى حقًا، وهى لم تترك ذلك إلا بعد أن ذهبت بعيدًا عنها، لقد أراحتنى بشدة، وعندما عدت إليها كانت مغرمة بى بمقدار حبى لها، كان ذلك معجزة، وفى الصيف كنا تجلس بعضنا إلى جوار بعض ساعات وساعات أمام النار ولدينا متعاقبة معًا، وكنت ممتًا جدًا وسعيدًا لأن بعدى عنها جعلها تحببى بذلك القدر المدهش.

لا زلت أحبها، ولكنه حب مختلف الآن، أنا لم أعد أحتاجها، وإذا أبعدتني عنها فساكون منزعًا حقًا، ولكنني أعرف جيدًا أنني سوف أستمّر في حياتي، وإذا عدت بعد ذلك فسوف أحس بأن ذلك هو نهاية العالم.

ربما كان ذلك هو الاختلاف الذي حدث لي هذه الأيام، إنني قد تعودت على الإحساس بهذا الشعور بأن الحياة تتدفق أمامي ويجب عليّ أن أجذبها إليّ وإلا فقدت كل شيء، ولكن عندما انتقلت للعيش هنا أخذت أتذكر أنني قد أصبحت قادرًا على السيطرة على نفسي الآن، وأحسست لأول مرة بأنني أملك حياتي في يدي، وكنت في الماضي أكافح مستميتًا لكي أجعلها تظل معي، ولكني الآن تركتها تذهب، ولم أكن أنا الذي سقط، ولكنه باقى العالم هو الذى ابتعد إلى أعلى أو إلى أسفل، لا أعرف، لقد ابتعد فقط.

كانت المشكلة مع تجارة المخدرات أنه كان هناك دائمًا مخدرات، لذا فأنت تتحنى دائمًا لكي تلتقطها... ولكنني سعيد لأننا لسنا مضطرين للقيام بالسرقة، فقد كان لدينا عدة أماكن قريبة وزبائن بالفعل، وكان هناك إحدى المرات التي اضطررنا للهروب فيها، لذا صمم روب وكول على الحصول على تصريح عمل، وذهبت بمفردي بدون أن أعرف لماذا، لقد فعلوا ذلك من قبل عدة مرات، ولكن هذا النوع من الأشياء كان جديدًا عليّ ولم أكن على علم به من قبل.

وصلنا إلى المكان الذي كنا نقصده، وأوقف روب دراجته، واندفع إلى الداخل من خلال النافذة مباشرة، ثم صدر صوت الإنذار وكان مرعبًا، وظننت أن العالم كله سيكون فوق رؤوسنا، فهبطنا جميعًا إلى أسفل وكنت بطيئًا نوعًا ما.

كنت قد انشغلت جدًا بمراقبة الشارع من أوله إلى آخره، ولكن رفيقي الآخرين هبطا إلى أسفل وأمسكا بصفارات الإنذار بأسرع ما يمكن، وكان ذلك تصرفاً حسناً، لكنني كنت بطيئاً نوعاً ما، لأنني رأيت شرطياً قادماً نحوي، وكان يقطع الطريق ذهاباً وإياباً بجانب ناصية الطريق، صرخت قائلاً: "خنازير"، فحمل كل واحد منهما ما استطاع حمله وقفز إلى الشارع وهو يقذف علب البيرة ويحطم زجاجات النبيذ.

واصلنا سيرنا إلى السكة الحديد قاطعين الطريق، وكان رجل الشرطة ينتظر عند آخر الكوبري، وسمعنا الشرطة آتية من على طول الطريق، حتى وصلت إلى منتصفه واستمرت الشرطة في مطاردتنا، وقامت بقطع جانبي الطريق علينا، وكان لديهم رجال منتشرون على طول الشارع، أقصد كأنهم كانوا في حملة لمطاردة ما يساوي خمسة جنيهاً من المتنوعات لكنها تكلفت آلاف الجنيهاً، ولو كانوا قد أعطوني نصف هذا المبلغ، كنت سأكتفي به ولا أقوم بأى عمليات سرقة لمدة ستة شهور تالية، كان لديهم ميكرفون أيضاً، وأخذوا يقولون من خلاله: "نحن نعرف أنكم بالداخل... اخرجوا يا شباب وسنرى ما يمكننا عمله من أجلكم".

نعم، بالتأكيد.

ظللنا مختبئين خلف الشجيرات ونحن نضحك، كنت قلقاً قليلاً بالفعل، أخذت أفكر في نقطة ما، حيث إنني كنت أعتقد أنه كان من الأفضل لنا أن نسلم أنفسنا، وأنت تعرف كيف كانوا يستمرون قائلين: "أنه من الأفضل أن تستسلموا، أو سوف يرأف القاضى بحالكم وينظر إليكم بطريقة أفضل إذا استسلمتم الآن، وإلا سوف نطلق عليكم الكلاب".

ولكن كول وروب كانا يعرفان ماذا سيحدث أفضل منى، لقد كانا يعملان فى ذلك المجال طوال حياتهما، لذا ظللنا ساكنين فقط، وبعد قليل شعر الخنازير (رجال الشرطة) بالملل فذهبوا، وبعدها ذهبنا نحن أيضاً.

كنت خائفاً جداً- بالفعل، ولكن كان من المضحك إعادة النظر فى الأمر كله، لم نعد نقوم بفعل هذا النوع من الأشياء الآن، لأنه أمر خطير جداً، إذا أتوا إلى منازلنا سيكون ذلك خطيراً حقاً، وبصرف النظر عن حقيقة أننى كنت أقوم بتجارة المخدرات على نطاق ضيق، فإنهم كانوا سيضايقون للى أيضاً لأنها تعيش حالة من الضياع التام، على الرغم من أنه لم يوجه لها أى كلام أو حديث عن ذلك.

أنا لا أعرف ماذا كانت تفعل، لكن ربما كانت تعرف ما الذى تفعله، أحياناً أكون مؤمناً جداً بالاعتقاد بأن لديها قوى خاصة، وهى تعتقد ذلك أيضاً، هل تعرف ذلك الكتاب الذى أحضروه لى، إننا لا نزال نحفظ به، أنا أحتفظ به فى درج، يوجد به صندوق مغلق جيداً وجدناه فى برميل القمامة، وهو صندوق خشبى قديم به خيوط حريرية وبداخله هذه القطعة من الحرير، إيشارب أو شىء من هذا القبيل، وكان قديماً حقاً، وجدناه فى البرميل أيضاً، إنه مذهل، ربما كان عمره سبعين سنة أو مائة أو أكثر، وقد ارتدت إحداهن هذا الإشارب عندما كانت صغيرة وجميلة فى التاسعة عشرة أو العشرين من عمرها، ثم أصبحت عجوزاً، واحتفظت به بعيداً لأنه ملئ بالذكريات، ثم ماتت وألقى به الذين أتوا من بعدها إلى الشارع، ولكننا وجدناه، لذا لم يذهب هباء، وكان الكتاب ملفوفاً داخل الإشارب الحرير، وقد أسمته للى "إنجيل السماء" بسبب هذه الملحوظة التى قَلَّتْها عندما رأيته لأول مرة، لقد ظل روب يرددّها، "أشعر أننى قد امتلكت السماء".

قامت للى بإشعال بعض أعواد البخور والشموع، وملأت الغرفة بالرائحة وبضوء الشموع، ثم أخذت الكتاب وأخرجته ببطء شديد وبناية شديدة.

- "يا إنجيل السماء ما الذى سنقوم بعمله اليوم؟"، ثم جعلت الكتاب يسقط مفتوحاً، آخر مرة التقيناه فيها ظهرت لنا صورة لامرأة عارية، ليست صغيرة بل مسنة وممثلة، وكانت جالسة على مقعد ذى أنرع تدخن سيجارة، وتتنظر إلى خارج النافذة، وكان الدخان قد ملأ الغرفة وتناثر فى المكان، لم تكن المرأة جميلة أو أى شيء، ولكن الصورة كانت جميلة حقاً، كما أعتقد.

سألت جيما: "ماذا يعنى ذلك يا للى؟".

قال روب: "هل يعنى ممارسة الجنس على مقعد ذى ذراعين؟".

لقد كان يسخر حقاً من هذا الأمر، وقد أغضب ذلك للى كثيراً، فأدارت عينيه وفكرت بعمق ثم قالت: "لا، إنها تقول أننا سنتعاطى بعض الهيروين اليوم...".

وغرقت جميعاً من الضحك ولكنها- حقيقة- قصدت ذلك، لذا انزعجت بحق.

قلت: "غريب، لقد كان ذلك ما قلته في آخر مرة".

ربتت للى على الكتاب، وقالت: "أنا أتخيل أن إنجيل السماء يعرف كيف يحظى بوقت جيد".

ولم أستطع أن أنجح أبداً فى معرفة ما إذا كان ذلك لعبة يلعبونها أم أنه... ولكننى أظن أنه إذا كان بيننا شخص ما ساحر فإنها ستكون للى، إنه شيء غريب، إنها تقاتل أحياناً بشراسة ضد أى نوع من الشعوذة، وفى أحيان أخرى تتصرف كأنها ملكة السحر، لن تعرف أبداً ما الذى يدور فى صدر للى وعقلها، كانت تعلقنى

أحياناً، وكانت تعتقد أن أى شيء تفكر فيه ولو بالصدفة هو شيء مثير ومذهل ويفوق الخيال، أما مشكلة جيما فهي أنها كانت تعتقد أن كل ما تفكر فيه للى هو شيء مثير ومذهل ويفوق الخيال.

حاولت أن أتحدث فى ذلك الأمر مع جيما فى اليوم التالى، ولكنها انزعجت، واعتقدت أننى خفت، وقالت لى ينبغي أن أبعد عن المخدرات، ولم أكن منزعجاً من ذلك الأمر ولا خائفاً على نفسى، فأنا لم أتعاط أى شيء لمدة يومين لمجرد أن أثبت لنفسى فقط أننى قادر على ذلك، ولكننى بالفعل منزعج من أجل جيما، وأنا يمكننى قبول الأمر أو رفضه، ولكن جيما لن تقول لا أبداً.

إن إحدى المشكلات أننا جميعاً نقوم بعمل نفس الشيء، ويوجد دائماً واحد منا يريد الاستمرار فى القيام بهذا الأمر، بالطبع لم نستخدم الإبر فى تعاطى المخدرات، فقد أصبح لدينا إحساس أكبر من ذلك... ولكن ربما كنت أنا فى حاجة للراحة، ولكن جيما كانت تشعر بأنها تريد بعض المخدرات، حتى إذا أردنا أنا وجيما التوقف عن التعاطى، فإن للى ستجعلنا نعود إليها أو روب أو سالى...، إن التعاطى مثل العدوى التى تنتقل من فرد لآخر فى جماعتنا.

ولكن كل شيء سيكون على ما يرام، وينبغي علىّ فقط أن أتذكر أننى قررت هرباً بعيداً عن أمى وأبى، وإذا كنت قد استطعت الهروب منهما فإننى أستطيع الهروب من أى شيء آخر مهما كان.

(١٧)

جيما

سيكون لدى أطفال يومًا ما، وسوف أنتقل للعيش في الريف في أحد الأيام، وأزرع الأزهار والخضراوات، ربما سأمتلك محل زهور صغير، وقد أبيع النباتات التي أزرعها، وفي الصيف عندما أحتاج إلى التخلص من أفكارى فسأجول في المهرجانات والاحتفالات وأقابل جميع أصدقائى فى يوم ما، ولكنى فتاة حضرية الآن، أعيش فى المدينة وكل شيء هنا يقع فى مساحة نصف ميل مربع، ويمكنك رؤية ذلك بنفسك، كما يمكنك أن تتخنى وتلتقط أى شيء تريده.

فى المدينة يجب أن يكون لديك نقود، وفى الأشهر الستة الأولى عشنا بدون أى شيء، ولكن بعد ذلك... حسنًا، فإنك تحتاج إلى النقود لعمل أى شيء، إنك تحتاج النقود من أجل ركوب الأتوبيس وللذهاب إلى الحانات، ولكى تشتري لنفسك الأغراض التى تريدها، الشيء الوحيد الذى ينبغي عليك عمله - فقط - هو أنك يجب أن تجد طريقة سهلة للحصول عليها، مثل العمل فى مصنع لمدة أربعين ساعة أسبوعيًا، لا... شكرًا، أنا أفضل أن أمكث فى المنزل.

علمتلى للى أن الحصول على النقود أمر سهل ويسير، ربما كان ذلك فى الربيع الماضى، كنا جميعًا مفلسين، وكنا نتعاطى بعض المخدرات، وفى ذلك الأسبوع كنا نتعاطى الكثير منها بالفعل، وكان من الظريف أن نتعاطى الكثير جدًا

فى لحظة واحدة، كان لدينا جرامان فى بداية الأسبوع، ثم أتت سالى، وكان ذلك تقريباً فى نفس الوقت الذى أدارت فيه ظهرها لكول وتركته، ولكنها افتقدته بعد ذلك، إلا أنها لم ترد أن تعود إليه، وكانت بعيدة فى زيارة لأخيها بمدينة مانشستر، لذا كان جسمها نظيفاً لأنها لم تتعاط أى مخدرات لمدة أسبوع، وكانت تلهث، اشترت جرامين، وكنا نشارك دائماً فى أى شىء لذا تعاطينا جميعاً هذه الكمية معها.

ولم يكن ذلك أمراً سيئاً جداً ولكن ديف عاد بعد ذلك من أمستردام. كانت الأحداث تتوالى حدثاً تلو الآخر خلال ذلك الأسبوع، وكان لدى ديف دائماً بعض المخدرات، وكان يجلب لنا دائماً كيساً مملوئاً بالمخدرات فى كل مرة يأتى فيها إلينا، ولم نكن نعرف كيف كان يجلبها، ولم أكن أعرف إلى متى ستنزل هذه المخدرات متوافرة لدينا، وبعد أن تعاطينا المخدرات شعرنا بالبرد، برد شديد، إنك تحس بالآلم إذا أصبت بالأنفلونزا أو شىء آخر، حسناً، أنا- إذن- مريضة، ولكن ذلك لم يدم طويلاً، إن الشعور بالهبوط ليس مشكلة ولكن الفارق بين الأنفلونزا والتعاطى هو أن كل ما عليك أن تأخذ غفوة، وتنام قليلاً وبدلاً من أن تشعر بأنك مثل أى شىء قدر، فإنك ستشعر بأنك أفضل من أى شخص فى الكون، إن الذى يجعل الأمر صعباً جداً هو أن كل ما يمكنك أن تفكر فيه هو المخدرات...المخدرات والمزيد من المخدرات.

لو كان ديف لا يزال هنا كان سيعتنى بنا، ولكنه ترك التعاطى منذ ذلك الصباح، وكان ينبغى أن نطلب منه أن يترك لنا القليل قبل مغادرته لكى نستطيع تقليل الجرعة التى كنا نتعاطاها تدريجياً، ولكنه غادرنا فى وقت مبكر، ونسينا أن

نطلب منه ذلك الليلة قبل الماضية، وكان التاجر الذي اعتدنا التعامل معه يقضى عطلة نهاية الأسبوع في مكان بعيد.

وإلا كنا قد استطعنا أن نحصل منه على بعض المخدرات على الحساب، ثم ندفع له فيما بعد، لقد كان ذلك فظيحا، وكانت هذه أول مرة تنقطع عنا المخدرات فجأة، ولم أشعر بهذا الشعور السيئ من قبل، ولكن هذه المرة - لا أعرف لماذا - بدت الأسوأ على الإطلاق، وأخذت أتعاطي الأنادين Anadin وكل الأنواع الأخرى، ولكني لم أشعر بأى تحسن من أى نوع، ولا يوجد سوى شيء واحد فقط يمكنه أن يجعلك تشعر بأنك أفضل عندما تصاب بالبرد، إنه المزيد من المخدرات.

وكانت لى أسوأ من أى فرد آخر فينا، وظلت تشكو وتقول: "أنا حقاً مصابة بشدة، ورأسى لا تستطيع تحمل ذلك"، وكانت تكره الشعور بأن أحوالها سيئة، لأن ذلك الشعور كان ضد معتقداتها.

كانت لى جالسة ثم أخذت تقفز إلى أعلى وتذهب إلى الفراش وتعود مرة أخرى، وانشغلنا أنا وتار في فترة بعد الظهر بمشاهدة أحد الأفلام، ولكن لى لم تستطع فعل ذلك، لقد انشغلت بلقائنا مع سالى، ولم تخبرانى بما يدور بينهما، وأنا أكره أن يهملنى الآخرون، وأخيراً سحبت لى روب إلى غرفة النوم، لقد اعتقدت أنهما قد ذهبا للقيام بما تعرفونه، لكنهما خرجا بعد خمس دقائق فقط، خرجا وارتيبا معطفيهما، وعادت لى لارتداء جاكيتها الشبيكة، كانت هذه المرة الأولى التى رأيتها ترتديه منذ أسابيع.

سألتهما: "إلى أين أنتما ذاهبان؟".

قالت للى: "عندما أعود سأجعلكم جميعاً تشعرون بأنكم على ما يرام"،
وغمزت لى غمزة سريعة قبل أن تخرج، وابتسم روب قليلاً ثم خرجا.

ظلا بالخارج لمدة ساعتين، وسعينا أنا وتار لى نجعل سالى تشعر بالدفء،
ولكنها ظلت صامتة ومغلقة فمها، وكنت مشوقة لأعرف السبب وفى النهاية بدأت
فى التفوه بالكلام، لذا ظللت صامتة، ولكننى كنت أحترق شوقاً من الفضول، ثم
سمعنا صوتيهما فى الصالة، وعلمت أنهما قد عادا بعد أن نجحا فيما سعيا إليه،
لأنهما كانا سعيدين، أنت لى تصبح صاخبة، وهى تمسك بالنقود وتقفز طائفة
نحو السقف.

وراحت لى تصرخ "ياه، نقود ببلاش، نقود مجانية"، كان هناك قطعة كبيرة
من الطلاء تتساقط من السقف، وأخذت لى ترقص فى الغرفة، وجذبتها سالى
واحتضنتها وقبلتها، جذب روب الأوراق النقدية وانطلق ليشتري بعض المخدرات.

وتساءلت: "كيف حصلت على هذه النقود، كيف حصلت عليها؟"، كنت أعتقد
أنهما قد سرقا شخصاً ما، ولكنها لم تقل شيئاً، وظلت ترقص فى الغرفة، وتشتغل
الموسيقى، وتزید من إضاءة الغرفة، وتجهز المكان فى انتظار روب.

عاد روب بسرعة على غير العادة، فقد خرج منذ برهة قصيرة، خاصة أن
المعاملة كانت مع تاجر مخدرات لا نعرفه كثيراً، وأخذت لى دورها فى التعاطى
أولاً ثم ابتسمت لى ابتسامتها العريضة، وقالت: "ستون جنيهًا، ليست سيئة فى
مقابل عشرة دقائق عمل فقط، إيه يا جيما؟".

"أخبرينى إذن، استمرى، لقد كدت أجن".

قالت: "لقد تحولت إلى قارب صغير".

سألت سالى "ماذا يعنى ذلك؟ هل سرقت شخصاً ما؟ هل نشلت أحداً؟".

ضحكت وهزت رأسها، كانت تراقب روب وهو يغرز الإبرة فى ذراعه كما لو أنها لم تشاهد أى شىء مسلماً كهذا فى حياتها من قبل، أنا أيضاً لم أستطع الانتظار، فقد كنت مشوقة كثيراً.

قالت للى: "لقد مارست الدعارة لمدة نصف ساعة".

تعجبت فقط، وظللت أسألها الكثير من الأسئلة، كيف فعلت ذلك؟، ما الذى كان ينبغى عليها فعله؟ أين فعلت ذلك؟ كم عدد الذين مارست ذلك معهم؟، كم مرة فعلت ذلك من قبل؟، كم المبلغ الذى قبضتيه؟، وقد انزعجت جداً عندما سألتها ما إذا كانت قد استمتعت بذلك.

قالت وهى تنظر إلى روب: "إنه عمل يا جيما، لا أحد يحب العمل".

وفىما بعد عندما هدأت قالت لقد حدث ذلك بالصدفة، وأكدت أنها لم تستمتع بهذا الأمر على النحو الذى كنت أقصده، فقد شعرت بأنها كانت مثل المساطيل كانت كالمذهولة، وهو نفس الشعور الذى كانت تشعر به عندما كانت تسير وهى صغيرة عبر النهر على حافة كوبرى السكة الحديد الخطرة، لقد كانت جراً منها أن تفعل ذلك، وقد فعلت ما فعلته اليوم بنفس هذه الطريقة، فقد وقفت على ناصية الشارع، وهى تنتظر قليلاً على الطريق، ثم جاء الزبون فى سيارة وتوقف ودخل فى نقاش، ثم أظهر روب نفسه فعرف الزبون أنها ليست ملك نفسها، وأخذ فى الاتفاق، لقد اتفقوا على نوع الخدمة وعلى السعر أيضاً.

قالت للى وهى تبسم: "كلنا نعرف ماذا كانت البضاعة".

ودخلت للى إلى السيارة وانطلقت بها بعيدًا، وأخذ روب يغدو ويروح على الرصيف وهو يقرض أظافره، ثم جاءت السيارة بعد برهة، وألقت بها إلى الخارج، وفى يدها نقود، حيث وجدته واقفاً ينتظرها، ثم عادت إلى مكانها مرة أخرى فى انتظار زبون آخر.

زبونان، عظمة يا بغى، ستون جنيهاً.

نعم، النقود سهلة، يمكنك الحصول عليها بالوقوف على قارعة الطريق والانبطاح على الظهر، أو فى المقعد الخلفى لسيارة شخص ما، إنك تستخدم جسدك كما يفعل الآخرون، نجارون، ميكانيكيون، بستانيون، يمكنك الذهاب إلى العمل والحصول عليه سواء فى محل أو أن تعمل لحسابك الخاص على ناصية الشارع أو فى المنزل، النقود سهلة، مثل أى شىء آخر، سهل متى علمت طريقة الحصول عليه.

أنا أعرف ما الذى تفكرون فيه، أنتم تفكرون، كم هو مرعب، يا له من حلم، يا له من شىء مقرف أو آه يا إلهى آه آه...

نعم كما تخرج من بيتك إلى عمالك خمسة أيام فى الأسبوع، كما لو كنت تهبط إلى منجم أو تجلس فى مكتب كل حياتك بينما تشرق الشمس على إنسان آخر، كما لو تزوجت وأصبح لديك أطفال ثم اكتشفت أنه لعين ذلك الذى يستخدمك ويستغلك ويريد أن يعطيك أجر الخمس المرات أسبوعياً مرة واحدة فقط، وأنك لا تستطيع أن تقول لا على الرغم من أنك تكرهه، وذلك كله فى أقل من أسبوع، لقد استطاعت للى أن تحصل على كل شىء فى ساعتين فقط.

من ذلك الذى يمص دماء هؤلاء الناس؟

ظلمت مندهشة حتى بعد أن امتلأت بالهيروين، كنت لا أزال مشدوهة وأخذت أقول "أنت لم تفعل ذلك؟ إنك تجرين رجلى وتريدن أن تقودينى إلى فعل هذا الشيء، أليس كذلك؟".

- "كنت داعرة صغيرة لمدة نصف ساعة فقط، الآن أنا للى مرة أخرى، وأنا الآن أحظى بقضاء وقت طيب...".

استقبلت فونى وريتشارد هنا فى اليوم التالى و... أوه... لم أستطع أن أقاوم ذلك، وأخبرتهم بما حدث من ممارسة للى مع عدة زبائن، لقد أعجبنى ذلك الأمر، وبدا على وجوههم أنهم يحاولون أن يتفهموا ذلك؛ لأنهم كانوا يكرهون أن يبدو عليهم أنهم رافضون لذلك، فقد كانا يعتقدان أنهما كانا يتبادلان القيام بدور "السيد" والسيدة"، اللذان يراعيان أمورنا؛ لذا كان ذلك الأمر شيئاً مدمراً حقاً بالنسبة لهما مثل كسر أقفال البنوك وتدخين المخدرات.

أنا أبلغ الخامسة عشر من العمر فقط، وقد فعلت أشياء لا يستطيع أى منهما أن يجرؤ على فعلها، وعندما أخبرتهما أننى كنت أشارك فى تلك اللعبة، جلست فونى لبرهة تحاول أن تحدد موقفها من ذلك، ثم قالت: "إن ذلك مقرف يا جيما".

قال ريتشارد: "حسنًا، يمكننى تجربة أى شىء لمرة واحدة فقط، ولكننى لا أنصح بأن يكون ذلك مهنة ومستقبلاً".

كان ذلك قولاً صائباً حقاً، وكان ريتشارد يدهشنى أحياناً بالفعل، أنا كنت سأخبركما... لأننى لم أستطع مقاومة ذلك، لقد كانا جالسين هناك وكانا يريدان أن يعرفا ما الذى أنوى فعله؛ لذا فكرت أن أعرض عليهما كل شىء، ثم شمرت أكمامى وأظهرت لهما علامات التعاطى ومكان حقن الإبر فى ذراعى.

لن أجعلك تشعر بالملل من التفاصيل، شعرت بالأسف لأننى أزعجتكما، واستمرا وتماديا فى ذلك كثيرا، وبرغم أننى قلت لهما ذلك بالفعل، فإن ذلك لم يكن يهمنى، وعلى الرغم من أننى أحب الحديث عن الهيروين، فإننى لا أحب التحدث عن ذلك طوال اليوم، إن الهيروين يفتتنى، ما الذى يفعله بك؟ كيف يستجيب له الناس؟ ولكنهم كانوا يفزعون كثيرا عندما أخبرهم بأنى كنت أتعاطى وأعيش تلك المشاعر لعدة ساعات.

قال ريتشارد: "سوف تذرفين الدموع على ذلك".

ضحكت لأنهم لم يكونوا يعرفوننى.

قالت فونى: "كل واحد يعتقد أنه أقوى من الهيروين"، ثم قالت وهى مجروحة: "إن الهيروين يجعلك تشعر بذلك، ولكن سوف تكون هناك حالات وفاة".

قامت فونى وراحت تدور فى الغرفة مثل ملاك يوم الحساب، وقالت: "سيموت بعضكم".

كان هناك رفيقان (شاب وفتاة) من صغار السن، وبعض الفتيات المتسولات الصغيرات اللاتى قمن بعمليات صغيرة لبيع المخدرات، وأخذن يمشين على البساط ويحملن فى فونى كما لو أنها قد جاءت إلى هنا من أجلهن، وكان ذلك غريبا.

قال تار: "أنتم تعرفون كل شيء عن ذلك، لقد كنتم مشاركين فيه، أليس كذلك؟".

وبالطبع كان ينبغى على فونى أن تعترف بأنها لم تحاول ذلك، وبدأ كل واحد منا فى الضحك منهما بعد ذلك، لكن فونى وقفت شامخة فى كبرياء وقالت مرة أخرى: "سيكون هناك موتى".

قالت للى بظرف: "نعم. كلکم ستموتون! نعم".

كانت ترقص عبر الغرفة مثل شبح، كانت فى أفضل حالاتها فى ذلك اليوم؟
مثلما كانت فى الحفلة التى قابلتها فيها لأول مرة، رقصت لفونى وغنت لها:
"عيشى بسرعة وموتى صغيرة يا صغيرتى قبل أن تصبحى عجوزاً".

نظرت فونى إليها كما لو كان سيغمى عليها، كما لو كان ليس لديها الحق
فى التفكير بهذه الطريقة.

استمتعت جدًا بهذا فى ذلك الوقت، لكنهما كانا يحضران أكثر من اللازم،
سواء معًا أو كل واحد بمفرده، وكان كل ما يريدانه هو الحديث عن ذلك الأمر،
وأصبحت أظن أنهما كانا أكثر إيمانًا منى.

كنا نجد شبابًا صغارًا يشترون المخدرات أحيانًا، كنت فى الرابعة
عشرة عندما بدأت، وأنا الآن فى الخامسة عشرة ونصف، لكن بعض هؤلاء
الأطفال كان فى الثالثة عشرة، كما رأيت بعض الأطفال ممن يبلغون الثانية عشرة
يتجولون طالبين للمخدرات، وكنت أشعر بالذنب لبيع المخدرات لهم، ولكنى كنت
أتساءل ماذا يوجد أمامهم غير ذلك لكى يفعلوه؟، إنهم لم يهجروا منازلهم للحصول
على فرصة صغيرة للحياة مثلى، لقد غادروا منازلهم لأنهم كانوا يحتاجون
للهرب.

إنهم لم يستطيعوا أن يتعاملوا مع حياتهم فى المنزل، لكن المشكلة الحقيقية
هى أنهم لا يستطيعون أن يتعاملوا مع الشارع أيضًا، إنهم لا يتعاطون المخدرات
لقضاء وقت ممتع، إنهم يتعاطونها لكى يهربوا، إنهم لم يدخلوا اللعبة للحصول على
النقود، إنهم يفعلون ذلك من أجل البقاء والحياة فقط، فقد كان يجب عليهم العمل فى

مقهى أو فى مدرسة أو يكونون ناضورية على الناصية، كان الأمر مختلفاً معهم.

لم يكن عليهم - حقاً - أن يدخلوا فى اللعبة، بعيداً عن أى شىء آخر، أنا لا أثق فى الرجال الذين يريدون الفتيات الصغيرات، ولكن لا توجد طريقة أخرى للحصول على النقود وهذا الأمر ينطبق علينا نحن أيضاً.

فما الذى كان لدينا غير ذلك لكى نبيعه؟.

إن ذلك هو أقصى ما تستطيع فعله لو كنت أقل من السن القانونى، لا يمكنك إلا الحصول على بعض الأعمال النافهة حيث تعملين ساعتين أسبوعياً فى أحد محلات الزبدة المستخدمة فى صناعة الحلوى، أو يمكنك قضاء بعض أيام الأسبوع تقعين مستقلة على ظهرك...

هذه إحدى الفتيات الصغيرات التى أمر بها فى طريقى للعمل، كانت واقفة على ناصية طريق "بروك" تعرض فحذيها، وكان معها فتاتها الطويل الذى لا يمكن أن يتعدى الرابعة عشرة، ولكننى لن أصنفها مراهقة، كانت تضع المكياج على وجهها وتلبس الأحذية ذات الكعوب العالية، وأعتقد أنها تظن أنها تبدو محنكة، ولكنها كانت تقوم بالفعل بتجارة جيدة لأنها تبدو كما هى بحق فتاة صغيرة ترتدى ملابسها.

إنها تقوم بعمل حيلة ما ثم يذهبان معاً، وينفقان النقود على الحلوى والهيروين، وعندما أنت إلى هنا حاولت أن أكلماها وأقول لها: "انظرى، يمكنك أن تكونى أى شىء تريدينه، ليس عليك أن تظلى معلقة هنا...".

نظرت إلى وتتهدت، إنها تحب أن تتهاذى وتمشى بخطى بطيئة هنا، وأعتقد أنها تبحث عن الصلابة، وإذا اقتربت منها كثيراً فسوف تتنهتد وتقول: "هل أستطيع الذهاب الآن؟" كما لو كانت تريد تصرّيحاً منى لكى تغادر المنزل.

كنت أتساءل أحياناً ألا يجب على أن أوجهها إلى طريق الصواب؟، ولكن لى تظن أنها قد هربت من منزلها بسبب ما، وربما كان من الأفضل أن تظل حيث هى الآن، ربما كانت الآن تتحكم فى حياتها الآن بنفسها على الأقل، ولكننى أشعر شعوراً سيئاً بالنسبة لهؤلاء الأطفال اليافعين، إنهم يستحقون نوعاً ما من الحياة، أما أنا فقد حددت اختياراتى وأنا سعيدة بها، نعم أنا أسيطر على حياتى وأحبها، وأحب نفسى، وأحب تار، وأحب أصدقائى جميعاً.

المهم أننى أعرف حدودى جيداً، أنا حساسة تجاه ذلك، تقول لى إننى أفعل أى شىء بحساسية حتى عندما أصل إلى قمة النشوة فى تعاطى المخدرات، حقاً! أنا أعتنى بنفسى، أكل جيداً، وأجعل الزبائن يرتدون الواقى الذكرى، ولا أعمل فى الشوارع، وأقوم بذلك من خلال رسائل المتحدث الآلى، ولا أشارك مع أحد فى الإبر، فيما عدا تار، أنا لست مدمنة، ويمكننى التوقف عن ذلك عندما أريد، وقد توقفت عن التعاطى لمدة أسبوع، أو أكثر من ذلك لمجرد أن أثبت لنفسى أننى لا زلت فى القمة، لست مصابة بمرض الإيدز، إننى لم أصب حتى بأى التهابات فى الحالب.

كانت لى تخرج وتعمل فى الشوارع، حتى بالرغم من أنه كان يمكنها الحصول على عمل فى غرف خاصة نظراً لما كانت تحظى به من مظهر جميل، لكنها كانت تقول إنها لا تريد أن تعمل لحساب أى شخص آخر سواها نفسها، وهى تعتقد أساساً فى السحر، إن الإيمان بالسحر على طريقته لى يعنى أنها لن تصاب

بمكرهه، بصرف النظر عما تفعله... وإذا فعلت ذلك فإنها تفعله لأنها كانت تقصد ما تفعله.

إنه شيء غريب ذلك الذى تعتقده للى، ولكن يبدو أنه كان فعالاً وله تأثيره الجيد معها، لا شيء يبدو أنه يؤذيها، أنا لا أقصد أنها لم تصب أبداً، فهناك بعض الأشياء التى تحدث لها، فقد التقت يوماً ما بزبون قام بضربها وأخذ نقودها، وعادت بعين سوداء متورمة تبحث عن روب لأنه كان من المفترض أنه يهتم لهذه الأمور، لم تكن غلطته لأن ذلك الزبون أخذها وانطلق بسيارته قبل أن يتمكن روب من اللحاق بهما.

ولكن المهم أنها تعافت مرة أخرى وأصبحت على ما يرام فى خلال نصف ساعة، وعادت إلى الشارع فى تلك الليلة، كنت خائفة ومرعوبة من أن أخرج هناك مرة أخرى، ولكنها كانت هناك كالمعتاد، وكانت فخورة بذلك، وذلك هو سرها، أنها كانت فخورة بكل شيء يحدث لها، إنها تجعله شيئاً خاصاً ومتميزاً لأنه حدث لها.

اندمجنا أنا وسالى فى ذلك العمل المدهش فى دار "ديو" الصحية، إنه مكان ظريف ونظيف، كما أنه آمن أيضاً، لأنك تكون داخل الدار، والفتيات الأخريات حولنا، والإدارة لا تريد أن يحدث أى شيء وإلا فقدوا أعمالهم، إنك تحصلين على أرقى طبقة من الزبائن بينما كانت للى تضطر لتقبلهم كما هم مباشرة من الشارع، وكان من بينهم بعض سائقى الشاحنات الذين يظلون جالسين فى كبائن القيادة لمدة اثنتى عشرة ساعة، أما فى دار "ديو"، فإنك إن اعتقدت أن الزبون سيغتصبك فما عليك إلا أن تلقى له بالمنشفة، وتقولى له إننى سأعود عندما تنتهى من أخذ الدش.

وبالطبع فإن الإدارة هناك لا تريد أن يبتعد الزبائن عنا، لذا لا يمكنك أن تنتقى أو تختارى، ولا يمكنك أن تقولى: "أنا لا أستظرفه وسأخذ هذا بدلاً منه"، إن ذلك ليس عدلاً بالنسبة لباقي الفتيات، ولكن إذا طلب منك شخص ما أن تقومى بفعل شيء شاذ أو مؤذ فإنهن يرسلن إلى جو، وهو يقوم بطرده للخارج، والرئيس جوردون طيب حقاً، وإذا كان هناك شخص ما ضخم أو لا يمكنك تحمله فسيحاول أن يجعله يدفع مبلغاً إضافياً، أو يتم التخلص منه بشكل ما، وإذا ظل الزبون يريد ذلك، فإنه يقدمه إلى الفتيات الأخريات بمزيد من النقود، إنها عادة تكون إلين لأنها- حقيقة- لا تهتم وتقبل أى شخص.

كنت أريد أن أتناول بعض المخدرات لكى أشعر بغيبوبة وأنتى لست فى كامل وعيى، إنها خدمة عامة حقاً، وفى إجازة البنوك تجد هذا الصف من الرجال جالسين فى غرفة الانتظار، أقصد أنهم لا يحصلون على ذلك فى المنزل مع زوجاتهم، أو أنهم يدخلون لدرجة أنهم لا يستطيعون أن يجدوا فتاة خاصة بهم، لذا يأتون إلينا، وإذا لم يكونوا قد جاءوا من أجلنا خصيصاً فمن المحتمل أنهم قد خرجوا إلى الشوارع لاصطياد فتيات أصغر منا، وأنا وسالى لدينا نكتة عن ذلك الموضوع، "آه... أنت اليوم فى مهمة انحراف جنسى خاصة".

كنت أحصل على ثلاثمائة جنيه فى بعض الأسابيع، وإذا استمرت على هذا الحال حتى أصل إلى الخمسين من عمرى، وأنا أكسب ثلاثمائة جنيه فى كل أسبوع، فإننى سأفكر فى العودة إلى أهلى وأجعلهما يريان ذلك، ليس ما أفعله ولا ما أكسبه أيضاً، فربما يكونان قد خمنا أو توقعنا ذلك، أنا سأجعلهما يروننى فقط، أى سأريهما نفسى فقط، وبذا يمكنهما أن يريا أننى أبلو بلاء حسناً.

لكن لن أذهب الآن؟ أحب أن أنتظر حتى يصبح جسمي نظيفاً من المخدرات
قبل أن أذهب إليهما، أنا أعرف أنني أعمل كثيراً جداً، أنا أعرف ذلك.
أنا أخطط لأن أظل مستقيمة بلا تعاط لعدة أسابيع، سأذهب لأراهما وقتها،
كنت أنوى أن أتصل بهما... ولكن ذلك لم يرق لي، لأنني لا أتحمل التحدث إليهما
هذه الأيام ولا حتى أمي، أنا أفنقدها ولكنني لا أستطيع التحدث إليهما، سأذهب إليها
يوماً ما، ويمكنني الانتظار أعني أنها لن تموت غداً، أليس كذلك؟.

(١٨)

تار

منذ أن تحسنت.

أصبحت سعيدًا بهذه الطريقة.

وأفضل هذه الطريقة.

أفضل وأفضل وأفضل.

وسأظل هكذا.

لوركي

عندما أطل من خارج النافذة وأنظر من أعلى إلى طريق المدينة، أرى كل المنازل والنوافذ والأبواب التي فيها، وكذلك الحجرات التي خلف النوافذ والأبواب، أنا أشعر كما لو كنت أنظر إلى غابة أو إلى محيط عميق، وخلف الشوارع يوجد البلوكات والمكاتب والمباني والمحلات التجارية، وعلى التل كانت توجد مجموعة من البلوكات العالية كالأبراج، إنها تبدو كبلوكات متراسة في هذا الفضاء.

أنا جزء من مجموعة قبلية كبيرة، نحن نحيا خلف النوافذ والأبواب، وأحيانًا نخرج إلى الشوارع بسرعة للتسوق أو ليزور بعضنا بعضًا، وفي هذا الجزء من المدينة توجد البيوت والشقق المرصوفة واحدة فوق الأخرى، ويوجد عدة

مجموعات قبلية ذات أصول عرقية واحدة تعيش جنباً إلى جنب، فالآسيويون يديرون محالهم أو يحرسون منازلهم، والهنود الغربيون والأيرلنديون والبولنديون وغيرهم من الناس الذين يحبون هذا ويفعلون ذلك، كل هذه المجموعات العرقية اختلطت ببعض وانصهرت معاً، وإذا دخلت في حياتهم فستجد منهم اللصوص ورجال الشرطة والتجار، لم أكن أحتك كثيراً بالآخرين، كنت أراهم فقط لأنه كان لدى حياتي الخاصة التي أعيشها، جاء إلينا ريتشارد ذات يوم لكي يودعنا، كان ذاهباً في رحلة إلى جنوب شرق آسيا، إلى تيلاند وبالي ثم سيذهب إلى أستراليا، وقد أراد أن أذهب معه، فضحكت وسألت: "لماذا؟ ليس لدى أي نقود".

فقال: "أنا سوف أقرضك".

لكنني هزرت كتفي فقط.

إنه يعتقد أنني أستحق أن يعرض علي ألف جنيه بدون أن أفعل أي شيء، إنني مستمر في حياتي، وأقوم ببعض الأعمال، بدون أن أحاول... وما زال ريتشارد يعتقد أنني أستحق أن يعطيني ألف جنيه، أنا أعرف أنه يقول إنها سلفة، ولكن أنا وهو كلانا نعرف أنني لا أستطيع أن أرد هذا المبلغ إليه، وذلك بصرف النظر عن مدى حسن نواياي، كنت أعرف بالطبع ما الأمور الكامنة خلف كل ذلك، فهو يعتقد أنني كنت سأترك تعاطي المخدرات إذا سافرت معه، وقد اعتاد أن يأتي إلى هنا بانتظام لكي يلومني على تعاطي المخدرات.

كان يقول لي...: "إن هذه المخدرات سوف تقتلك، إنها تقتلك، لقد أصبحت مملاً حقاً هذه الأيام".

فقلت له: "وكذلك أنت أيضاً".

فهز رأسه فقط.

قلت له "لا يجب على أن أهرب إلى قارة آسيا لكي أجعل نفسي أبدو جذابًا يا ريتشارد".

فقال لي "أتمنى أن تشعر أن حياتك أو موتك هو أمر سواء".

وكانت هذه هي المشكلة مع أغلب الناس، إنهم يريدون أن يحبوا إلى الأبد، ولو أخبرتهم أنهم يحيون حياة واحدة فقط، وأنهم سوف يموتون خلال ثلاث سنوات، وهو أمر مناسب تمامًا، فإنهم سوف يكرهون هذا القول بدون أى سبب واضح، وإذا كنت تريد أن تموت قبل أن تبلغ سن العشرين فلن أناقشك أبدًا فى موضوع الهيروين مرة أخرى.

يجب عليك مواجهة الحقائق، كما أن هناك هذا الشيء المخيف حقًا الخاص بما حدث لألان وهيلين، إننى لم أعرفهما جيدًا بعد، وأسعى للتعرف الجيد عليهما برغم أننى لا أتذكر أين قابلتهما لأول مرة، ولكنهما اعتادا أن يأتيا إلى مكاننا هذا من حين إلى آخر لكي يحصلوا على بعض جرعة المخدرات، ثم اتجه آلان بعد ذلك إلى التجارة فيها، وكان من أكثر الشباب الذين قابلتهم فى حياتى أناقة، كان أسمر البشرة، وكان جسمه مشعرًا جدًا، فقد كان صدره ويده مملوءين بالشعر الأسمر، وكان يتحتم عليه أن يحلق ذقنه مرتين فى اليوم، ولكنه لم يكن يفعل ذلك أبدًا بالطبع، فقد كان يقوم بحلاقة ذقنه عندما كان يريد أن يبدو أنيقًا فقط، وكانت له عينا جميلتان مثل الذهب السائل، كما كانت قسّمات وجهه كلها جميلة، وكان يمكنه أن يعمل كمنيكان من فرط جماله، بل إنه كان أجمل من أن يعمل منيكانًا، وكان الناس يعجبون به ويحلمون فى جماله، وكنت أنا أيضًا أفعل ذلك، ولكنه عندما كان يرى الناس يفعلون ذلك كان يشيح بوجهه عنهم ويلتفت للجانب الآخر.

كان يضحك دائماً ويسير مزهواً بنفسه، وكأنه موديل في أحد المجلات، وكان يرتدي قميصاً سخيلاً حقاً، لامعاً ومرسوماً عليه صورة لنتين، أما هيلين فقد كانت شقراء وجميلة جداً وذات أنف صغير، وكانت من مدينة برمنجهام، وأنا أرى أنها فتاة ممثلة بالحياة، ولم أكن أعرف لماذا كانت تصاحب آلان دائماً، لأنه كان غليظاً إلى حد ما، أعتقد أنها كانت تصاحبه لأنه كان وسيماً وجذاباً ولديه ثروة طائلة ربحها من تجارة المخدرات.

وعلى أى حال فقد كان لروب بعض المصالح معهما فيما يتعلق بتجارة المخدرات، كان لدى بعض المخزون من المخدرات، وكذلك كان يوجد لدى جيما كمية قليلة منها، ولكننا لم نرد أن نشرك الآخرين معنا، لأن هذه الكمية كانت هى كل ما يوجد لدينا.

سارت الأمور على النحو التالى، فقد خرج آلان وهيلين من المدينة لتدبير بعض المخدرات، واتصلا بروب فى المساء ليخبراها بأنهما قد نجحا فى ذلك، وأنه يمكنه الحضور للحصول على نصيبه منها، فأتى مباشرة ورأى الأنوار مضاءة ودق الباب لكن لم يرد عليه أحد، فدق على الباب بقوة، وأخذ ينادى عليهم بصوت عال... ولكنه لم ي تلق أى؛ إجابة لأنهما كانا فى طريق بروك الواقع على ناصية الشارع، ولم يكن روب يريد أن يحدث أى ضوضاء؛ لأنه ليس من المناسب إثارة الكثير من الضوضاء خارج بيت تجارة المخدرات، لذلك قام روب بانتظارهما بالقرب من المنزل.

كانا قد اتصلا به على الهاتف منذ نصف ساعة فقط ولم يخبراها أنهما سوف يخرجان، فقال روب: "لقد أخبرتهما أننى قادم فى الطريق إليهما"، وكان يبدو عليه الاستياء وهو جالس على قارعة الطريق يقضم فى أظافره.

قالت للى: "ربما ذهباً لكى يعربدا قليلاً فى الخارج".

وكانت جالسة على الأرض وهى تلف ذراعها حول ساقها وجسمها كله ملفوف بستره صوفية، وقالت: إنهما كثيراً ما يتغيبان عن المنزل لبعض الوقت، حتى لو كانا يعرفان أن بعض الزوار سوف يأتون لتحيتهما".

وظل ينتظرهما لمدة نصف ساعة ثم عادا من حيث أتيا، وحدث نفس الشيء بالنسبة لنا حيث لم يجب علينا أحد عندما طرقنا الباب فشعرنا بالقلق عليهما؛ لأن الآن وهيلين لا يتركان المنزل ويخرجان أبداً، ولو قالوا إنهما سوف ينتظران فإنهما يظلان داخل المنزل، والجميع يعرف عنهما ذلك، لذا فإن الأمر لا يمكن أن يكون أنهما قد ذهباً لكى يعربدا قليلاً فى الخارج؛ لأن رجال البوليس كانوا منتشرين فى المنطقة كلها بعد ذلك بنصف ساعة.

وكان روب خائفاً ومفرغاً من أن يكونا قد خرجا، لأن البوليس كان يراقب المنزل، فذهبت ومررت أمام البيت لكى ألقى نظرة عليه، ولكنى لم أجرؤ على أن أطرق الباب، وعندما عدت كانت للى مستاءة حقاً، وأخذت ثلوم روب وتلومنى وتلوم جيما لمجرد أنه كان لدينا بعض المخدرات بينما لا يوجد لديها أى شىء منها، وكانت للى تريد أن يأتى أى أحد، ويقفز إلى داخل المنزل الواقع فى الطابق الأول من الشباك الخلفى الذى كان مفتوحاً ويمكن الصعود إليه عن طريق التسلق على المواسير.

قال روب لتار: "تستطيع أن تفعل، فأنت فى حالة جيدة".

- "لا يمكن فعل ذلك".

- "أنت على حق، كيف ستقوم باقتحام مكان شخص ما وتهبط عليه".

وبدأنا فى الجدل حول ما يجب فعله إلى أن فقدت لى أعصابها وصرخت قائلة: "مجرد شخص ما لعين يذهب ويرتب ذلك الأمر، موافقون!".

ثم أخذت فى التجول حول المكان وتركت كل الأشياء، لقد تم جرحها بالفعل، وبدأت فى خبط الأبواب وإثارة الفوضى ببديها، لذا نظرنا أنا وروب لبعضنا وصممنا على الذهاب معاً، لم يكن لازماً علينا أن نتسلق إلى النافذة وندخل، فقد تذكرت جيما أن صديقنا الآخر الذى يسكن قريباً من آلان وهيلين كان لديه مفتاح احتياطى لاستخدامه فى حالة إذا أغلقوا الأبواب، لم يرد ذلك الصديق أن يعطينا المفتاح فى البداية ولكن أعطاه لنا عندما شرحنا له الأمر.

قال روب: "يمكنك أن تأتى معنا إذا أردت أن تتأكد أن كل شىء تمام" ولكنه لم يرغب فى ذلك.

فتحنا الباب ودخلنا، وبدأت الأمور عادية فى أول الأمر فقد كانا جالسين فى مواجهة بعضهما على الكنب، كانت هيلين متكئة قليلاً على جنبها وكان هو جالساً يحدق مباشرة إلى الأمام كما لو كان يفكر فى شىء ما، ثم بدا الأمر غريباً، فقد بدت كأنها نائمة وكانت عيناها مفتوحتين باتساع.

سأل روب: "هل أنت بخير؟"، واعتقدت فى البداية أنه كان يتحدث إلى لكنه لم يكن يفعل، وأدركنا حقيقة الأمر فى الحال، فقد كانت أجسامهم زرقاء، ثم رأيت الإبر مغروسة فى أذرعهما.

نظر روب إلى ثم دخل إلى الحجرة وظل يزحف هنا وهناك فاتحاً الأدراج وناظراً إلى الأرفف، واقتربت لألقى نظرة عليه ولمست ذراعه فوجدته بارداً فعلاً، وكان روب يندفع خلفى أسرع وأسرع حتى ظننت أنه جن، لكننى لم أهتم للأمر

كثيراً مثل روب، وكانا يبدوان على طبيعتهما ولكن بدون حركة، كان آلان لا يزال رائع الجمال، أما هي فقد فقدت قليلاً من وزنها مؤخراً مما جعلها تبدو في صورة أجمل، أردت أن أقبل خديها لأنى أعرف أنها لن تستطيع أن تستيقظ، لقد كانت مثل الجميلة النائمة.

كان كل ذلك واقعياً جداً، وظللت أنتظر أن يتحرك الآن، ثم انتظرت أن تتحرك هي، ثم انتظرت ليتحرك هو ولكنهما لم يفعلا، لمست خده مرة أخرى، وفكرت في اللحم الباردة.

همس روب: "اللعة ابتعدى عنهما وساعدينى".

بدأنا في إخراج بعض الأشياء من الأدراج وأخذناها وجرينا، ثم وجدنا المخدرات في النهاية، كانا كيسيْن مليئين بالمخدرات لا يتعدى وزنها أوقية واحدة، وكانت هذه كمية كبيرة من المخدرات، وهى أكبر كمية رأيتهما فى حياتى.

قال روب: "ربما تكون هذه الكمية نقية أيضاً"، مشيراً إلى آلان وهيلين فضحكنا... أنت تعرف، نقى جداً وخام.

- "ما الذى سنفعله بهذه الكمية".

- "حسناً إنهما لن يحتاجا كل هذا القدر من المخدرات".

أحسست كما لو أننا كنا نسرقهما، حتى بالرغم من أنهما كانا ميّتين، وكان لدى إحساس بأنهما كانا ينتظران، وحاولا خداعنا، نظرت إليهما وهزرت كيسي المخدرات كما لو كنت أقول لهما هل كل شىء على ما يرام؟ ثم لاحظت بعض التفاصيل التى لم أنتبه إليها من قبل، مثل تلك اللزوجة الرطبة الموجودة أسفل

أنفهما وفى عيونهما، ثم رأيت ذبابة تطير عبر هذا الوجه فهششتها، صرخت وجريت، وجرى روب خلفى، وهبطنا هذه الدرجات وخرجنا من المنزل فى ثوان.

عندما عدنا بتلك الأشياء إلى المنزل كنا جميعًا خائفين من استخدامهما، ثم سمع أحدهم أن الشرطة أذاعت إنذارًا فى الراديو عن المخدرات التى تحتوى على مواد سامة قوية تؤدى إلى وفاة المتعاطين، لقد اعتدت أن تأخذ جرعتك المعتادة، انظر، إن الناس يموتون من التعاطى، وأقمنا حفلة من أجل تأبين آلان وهيلين، وقد ظل هذا الكيس موجودًا لفترة طويلة، واستغرقت الشرطة أسبوعًا كاملاً لكى يذهبوا إليهم ويدفوا عليهم الباب.

كنت أتصل بوالدتى أحيانًا.

كنت أفعل ذلك عندما أكون وحيدًا، وكان شيئًا خاصًا، ولم أكن أعرف لماذا كنت أفعل ذلك، فلم يعد هناك أى علاقة تربطنى بهما، ولكنى كنت أتصل لمجرد أن أعرف ما إذا كانت أمى على ما يرام، أو ما الذى سيفعلانه، أو لكى أتأكد فقط من أنهما لا يزالان موجودين فى ذلك المكان، أو ربما كنت أقوم بذلك لكى أبرهن لنفسى أنى أستطيع أن أتحمل ذلك الأمر، ويمكننى التعامل معهما هذه الأيام، كنت أعتقد أحيانًا أنه ينبغى على أن أذكر نفسى أننى أستطيع السير فى هذا الطريق الذى اخترته، وأننى لا أزال مصممًا على فعل ذلك، وكنت أدخل الكابينة وأمسك السماعة، وأطلب الرقم، وكانت هى لا تزال موجودة هناك دائمًا، كما لو كانت قريبة منى كل ذلك الوقت، بدون أن أراها طوال هذه الأشهر.

كان لها طريقته الخاصة فى الرد على الهاتف، وكانت تتكلم ببطء، ربما بسبب شرب الجعة، ولكننى أعتقد أنها كانت تنتظر إلى نفسها فى المرأة التى فوق الكنبه فى الطريقة حيث يوجد الهاتف، وهى تعتقد أنها تبدو هادئة بسيجارتها فى

يدها وطلاء الشفا الذى كان يغطى شفيتها، وفستانها يسقط من على كتفها، حقاً-
إنها تظن أنها تبدو هادئة- لقد فقدت شخصيتها كلها بسبب هذا السم، وتظن أن ذلك
يجعلها هادئة.

- "مرحباً" تقولها كما لو كانت تمثل فى فيلم، وكان قلبى يظل يدق كأنه
موتور سيارة.

- "هاى يا أمى".

وسرعان ما تتغير؛ كنت أستطيع أن أشعر بها تتحرك بسرعة، وأن أسمعها
وهى تترك مشروبها وتقف، ثم سادت لحظة صمت، إنها تنتظرنى وتتركنى معلقاً،
لقد اعتادت أن تتعامل معى بهذا الأسلوب المخيف فى تلك الأيام التى كنت أعيش
فيها معها، وكنت أتركها معلقة أيضاً.

انتظرتها حتى تتحدث.

راحت تسأل هل كنت محقاً فى ترك المنزل؟ وكيف جرؤت على عدم
الاتصال بها من قبل؟ وهل أنا فى حاجة إلى أى مساعدة؟، وكم هى تفقدنى، وهل
لدى مكان للإقامة؟، وكيف أنها تسمع دائماً عن أولاد ينامون فى الشوارع وتدعو
كل ليلة ألا أكون واحداً منيم.

ما الذى- من المحتمل- أن الرب يريد أن يسمعه منها؟.

- "لا يا أمى لقد نظمت كل شيء، شكرًا".

- "لكن يا عزيزى هل تحتاج لأى شيء؟".

- "أنا أتصل لكى أطمئن على حالك فقط، إنك لم تتركه إن؟".

- "إنه والدك يا دافيد". ثم سادت لحظة صمت.

- "يا عزيزى أخبرنى عن أحوالك".

وساد الصمت مرة أخرى.

- "أخبرك عن ماذا؟".

- "عن كل شيء".

تملكتنى الحيرة لمدة دقيقة، ثم سمعت مشروبها يجلجل بين أسنانها، وقلت فى نفسى، أوه، حسناً، أنا أعرف ماذا ستفعل.

كان ذلك عاطفياً حقاً، ليس لديها سوى هذه الحيلة الوحيدة، وهى تلعبها دائماً المرة تلو الأخرى، لكنها لن تتجح أبداً فى اصطيدى بهذه الحيلة، إنها نفس اللعبة القديمة دائماً، تتركنى معلقاً، ثم تسألنى بعض الأسئلة الملتوية بطريقة غير مباشرة، أو تذكر بعض الملحوظات التى ليست صحيحة تماماً، لكى تجعلك متوتراً، ويزداد توترك مع لحظات الصمت الطويلة، وينتهى بك الأمر بالهرب ودمائك تغلى، وكل ما تستطيع أن تسمعه هو صوتها، وهى تسحب نفساً من سيجارتها، أو من زجاجة مشروبها، لذا ينتهى بك الأمر بأن تقول أى شيء أو تعدها بأى شيء لكى تجعلها تعرف أخبارك.

وعندما توشك أن تتوصل إليها لكى تقول أى شيء، أى شيء، تقوم هى بإطلاق صاروخ موجه عليك مثل "إنه يضربنى دائماً يا عزيزى..."، أو: "أعتقد أننى أصبت بالسرطان"، أو: "أريد أن أتركه، ولكنى ينبغى على أولاً أن أجد شخصاً لكى يساعدى...".

فَنَقُولُ: "يَا دَاوُدُ" فِي صَوْتٍ مَجْرُوحٍ ثُمَّ تَطْلُقُ عَلَى الصَّارُوخِ بِأَيِّ شَكْلِ: "إِنَّهُ يَقُومُ بِضَرْبِي مَرَّةً أُخْرَى".

- "أنا لا أستطيع مساعدتك يا أمي، يجب أن تساعد نفسك، وينبغي أن تتركى والدي، وكذا شرب الجعة، لن يستطيع أحد آخر مساعدتك بدون أن تساعد نفسك، ألا ترين ذلك يا أمي؟ ماذا أقول لك؟، أقول سأعود يا أمي إذا فعلت ذلك".

لم يكن لدى أى شيء لأقوله له، فقط أزر فى الهاتف "هرررررررر"
بنعومة، ولكن بصوت مرتفع كاف ليسمعه، مثلما اعتدت أن أسمع تنفّسها عندما
تتركنى أعلى من الغيظ، وهى تنفث دخان سيجارتها.

استمر في الاستماع قليلاً ولكن حقيقة... ليس لدى شيء أقوله لأبي، لذا كنت أضع سماعة الهاتف، وأغلق الخط، وأسير في طريقي، وكنت لا أعرف إذا كنت سأفعل ذلك وأحمل عناء التحدث إليهما مرة أخرى أم لا، كنت أعتقد أنني لن أفعل ذلك مرة أخرى ولكنني كنت أعود لأتصل بها دائماً.

وأخرجت الإبرة من ذراعها وأمسكتها بعناية ولفتها فى المنديل الورقى ووضعتها جانباً، إن سالى دائماً دقيقة ورقيقة.

كنا نستخدم دائماً إبراً مختلفة منذ بدأنا فى التعاطى، ينبغى أن تكون حساساً. لقد اعتدنا على التشارك بيننا، وهذه الأيام كنت أشارك تار فقط لأنه لأنه إذا أصابنى شيء كالإيدز فإنه سيصاب به على أية حال. ثم قالت للى مباشرة: "سيكون لى طفل".

- "يا إلهى".

- "أوه، يا إلهى، ما الذى ستفعلينه؟".

وقالت سالى بحزن: "آه يا للى".

إن ذلك فظيع جداً، وقد كانت سالى حاملاً منذ فترة وقامت بعملية إجهاض، وأحست بالآلام شديدة لفترة طويلة بعد ذلك.

قلت: "هل أخبرت الطبيب؟ هل حدد لك موعداً؟".

رمقتنى للى بنظرة حادة فأحسست بنفسى أندفع إلى الخلف فى الفراش، وذلك لأنها كانت عصبية جداً، وهى لم ترمقنى أبداً بمثل هذه النظرة من قبل، لأننا كنا أختين بالروح.

مالت للى نحوى قائلة: "اسمعى يا سيدة أخت، أنت تعرفينه ما الذى يفعله الأطفال الموتى، إنهم يعودون مرة أخرى ويقومون باصطيادك، إنهم يملأون المكان، أنا أراهم، نعم الأطفال الموتى يسبحون على السقف، ويبحثون عن أمهاتهم لأن أمهاتهم ألقين بهم، ولم يكن لديهم حياة...". وظلت سالى تنظر إلى كما لو أنها

(١٩)

جيما

عندما يقوم بإغرائك فلا تستطيع أن ترفض.

إنها البرودة تتزايد وأنت تعرف.

إنه ليس لديك أى شيء لتفقد.

إنك تحتاجه.

لا ليس لديك شيء لتفقد.

أنت فى حاجة إليه.

الأشخاص الوحيدون

كانت للى مرتدية بيجامتها، إنها لن تخرج هذه الأيام تقريبا لذا فهي ليست
فى حاجة لترتدى ملابس الخروج، كانت تنظر إلى نفسها فى المرأة ثم تلقت
لتراقب سالى وهى تنزع الإبرة من ذراعها، وابتسمت هذه الابتسامة الكبيرة
الخاصة بها، الخاصة بللى.

- "كيف أنت يا سالى".

تهددت سالى قائلة: "أفضل".

لم أكن فى حاجة إلى قول المزيد، وكانت لى على الفراش، فنزلت وأخذت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، وتلطم على صدرها، وتحاول إيجاد الكلمات المناسبة، حبست أنفاسى فقط، وعندما تأخذ فى الشجار فلا بد أن تأخذ لك سائراً، وقد كنت مستعدة لأن أخفى تحت الطاولة.

أخيراً نطقت لى: "أستطيع إنهاء ذلك فى أى وقت أريده..."

ضحكت سالى فقط، أقصد، إن ذلك لم يكن مضحكاً لكنه ربما كان كذلك فى ظل ظروف أخرى، لا أستطيع أن أذكر عدد المحاولات التى حاولنا فيها التوقف عن الضحك، فقدت الرقم، لا أعرف لماذا، لقد تعودنا أن يكون ترك التعاطى أمراً سهلاً، ربما لأن أعراض الانسحاب والكف عن التعاطى تصبح أسوأ بعد الاستمرار فى تناول المخدرات لبعض الوقت، أولاً تحدث لك ارتعاشات ثم تحسين ببعض الآلام، ثم تشنجات، تبدأ التشنجات والانقباضات فى أحشائك ثم الشعور بالإغماء والإحساس بأنك تغوصين فى مستنقع كل خمس دقائق، ثم تأخذ أسنانك تؤلمك وتليها عظامك، ثم تشعرين بأنك مريضة بألم فى تجويف المعدة وتثقيبين ما فى معدتك، وكل ما يستلزمه الأمر هو مجرد إبرة صغيرة والسيدة/هيروين وسيجعلونك تشعرين... ممم، وظلت لى تقول ذلك فترة طويلة.

شعرت كأننى قد تلقيت صدمة عنيفة لأنه لم يحدث أبداً من قبل أن ذكرت لى أنها كانت تريد طفلاً، أقصد، بغض النظر عن المخدرات، فإن الطفل يمكن أن يكون طفلاً لأى شخص آخر.

رمقت لى سالى بهذه النظرة، لقد نظرت... وكانت سالى جالسة على السرير ولكنها بدأت فى النهوض لأن لى بدت كما لو أنها كانت ستجثم فوقها...

قالت كل ذلك، بدأت أتذكر كيف أن للى كانت هادئة عندما قامت سالى بالإجهاض، لقد ابتسمت فقط ولم تقل شيئاً، الآن بدت سالى غاضبة وقلت فى نفسى أواه...

- "أنا أقوم بقتل طفلى، إنه طفلى، لن يقوم أى أحد بقتل طفلى".
- "أنا لم أقتل طفلي".

- "أنا قتلت سأحظى بطفل، سأحظى به، سيكون هناك طفل.
طفل يا جيما...".

نظرت إلى سالى، وقد بدت خائفة وقالت: "أنت فى اللعبة وأنت مدمنة يا للى، يجب أن تقومى بالإجهاض".

- "هل تقولين لى إننى يجب أن أقتل طفلى؟ هل تقولين لى ...؟".
- "ينبغي أن تقومى بالإجهاض من أجل طفلك".

- "أنت تريد أن تقتلى طفلى؟ أنت تريد أن تقتلى طفلى؟ أنت تريد قتله؟ هيا افعلى هيا إذن أنت ستقتلينه، افعلى ذلك الآن".

- "طفلك مدمن، طفلك بداخلك وأنت مدمنة وهو ملىء بالمخدرات مثلك، هل تريد أن تلدى مدمناً؟ هل ذلك كل ما تريدينه؟ هل ذلك مقدار محبتك له هذا اللعين؟".

كادت عين للى تخرج من رأسها: "أنا مدمنة لعينة. أنت تخبريننى أنه من الأفضل أن أموت لأننى أنا مدمنة؟ هل تقولين لى ذلك؟".

- "أنا أخبرك أنه ليس عدلاً لطفلك أن تحملى به بينما جسمك ملىء بالمخدرات، أى أم هذه...؟".

ثم التفتت لى فقط وخرجت من الغرفة.

كان ذلك فظيماً.

جلست سالى وأشعلت سيجارة، لقد وقفت هناك فقط، وقلت: "قلندخن سيجارة"، وأعطتني سيجارة، راحت تنزع الغرفة ذهاباً وإياباً وأنا أدخن، وأحاول أن أهدئ من روعى وتعاطت سالى القليل من المخدرات ثم قالت: "أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب".

قلت: "لا تذهبي، لا تذهبي، سيكون الحال على ما يرام، سيكون كل شىء على ما يرام".

أصبح وجهها شاحباً، ثم أصبح مزاجها أسوأ من مزاج لى، إنها لم تجر هنا وهناك وهي تصرخ، ولكنها كانت فى نفس حالة لى السيئة، وشغلت لى بعض الموسيقى فى الحجرة المجاورة، وأخذت ترقص عليها، وتشعر بجمال الموسيقى، كانت أغنيتنا المفضلة "ترصدوا"، وأصبح صوت الموسيقى يملأ المنزل، إلا أن تلك الموسيقى لم تستطع أن تضىف علينا أى مشاعر ولم يستطع الشعور بالراحة أن يتسلل إلينا من خلال باب الغرفة بعد، ولكننى استطعت أن أتخيل لى وهى ترقص فى الغرفة الأمامية وهى تحاول استعادة نفسها.

قلت: "انظرى! ستكون بخير".

وكنا مستغرقتين فى الحديث عندما نفتح الباب ودخلت منه لى، كانت ترقص وتحرق فى وفى سالى، ولكنها كانت ترقص كأنها تحلق فى عالمها وفضائها الخاص، وكانت تغنى: "ترصدوا، ترصدوا واختبئوا...".

وأخذت لى بعض الأشياء من على الطاولة الخاصة بها، وبدأت فى ابتسامتها المعهودة... ثم جاءت وجلست على السرير وأحاطت سالى بذراعيها.

- "حسنا يا سالى؟ حسنا؟".

- "حسنا، أنا بخير".

- "حسنا، يا سالى، سنعود أصدقاء مرة أخرى، أختان بالروح...".

- "نعم، أختان بالروح... هه؟" على الرغم من أنه كان يبدو على سالى أنها غير مقتنعة تمامًا.

استيقظت لى وبدأت فى السير ذهأبًا وإيابًا فى المساحة الموجودة بين السرير والحائط، وقالت: "سيكون هناك طفل، حقًا إنها حقيقة بالفعل، إن كل ذلك كان من أجله. حقًا... طفل، حقًا؟". فكرى فى ذلك، سأكون أمًا، كل شىء سيتغير حقًا، وكما قالت سالى لا يمكننى التعاطى إذا كنت سأصبح أمًا. انظرى؟ لا أستطيع، لا يمكنك القدوم هنا للتعاطى عندما أصبح أمًا. انظرى؟.

قلت: "نعم، نعم، يجب أن تحتفظى بهدوئك".

- "سيكون هناك طفل، يا سالى، سأحصل على طفل، سأكون أمه وستكونين أمه، وكذا جينا وسنكون كلنا قد كفنا عن الإدمان لنحيا الحياة الحقيقية...".

نظرت إلينا وهى تتمنى أن نفكر مثلها وقالت: "إنكما لن تأتيا هنا للتعاطى، إنكما لن تقوموا بإعطائى مخدرات عندما أكون حاملًا...".

قلت: "لا، حقًا، لا"، حتى سالى كان تومئ برأسها.

- "انظري"، كانت لى ترسم ابتسامتها العريضة على وجهها، عندما بدأت فى الشعور بتحريك الطفل فى أحشائها.

- "سيتم تغيير كل شيء، لن تدخنوا ولن تتعاطوا أى مخدرات عندما يكون هناك أطفال، ذلك جيد لكن الآن يجب أن نتحول إلى شيء آخر...".

بدأت أرى ما الذى كانت عليه، وأخذنا فى الحديث، لقد تغيرت بالفعل لمدة أكثر من شهر، سيكون لدينا جميعاً طفل فى المنزل من أجل الاحتفال بالكريسماس.
طفل؟

ذلك يعنى أنه ينبغي عليك أن تعيش حياة أخرى...

يمكنكم رؤية ذلك، أليس كذلك؟ لى لا تستطيع أن تتعاطى ولن نستطيع ذلك أثناء وجود طفل ينمو فى أحشائها. إن ذلك لن يكون عدلاً، وليس عدلاً أن تفعل كل هذا بمفردها دون مساندتنا لها، لذا فسنقوم بهذا العمل معاً، تماماً مثلما كنا نقوم بفعل كل شيء معاً منذ أن تقابلنا، بصرف النظر عن اتحادنا مع لى، بصرف النظر عن اتحادنا مع الطفل.

وكانت هذه هى الطريقة التى حدث بها ذلك التغيير فى حياتنا. لأن كل ذلك بدأ فى أن يكون له معنى، وبعد عدة أيام لم يستطع أحد أن يتكلم عن أى شيء آخر.

بدأت لى وروب بالفعل فى وضع الخطط، وكان يجب على روب أن يجد عملاً، وينبغي علينا أن نرحل من طريق المدينة، يجب أن نواجه ذلك، إنه أمر جميل، وبدأت لى تدخل فى اللعبة بجدية، وستبدأ فى زراعة الخضر فى الحديقة، وفى تربية الدجاج وعمل كل شيء.

للى ستكون أما- بالطبع- بالطبع، لا أحد يمكنه أن يكون أما وأبا سوى هى وروب، ولكن الطفل سينتمى إلينا جميعاً، سيقوم روب وتار بعمل أرجوحة فى الحديقة، أرجوحة واحدة صغيرة من أجل الطفل، حسناً، وذلك بعد فترة طويلة عندما يكبر الطفل بما فيه الكفاية، ولكنه لا يزال صغيراً، وسيذهبون بالخارج ليجثوا فى الصناديق والبراميل عن جاكيت وكل مستلزمات الطفل الأخرى، وسنقوم أنا وسالى بشغل خيوط الصوف- تخيل! أنا أشتغل تريكو؟ وأول شىء- الشىء الأكبر- هو أننا سنتوقف جميعاً عن التعاطى، هكذا، كان ذلك الأمر جيداً لفترة ما. لا، أنا غير نادمة على ذلك. لماذا يجب أن أندم؟ حسناً وهناك دائماً ضحايا ومصابون، دائماً يوجد عند عبور الطريق ضحايا ومصابون ولكن ذلك لن يدوم طويلاً، إنه وقت... وكلنا نعرف ذلك منذ فترة طويلة، كانت مسألة وقت فقط لمعرفة الشىء الصحيح والوقت المناسب، والآن قد حان ذلك الوقت، خصوصاً بالنسبة لللى.

إن الطريقة التى أنظر بها إلى الأمر هى أنه كان لدى مشروع حب، لكنه انتهى الآن، مشروع حب بينى وبين المخدرات وقد انتهى ذلك. كان ذلك أمراً صائباً جداً ويجب أن نتخلص جميعاً من ذلك الأمر عن طريق هذا الطفل الصغير، أنتم تعرفون؟ إنه مخلص مثل المسيح الطفل.

لكن هذا الطفل شىء مختلف، أليس كذلك؟.

أنا أتطلع إلى الإقلاع عن الإدمان، وأن يصبح جسمى نظيفاً مرة أخرى، والشىء المحبط بالنسبة للمخدرات هو أن الامتناع عنها يجعلك تشعر بالتحسن أولاً، ولكن بعد قليل، بعدما يعتاد جسدك على استخدامها تبدأ فى الاحتياج إليها لكى تظل طبيعياً، أنت تعرف؟ لذا فإنك تستيقظ وتشعر بالقرع لأنك تنهاوى، مما

يجعلك تعود لتتناول بعض المخدرات لكي تشعر بأنك على ما يرام، وذلك هو كل ما ستشعر به، إنها مثل الدواء، وستصبح مثل سيدة عجوز يجب عليها أن تتناول أقراصها في الصباح كي تستطيع أن تعيش يومها.

لذا فإن ما تفعله حينئذ هو أن تتناول المزيد والمزيد من المخدرات لمطاردة هذا التتين، مطاردة تلك القذائف والخطبات التي تدق في رأسك، والجرى وراء ذلك الإحساس بأنك على ما يرام، وغالبًا ما تتناول المزيد والمزيد.. ثم تمرض وتتوقف لعدة أيام.

ذلك هو الشيء السيئ حقًا، لكن عندما يكون جسمك نظيفًا خاليًا من المخدر فإنه سوف يعمل بكفاءة وعند ذلك تستطيع تلقي الخطبات وتحمل الألم... ممم.

كنا جميعًا نتحدث عن هذا الأمر وأدركنا أننا كنا- جميعًا- نشعر ونفكر بنفس الطريقة، وأخذت أشعر بالفزع، وكان روب وللى يقومان بالكثير من الأعمال كل يوم وقد قضينا أنا وتار أيامًا مليئة بالراحة على الأقل.

لكن تار كان يفزعني بالفعل، لقد أصبح مولعًا بالانتقاد والسخرية، أنتم تعرفون تار، كان دائمًا فرحًا بالأشياء وعاطفيًا جدًا معي، كان يحضر لي زهرة، أو نخرج معًا لمشاهدة النجوم ليلاً، وكان كل شيء مدهشًا بالنسبة له، لكنه لم يعد يهتم لمثل هذه الأشياء الآن، وقد أصبحت لا أفهمه هذه الأيام.

أنا لا أشعر بأنني قد تغيرت، فيما عدا ذلك الشعور بالتعفن والفساد في كثير من الأوقات، ولكنه كان كذلك.

أعتقد أحيانًا أنني كنت أفضل تار القديم كما كان من قبل، لكن ذلك لم يكن صحيحًا طبعًا، لأنه كان مقلعًا ومزعجًا ومشوش الذهن، لكن...

أما الشيء الآخر فهو أنه يكذب حتى بشأن المخدرات، أنتم تعرفون؟ فمثلاً كان يقول لى من وقت لآخر أنه لم يعد يوجد لديه أى مخدرات، وأنا أعتقد، اللعنة، إن ذلك يعنى السقوط، كان يتسلل خارجاً، وعندما يعود كانت عيونه تلمع مثل الزجاج، فأقول له: "لقد تعاطيت بعض المخدرات"، فيعترف بذلك.

وهذا ما حدث فعلاً فى اليوم التالى، فقد جلس ببتسم ويومئ فقط ثم قال: "نعم، نعم لقد تناولت القليل..."، وأخذ فى الشرح وأنه لم يكن لديه الكمية الكافية لاثنتين، وأنا إذا كنا قد تشاركنا معاً فيها كان كلانا سيشعر بالاستياء، لذا فقد فكر فى أن يوفر علينا المشكلات وتناولها بمفرده، وكان جازاً فى ذلك. وقد أقنع نفسه فعلاً بأن ذلك كان سلوكاً حساساً، وغضب حقاً عندما لم أوافق على ذلك.

قلت له: "كان يمكنك إعطائى هذه الكمية".

فرد على: "كان يمكننى أن أفعل، ولكننى لم أفعل"، وابتسم لى كثنبان، ثم استمر فى الحديث عن أنه كان فى حاجة لتلك الجرعة أكثر منى، ثم ذهبت إلى صالة البغاء لتدليك الرجال المسنين فى الصالة، هل تار يظن أن ذلك العمل كان ممتعاً؟ هل يعتقد أننى كنت أحب فعل ذلك؟ ألا يعرف أننى كنت أفضل أن أكون بعيدة عن هذا الأمر، وأننى كنت أتمنى التوقف عن فعل ذلك، حتى عندما كنت أمارس ذلك العمل مع زبائن صالة البغاء كنت أتمنى أن أتوقف عن ذلك.

ولكن ذلك لم يكن مهماً لأنه كان يصدق أى شىء تحدث به نفسه، وهو يقول: "أنا كنت أحتاج لتلك الجرعة يا جيما" ... آه.

تصوروا! طفل... بالفعل، لقد جعلنى ذلك مشتةً تمامًا، ماذا لو أصبحت حاملاً؟.

يمكننا أنا وللى أن نلد الطفلين ونربيهما معاً، وسيكونان صديقين جيدين بحق، كما كنت أنا وللى دائماً، أنا أعرف أنه لا يمكن التنبؤ بالحال التى سوف يصبح عليها أبنائنا، ولكننى أعتقد حقيقةً أننا سنعيش جميعاً بالقرب من بعضنا، وأنهما سيرتبطان معاً ليكونا صديقين، أنا الآن فى السادسة عشرة ويمكننى الاستمرار فى العيش معتمدة على الإعانات التى كنت أتلقها من الآخرين، كما يمكننى أيضاً الاستمرار فى عملى الحالى...

سيكون ذلك ظريفاً، وسأستمر فى القيام بذلك العمل، وقد ظلمت أقول لنفسى إن هذا العمل مجرد مهنة مثل غيرها من المهن، إنها نقود سهلة، إنه ليس أسوأ من أى عمل آخر، لكن يوجد لدى الناس بعض التحامل ضد الجنس، إلا أنه مجرد شىء تفعلينه بجسدك، وأنا أبهج نفسى به، وأفكر أحياناً أننى موجودة هنا لكى أجعل هؤلاء الناس سعداء، وأنا أفعل ذلك، وفي الأيام التى كان يسير فيها العمل سيراً حسناً كنت أرى هؤلاء الأشخاص وهم يدخلون إلى هذا المكان مثل الكلاب ويخرجون منه كالأمراء، دعنا نواجه ذلك الأمر، إنهم لن يستطيعوا أبداً الحصول على فتاة مثلى إذا لم يتمكنوا من أن يدفعوا لها مقابل ذلك، لكن... حسناً، إنه لا يزال عملاً، أتعرفون؟ أستطيع أن أفكر فى طرق أفضل لقضاء وقتى، لكنها نقود سهلة، هذا هو كل ما فى الأمر.

أنا أفكر فى التوقف عن التحايل والخداع فى العمل، أقصد أننى أفكر فى القيام بالجنس بصورة كاملة، سيكون ذلك أسوأ بالنسبة لى، قد تجنى الكثير من

المال، لكنك تظل تؤدي عملك بشكل جيد، ربما عندما نكون جميعًا قد تخلصنا من تعاطي المخدرات كلية، فسأكف عن فعل كل ذلك وأحظى أنا أيضًا بطفل.

هل أخبرتكم أن جسم لي قد تحول إلى اللون الأزرق في اليوم التالي؟

كان ذلك مخيفًا حقًا، وكنا جميعًا موجودين في الخلف، في حجرة النوم نتعاطي المخدرات، ونأخذ أدوارنا في التعاطي، كما كان يوجد أيضًا بعض أصدقائنا في الغرفة الأمامية، وعندما كنا ننتهي من التعاطي، كنا نذهب لرؤيتهم، وكان دور لي هو الأخير، لذا كانت لا تزال مستمرة في التعاطي، وأعتقد أن ذلك كان غريبًا بالنسبة لها في ذلك الوقت لأن لي لم تكن تنتظر أبدًا الدور الأخير في تعاطي المخدرات.

ذهبت إلى الداخل لأنني تركت سجائري هناك، وكانت لي راقدة على السرير فظننت أنها نائمة، ولكنها بدت في ذلك اللون الأزرق الغريب، حملقت فيها بدون أن أعى ما الذي أنظر إليه حتى رأيت الإبرة مغروسة في ذراعها، ثم تذكرت ما قاله لي تار عن آلان وهيلين، كانت الإبرة لا تزال مغروسة في جسمها، أترون، وكان هناك قليل من الدم...

صرخت: "تار، روب، تار، روب"، كنت أعتقد أنها ماتت، قفزت فوق السرير، ثم تذكرت الدم، من المفترض أن يكون ذلك خطرًا، يمكن الإصابة بالهواء في مجرى الدم وإذا التفت هذه الفقايع حول مخك... لذا نزعت الإبرة بسرعة من مكانها مما جعل الدم الأزرق يخرج من هذا الثقب، كنت أفكر في آلان وهيلين، ولم أفكر - أبدًا - أن ذلك يمكن أن يحدث لأي واحد منا، دخل روب ثم تار، وأخذت الزرقة تزداد وتزداد وبسرعة.

دفع تار ذراعها للخلف على السرير؛ لأنه كان يريد الضغط على قلبها ولكن روب كان يجذبها لأنه كان يرى أنها يجب أن تعتدل، وأخذت في لطم وجهها بشدة فاهتز جسمها فجأة.

أخذت لى نفسين من الهواء خلال ذلك الصمت الذى ساد بعد ذلك، وقد استطعت سماعهما، كان النفسان ضعيفين جدًا.

كنا قد توقفنا جميعًا عن التنفس وقتها، وكذلك هى، لطمتها على وجهها مرة ثم مرات عديدة فأخذت نفسًا آخر عميقًا هذه المرة، وتحول خذاها إلى اللون الوردى.

ثم أوقفناها على قدميها، وبدأنا فى تمشيتها داخل الغرفة، وبدأت فى المشى، كانت تحاول أن تقول شيئًا ما لقد كنت مرعوبة لأن ذلك كان غريبًا، وأعتقد أنها تلقت رسالة ما من العالم الآخر، لأنها كانت قد ماتت بالفعل حين توقفت عن التنفس، كما توقف قلبها كذلك، لقد أصابنى ذلك الشعور الفظيع بأنها عائدة من الموت برسالة رهيبة إلينا كما فى قصص الرعب، لقد أرادتهم أن يدعوها وشأنها ويتركوها تموت فعلاً... ثم بدأت الكلمات تتضح أكثر وكل ما قالته هو: "اتركونى بمفردى، دعونى وحدى...".

تعافت لى بعد ذلك، وبدأت تعود إلى وعيها، وكان ذلك مقلقًا حقًا لأنها كانت تبدو طبيعية، أقصد، لو لم نسارع بإنقاذها لعدة دقائق قليلة أخرى كانت ستموت، وها هى الآن تبدو مثلما كانت لى دائمًا، عادية.

وعندما تخلصت من تأثير المخدرات قليلًا فيما بعد، حاولت أن تجعل من ذلك مجرد نكتة قاتلة: "عش بسرعة ومِت صغيرًا"، وقد ظلت لى تقول ذلك، لم

يكن ذلك مضحكاً ولكنه كان مزعجاً بالفعل لأنها كانت تضحك، فقد وجدت ذلك مضحكاً، كنت أعتقد بأمانة أنها لا تهتم للموت واعتبرت ذلك الأمر كما لو كان مغامرة أخرى من مغامراتها الكثيرة.

جلست لى فى الخلف وأخذت جرعة أخرى قليلة ولكن ذلك النوع كان أقوى من المعتاد، وكنا جميعاً نعلق على ذلك فى الغرفة الأمامية بينما كانت هى تموت فى الغرفة الخلفية.

الشيء الفظيع حقيقة كان... أقصد الشيء الفظيع الآخر كان... انظروا، كان ذلك تقريباً منذ أسبوعين مضت. لم يقل أحد أى شيء، أنا أعرف، أنا أعرف، لقد كان الحمل مجرد قطعة من الهلام فقط فى ذلك الوقت، لم يكن شخصاً أو أى شيء. ولكننى ظلمت أفكر فيما إذا كان داخل جسدها قد أصبح أزرق أيضاً، سيكون من المؤلم إذا لم يكن الطفل بخير، أنا أعرف أننى غبية، فهى فى أيام حملها الأولى، وإذا حدث أى شيء خطأ فمن المحتمل أن تفقد ذلك الحمل، وسيكون ذلك مؤلماً جداً، وإذا حدث وفقدت لى حملها فسأظل أفكر فى ذلك طوال الوقت.

تخيلوا... طفل.

(٢٠)

روب

كنا ذاهبين إلى ديف ليقود السيارة بنا ولكن ذلك كان مخاطرة منا؛ لأنه لم يكن يتخلى عن أى شيء، لماذا يجب عليه ذلك؟.

لم أحصل على رخصة قيادة بعد ولكننى كنت أقود السيارات منذ أن كنت طفلاً، لقد أصبحت فى السابعة عشرة الآن، وكان يجب أن أدخل اختبار القيادة، لكن كان لدى أشياء أهم من ذلك.

كان الكوخ الذى سنذهب إليه ملكاً لأحد أصدقاء ونيدى، ونيدى هى أمى، كان ذلك الكوخ مكاناً لقضاء الإجازات، وكانت الإجازات تبدأ فى أبريل، لكن الوقت الآن كان لا يزال مبكراً قليلاً، وكان ذلك فرصة وضرية حظ بالنسبة لنا، لأن الكوخ كان مجاناً هذا الأسبوع، طوال الأسبوع، وقد اعتادت ندى أخذى إلى هناك فى الشتاء عندما كنت صغيراً، كنت أشعر بالملل من البقاء فى هذا الكوخ فى ذلك الوقت، ولكن عندما أخذت أفكر فى ذلك الآن رأيت أنه من الأفضل أن أذهب بعيداً لعدة أميال إلى حيث الريف الجميل بلا أشخاص ولا مشاجرات ولا مشكلات، وقد أحببنا جميعاً ذلك المكان، وكنت أنا نفسى أتطلع إلى الذهاب إلى هناك حقاً، وكنا نقود السيارة على طول الطريق، وأنا أحس كما لو أننى آخذهم إلى عالم آخر.

كنا قد تعاطينا آخر كمية مخدرات معنا قبل انطلاقنا، ولم يبق لدينا إلا كمية ضئيلة فقط، كمية لا تكفى إلا للذهاب إلى فراش النوم فى تلك الليلة، لذا ففى الصباح كنا نبدأ من الصفر مباشرة، وكانت لى تسمى تلك الحالة ركوب المخ العارى، ركوب الحياة بلا شىء...

كان تار جالسًا بجانبى يطالع الخريطة، أما لى وجيما وسالى فقد كن يعبثن فى المقعد الخلفى للسيارة، وكان ذلك شعورًا عظيمًا، مشاهدة بريستول وهي تمرق بسرعة أمام أنظارنا والوصول إلى منطقة م٤، ورؤية الريف، لا أعتقد أن أيًا منا قد رأى الريف منذ سنتين أو ثلاث سنوات مضت على الأقل، تلك الحقول الخضراء، وذلك الفضاء الفسيح الممتد أمامنا بلا أحد وبدون بشر، إنها الأشجار، والأشجار فقط، لقد تركنا كل شىء خلفنا ومضينا، كل التعب والعناء، كانت كلمة الطفل هى التعويذة السحرية، وكانت لى هى الساحرة التى تطلقها، ما الذى فعله ذلك بى؟ ساحرة؟ أعتقد أنها ساحرة حقًا، وكذلك كنت أنا وأبى ومعى عصاتى السحرية.

وقد اندمجت جيما وسالى فى الموضوع أيضًا، وكان لدى سالى قليل من الشك فى البداية، لكنها الآن أصبحت مثلنا جميعًا، لقد كانت فرصة حقيقية، وكانت هى وجيما يتحدثان عن رغبتهما هما أيضًا فى الحصول على أطفال.

قلت: "سيصبح الأمر مثل مزرعة الأطفال بهذا الشكل..."، ثم انفجرنا جميعًا فى الضحك، لم أكن أدري، لكننى كنت أعرف لى أكثر من أى فرد آخر، انظروا، هذا الطفل الذى يتحدثون عنه، حسنًا، إنه جزء من الحياة، أليس كذلك؟ وسواء كان ذلك شيئًا جيدًا أو سيئًا فإن الأطفال يأتون إلى الحياة، ولكننى لم أكن متأكدًا من مدى عظمة الحصول على طفل فى ذلك الوقت، لذا احتفظت بفى مغلقًا، ولم أعلق

على الأمر على أية حال، أنت لا تعرف ما الذى سيكون عليه الأمر، خاصة مع لى، فهناك الكثير من الحقائق بالنسبة لها، وكانت الفتيات جالسات فى المقعد الخلفى ينشدن أغنية:

لا مزيد من الإبر.

لا مزيد لأجلي.

لا مزيد من الإبر.

أنا الآن حرة.

ثم أخذن فى القهقهة والتضارب وتبادل اللكزات، واحدة تلو الأخرى، ثم بدأن فى ترتيل أنشودة أخرى:

لا مزيد من الزبائن.

لا مزيد من أجلي.

لا مزيد من الزبائن.

لأننى الآن حرة.

وبعد أن انتهين من مزاحهن استسلمن للسكون، فقلت لهن: "أنتن يا جماعة هل ستتوقفن طوال حياتكن".

قالت لى: "لا، إن ذلك أحد الأشياء التى سأستمر فى فعلها لأننى ثمينة وغالية جدًا، أنا...".

لم يكن تار منتعشاً أو مرخاً مثل الآخرين، ولا أعرف لماذا كان فى هذه الحالة، وكنت منزعاً هل لأنه ليس طفله؟، كان يمكنه أن يكون أكثر دعماً لها، وكانت لى تسلط نظرها عليه، وكنت أعتقد أنها ستذهب إليه فيما بعد إذا لم يأت هو إليها، كان منهمكاً فى ذكر عدة أشياء من التى يقدمونها للمواليد فى المستشفيات، أنتم تعرفون، عندما يحين موعد الولادة فإنهم يعطون السيدات تلك الأشياء لوقف الألم وللمساعدة على بدء عملية الولادة، وأحياناً أشياء أخرى لكى يظل الطفل يتنفس، أقصد أنهم يبنجون نصف السيدات أثناء عملية الولادة.

قلت: "لا أعتقد أن الوقت قد حان الآن للذهاب للمستشفى، لأن ذلك سيجعل من الصعب على لى تعاطى المخدرات، خاصة إذا أخبروها عن تلك الآلام التى ستشعر بها هى وطفلها فى المستشفى".

نظر إلى تار فى لحظة خاطفة، لكن فمه ظل مغلقاً بعد ذلك، لم يكن لديه سوى القليل من اللقافات... وبدأ لى أنه كان قلقاً قليلاً، وقضينا أغلب الوقت فى التحدث عن الطريق.

لا مزيد من الأعمال اليدوية.

لا مزيد لأجلى.

لا مزيد من المهن.

أنا الآن حرة.

تحدثنا جميعاً عن مدى عظمة توقفنا عن تعاطى المخدرات، كنت أراقب وأفكر من الذى سيقوم بذلك، من الذى سيقوم بذلك؟.

لا مزيد من الإدمان.

لا مزيد لأجلى.

لا مزيد من الإيمان.

أنا الآن حرة.

وكان الظلام قد حل عندما وصلنا إلى هناك، إلى كوخ "جريفين"، وعندما نزلنا من السيارة ظللنا فترة واقفين على النجيل الأخضر، كان الظلام والسكون شديدين جدًا، مثل الوقوف على ثل في الفضاء الخارجي، لم نتمكن من رؤية أى شيء ولكن كان يمكنك الشعور بذلك الاستمرار وتلك الأبدية التى من حولك.

قال تار: "إن ظلام الدنيا هنا مثل ظلام الطريق إلى النجم المجاور".

حقًا. لقد كانت الدنيا مظلمة مثل الظلام نفسه، ولم يكن يوجد أى شيء يتحرك، لا صوت، وإذا كنت أنفاسك فلن يوجد أى شيء، لقد كان ذلك مدهشًا حقًا بعد البقاء فى بريستول طوال هذه السنوات؛ ففى بريستول كان يمكنك سماع كل ذلك الضجيج؛ أبواق السيارات أو أصوات الناس وهم يقومون بأعمالهم، أما هنا فلم يكن هناك أى شخص يقوم بأى عمل على الإطلاق على بعد عشرين ميلاً من هذا المكان.

فكرت أننى فى الغد سأكون قادرًا على عمل أى شيء، أظن أنه كان نفس شعورنا جميعًا، كان داخل الكوخ أصغر كثيرًا مما كنت أتذكر، وكانت هذه الغرفة الصغيرة هى غرفة الجلوس أما غرفتنا النوم والمطبخ فكانت ملتصقة بخلفية الكوخ، وكانت دورة المياه خارج الكوخ، وبدا الكوخ مثلما كان دائمًا وكأنه بلا زمن، وكان الجو باردًا، أبرد فى الداخل من الخارج، كان هناك القليل من جذوع الشجر متروكة فى الطريق بجوار المدفأة، فذهبنا أنا وتار للخارج وجلبنا المزيد من الخشب

وتبادلنا قطعها بينما أعدت الفتيات بعض الشاي، وأخرجن الأغراض من السيارة وربّنها قليلاً.

وفى كل مرة كنا نضرب فيها على الخشب بالبلطة كان يمكنك سماع الصدى يأتى بعد عدة ثوان.

قلت: "إنها الجبال".

واشتركتنا معاً فى الظلام، وأشعلنا الضوء فى الخارج على التل، ولكن لم نستطع رؤية أى شىء ، لقد كانت الجبال بعيدة جداً.

قلت: "إنها موجودة فى الخارج هناك فى مكان ما".

فقال: "هل يقفون حولنا ويشاهدوننا؟".

قلت: "لا إنهم لا يلاحقوننا".

قال: "هل تعتقد أنهم ودودون؟".

قلت: "نعم إنهم حقاً ودودون".

كانت كل الجبال بلا أى ضوء، وكان هناك النجوم أيضاً، كانت ليلة صافية حقاً، ولكن لم يكن هناك قمر، أطفأنا المصباح، ووقفنا على النجيل الرطب ننتظر أن تتعود عيوننا على الظلام، ولكن الظلام كان شديداً ولم تستطع عيوننا أن تتعود عليه أبداً، واستعنا بالتقوب التى فى السماء حيث لم يكن هناك أى نجوم لمحاولة التعرف على مكان الجبال، ولكننا لم نتمكن أبداً من ذلك، لقد نجحت هذه الجبال فى إخفاء نفسها تماماً.

قلت: "ما الذى تعتقده بالنسبة لها؟".

قال: "لقد استطعت أنت العيش هنا من قبل".

ضحكت: "سوف تمل فقد كانت هذه العيشة تصيبني بالجنون عندما كنت صغيراً".

قال: "لا... لا لقد أحببت هذا المكان فعلاً".

قلت: "كن صادقاً مع نفسك، إنك لم تفكر كثيراً في هذه الفكرة، هل فعلت؟".

كنا واقفين بجانب بعضنا، وكل ما استطعت أن أخرجهُ فقط كان هو هذا الصوت الشجي.

قال: "لا أعتقد أن أى شخص يريد أن يعيش هنا حقاً".

انتظرت.

أعتقد أنه يمكن ذلك الآن... ربما يمكننا فعل ذلك، فيما استطعت أن أشعر به ينظر إليّ، كان غريباً، لم أستطع رؤية أى شيء ولكننى استطعت أن أشعر به. تساءل قائلاً: "وماذا عنك أنت؟".

ضحكت "أوه، نعم، حسناً، سنفعل، ألا يجب علينا فعل ذلك من أجل لى؟".

أنا شخصياً كنت مصمماً على الاستمرار فى ذلك، وكان لدى كمية صغيرة من المخدر فى جيبى لا يعلم بها أحد، وكدت أفكر فى إلقائها بعيداً، ولكننى لم أرد إتلاف الأشياء، أنا فاشل قليلاً فى ذلك، وأصبحت على ما يرام بعد ذلك، ولكننى كنت فى حاجة إلى شيء يجعلنى أهدأ، يلزمك أن تجد أفضل طريقة للاستمرار فيما أنت فيه، وكانت هذه الكمية الصغيرة هى الشيء الصحيح والمناسب لى.

وقفنا برهة لناخذ أنفاسًا عميقة من الهواء، كان الهواء باردًا ونقيًا، يمكنك الإحساس به وهو ينساب إلى رنتيك، ويجعلك الشعور به، وهو يسرى في داخلك، في حالة من السعادة والنشوة، ثم توجهنا للداخل لإشعال النار، كان لدينا جميعًا بعض الجرعات القليلة من المخدرات، وقليلًا من الشراب في تلك الليلة، ليس الشيء الكثير، علبتان من البيرة، لأن آخر شيء تريده عندما تهدأ هو أن تستيقظ وأنت تشعر بتلك الآلام البغيضة الناتجة عن الإسراف في شرب الكحوليات.

استيقظت مبكرًا في الصباح، وسألت للى: "هل تريدان قدحًا من الشاي؟".

ابتسمت بنعم، بدت جميلة جدًا وهى راقدة فى الفراش، قبلتها وخرجت إلى المطبخ.

كان نار وجيما قد استيقظا نوا، وكانا جالسين فى الخارج يشربان قهوة، وناديا على لآتى وأرهما فخرجت لهما.

كان ذلك مدهشًا، ذلك الهواء الناعم النقى، الآن أستطيع أن أرى كل ذلك، أميال وأميال من الجبال والتلال والغابة، كان يوجد دبور يدور فى الهواء، وطيور صغيرة تطير حول النيران قريبًا منا، لم يقل أحد أى شيء، حملقنا فقط وارثشفنا مشروبانا، ثم ذهبنا لأوقف للى، وجلست على كومة من جذوع الشجر، وأخذنا ننظر وننظر فقط في تلك الأشياء، وكأنك ترص أشياء فوق بعضها، كنت أعتقد أنه يمكننى رص تلك الأشياء فوق بعضها إلى الأبد بدون أن يمتلئ المكان.

ربت للى على بطنها قائلة: "إن ذلك كله من أجلك أيها الطفل الآتى، نعم".

وضحكنا جميعًا، كنت أعتقد أنها فتاة محظوظة.

أعددتنا إفطاراً كبيراً، لحم وبيض وكل ذلك، ثم ذهبنا للتمشية، كنا جميعنا نشعر بالقليل من الهبوط، ذلك الشعور الذى تشعر به فى بداية ترك التعاطى، وبدأت سالى فى هذه الأثناء كما لو أنها كانت فى بريستول، حيث شعرت ببعض التوعك ولكنها أصبحت على ما يرام بالخارج، وقد ساعدنا شعورنا بأن الهواء كان جيداً جداً ونقياً على التحسن والإحساس بأننا لا نعانى من أى شىء، على الإطلاق، وكان من الخطأ حقاً النظر للوراء.

سرنا فى هذا المساء هابطين من على التل، وبعد قليل أصبحنا فى الغابة، شجر كبير طويل يتخلله الكثير من الضوء، ورأينا سناجب وطيوراً، لقد كان ذلك جميلاً حقاً، ثم كان الصعود إلى أحد التلال مرة أخرى، ولم يكن أى واحد منا قد سار فى مثل هذه التلال منذ سنوات، على ما أعتقد، ثم هبطنا تلاً آخر، وفى هذه المرة أصبحنا فى مزرعة بها أشجار مربوطة معاً، لم يكن ذلك جيداً لأنه من صنع البشر، وكانت المزرعة مظلمة تماماً، قد ربطوا هذه الشجيرات معاً واستمررنا فى السير.

إنها بعض الغابات على ما أعتقد، كانت كلها ميتة، أشجار صغيرة ميتة مرصوفة فى صفوف صغيرة، مثل مصنع شجر، ولم يكن هناك شىء ينمو أسفلها، ولا فيما بينها أيضاً، كما لو كانت هذه الشجيرات الصغيرة قد سممت الأرض، وكنت على ما يرام حقاً، نظراً لوجود كمية صغيرة من المخدرات فى جيبى، أنتم تعرفون، كنت أبلل أطراف أصابعى فقط وأصقها بها، لأن الكمية كانت قليلة لا يمكن استنشاقها، ولم أستطع حتى ملاحظة الآخرين من حولى، كنت أفكر فى أننى ربما لم أتعاطى المقدار الكافى، وربما كان ينبغى على أن أئسل بعيداً وأتعاطى المزيد عندما قالت لى فجأة: "اللعة على هذا، اللعة على هذا".

قفزنا جميعًا مباشرة خارجين إلى منتصف المكان، وكانت للى واقفة هناك وقدماها إلى الكاحل مغروستين في ماء بحيرة صغيرة، كانت غاضبة جدًا، وكانت ترتدى حذاءً أسود رقيقًا طوال الوقت، ولم يكن ذلك الحذاء مناسبًا بالطبع لهذه الرحلة في الريفية.

نظرت حولي واستطعت أن أرى أن كل واحد منا كان يبدو منهكًا وكأنه أصيب بالدوار، وفكرت في نفسي أولاً، واستدارت للى وقفزت إلى الخلف صاعدة نحو الكوخ، وكنا قد خططنا فعلاً لهذه التمشية على التلال منذ فترة طويلة محاولين إخراج سموم المخدرات من أجسامنا، ونجحت في الاستمرار في الابتعاد لفترة وأنت تستطيع من أول نظرة ملاحظة أن الآخرين قد نجحوا في فعل ذلك أيضًا.

لم نتحدث كثيرًا أثناء العودة ولكنني تحدثت مع سالي، ولم تبد هي -أيضًا- أن أحوالها كانت سيئة، وفكرت في أنه ربما كان لديها قدر ضئيل من المخدرات، وكنت على وشك أن أسألها عن ذلك، ولكن كان في ذلك بعض المخاطرة، وعند نصف الطريق تقريبًا التفتت جيما وقالت: "يا الله، لم أتوقع أن أشعر أنني بهذا السوء، هذا فظيع....".

ضحكنا أنا وسالي، كان ذلك غريبًا، ماذا كانت تتوقع، لم يتوقع أحد منهم ذلك، وكما قلت من قبل إنني قد اتخذت احتياطاتي، ولكن عندما نظرت للى إلى توقفنا عن الضحك؛ لأنها كانت تبدو فظيعة حقًا، كانت تتعاطى كثيرًا مؤخرًا، حسنًا، لكن أمناء مع أنفسنا، كنا نفعل ذلك، فكرت في إعطائها قدرًا ضئيلاً من المخدرات التي معي، لكنها كانت ستضخم الأمر وتؤلب على الجميع، ولم أكن أريد أن أجعل أحوالها تسوء أكثر من ذلك، أنتم تعرفون، أنكم تهيئون أنفسكم لعمل شيء ما ثم تفشلون، إن ذلك لا يجدي، أليس كذلك؟ بالإضافة إلى ذلك يوجد طفل، وهذا

هو السبب فى وجودنا جميعًا هنا، ليس لأجل لى فقط بل لأجل الطفل أيضًا، وهذا الطفل هو طفلى أنا أيضًا.

قلت: "سيكون الأمر أسهل غذا".

رمقتنى لى بتلك النظرة القذرة، وأخذت أفكر وأتساءل ما إذا كانت تعرف.

عدنا إلى الكوخ وأشعلنا نارًا كبيرة لجعل المكان دافئًا ومريحًا، وبدأنا فى تدخين اللغافات فى محاولة لإبعاد العصبية والإحباط بعيدًا، كان تار وللى يعيشان أسوأ أوقات حياتهما، وكانت سالى وجيما جالستين معًا تسندان بعضهما، قالت جيما: "أنا لا أهتم لما أشعر به، أنا لن أتحطم".

كانت قوية فعلاً، وكانت تقصد ما تقوله، فقد كانت هى وسالى فتاتين صلبتين.

لم تتحدث لى عن ذلك: "نعم، أنا بخير، اهتموا أنتم لرءوسكم". ولكنها لم تنتظر إلى عين أى واحد منا.

أما بالنسبة لتار فقد بدا باردًا جدًا، وأعتقد أن تناوله للمخدرات كان خطأ كبيرًا لأن تار من الأشخاص الذين لا يستطيعون تعاطى الحشيش، وبدأت عليه تلك النظرة القلقة التى اعتاد أن يرسمها على وجهه، وخرج يتمشى بمفرده، الأمر الذى جعل لى تسأله ما إذا كان يخبئ بعض المخدرات لنفسه، ولكنه أنكر ذلك، أنا متأكد فعلاً أنه ليس لديه أى مخدرات لأنه كان فى حالة ضياع تام، واقترح أن نتناول بعض البيرة.

سألته جيما: إنك لا تعاني الآن سوى من بعض الآلام البسيطة فقط، وماذا عن الغد؟".

فقال لها: "أنا أحتاجه، أنا أحتاجه يا جيما، أنت لا تفهمين".

قالت له سالى: "لا يمكن أن تنهائى، حاول الشعور بأنك على ما يرام، يلزمك- فقط- أن تصبر".

ومنذ ذلك الحين كنا أنا وسالى نبتسم لبعض من حين إلى آخر عندما يقول أى واحد منا شيئاً كهذا، وكأننا كنا نقول لبعضنا إننى أعرف أنكم تعرفون، وإنكم تعرفون إننى أعرف أنه يوجد لدى كل واحد منا قدر قليل من المخدرات، ولكن لن يذكر أى واحد منا أى شيء عن ذلك للآخرين، وكانت التقلصات قد أصابت للى الآن، وكذلك جيما.

لم يصب تار بالتقلصات كثيراً فى أول الأمر، ولكن بعد قليل بدأ شعوره بالتقلصات يتزايد، بينما أنا وسالى... حسناً، لقد بدأت فى التأوه والحديث عن الشعور بالامتلاء، وهى كذلك، لكن... حسناً.

أخيراً، عندما أوشكت الساعة على حوالى الرابعة بعد الظهر قال تار: "يكفى ذلك سأذهب لإحضار بعض البيرة بسرعة".

قلت له: "سأوصلك"، كان هناك قرية قريبة، ولكنهم لا يبيعون شيئاً هناك، وكان أقرب متجر على بعد خمسة أميال، وكان تار فى السادسة عشرة فقط، وربما يرفضون التعامل معه أو بيع مثل هذه الأشياء له.

لم يكن يرغب أن أوصله فى البداية، قال إنه يريد أن يذهب بمفرده، لكن بالطبع عندما أقوم بقيادة السيارة فسوف يذهب معى، وكان كل واحد يريد شيئاً ليشربه، لذا انتهى بنا الأمر بأن قممت بالقيادة وذهبنا معاً.

حسنًا لقد وصلنا بسلام واشترينا بعض مشروب التفاح والبيرة، ثم قال:
"سأعود سيرًا على الأقدام".

نظرت إليه فقط.

فقال: "لا... أنا أريد أن أسير على قدمي".

- "إنها خمسة أميال يا تار؟".

- "أنا أريد تصفية ذهني فقط".

فكرت، أه نعم، لم أقل له فيم كنت أفكر، ولكننا كنا نفكر في نفس الشيء
معًا، راقبته في المرأة أثناء قيادتي للسيارة، وقف هناك ينظر إليّ من الخلف
ولكنه لم يتحرك حتى ابتعدت عن مرمى بصره.

هدأت الأمور أسفل التل أثناء غيابي، كان يبدو عليهم أنهم كن يتشاجرن أو
أن مناقشة حادة قد دارت بينهما، أو شيء حاسم بدا يلوح في الجو، كانت جيما
تعانى من تقلصات عنيفة في المعدة. فكرت، واو، لا بد أن تكون قد تعاطت الكثير
لكي تظهر عليها مثل هذه النوعية من الأعراض، ناولتهم علب البيرة، وأثناء
فتحهم لها، ذهبت إلى غرفة النوم للحصول على جرعة أخرى قليلة، واكتشفت -
حسنًا- أنه من الأفضل أن يكون أحدنا صافي الذهن، ولكن للى تبعتنى ونظرت إلى
فقط وقالت: "جيمي".

نفضت بدى وقلت: "ماذا تقصدين يا للى؟".

- "لا تخدعني، أنا أعرف ماذا يجري، الآن أعطني حقى، أريد حقى،
حسنًا...؟"

فتشت في جيبوي وقلت: "ماذا عن الطفل؟".

- "لا تؤلمني، هل تريدني أن أصبح مثل جيما؟ نعم. ذلك سيجعل الطفل كله ملوثًا، حقًا نعم..." ثم قامت بجذب اللفافة من يدي وأخرجت قطعة من الورق المفضض من جيبها.

قلت: "لدي كمية قليلة فقط".

- "نعم؟ كم؟ إنك لن تستخدمها كلها".

لم تكن غاضبة إلى درجة كبيرة وأدركت أنها كانت مسرورة فعلاً، وذلك لأنني لو لم أكن قد أحضرت بعض المخدرات فماذا كانت ستفعل؟.

لا تخطئ الفهم، لم تكن عاندين للتعاطي لكن... للذهاب بعيدًا، هل تتوقع أن تتخلص منه ونلقى به بعيدًا دفعة واحدة، إن ذلك أمر غير واقعي، ينبغي أن نقوم بعمل مثل هذه الأشياء على مهل ورويدًا ورويدًا.

لم يكن لدينا أي إير، وكان ينبغي علينا أخذ جرعة، فبقينا في السرير وسمعنا جيما وهي تعاني وكانت سالي تشاركها في المعاناة، ولكنها لم تكن تفعل ذلك بطريقة مقنعة، لذا خمنت لى أنها تناولت بعض المخدرات، فقد تناقشنا في ذلك عندما كنت بعيدًا، وكن بصرخن ويتأوهن، ثم بدأت في الضحك بعد قليل، أقصد أن جيما المسكينة كانت تتمزق، وكانت سالي تتأوه حفاظًا على شراكتها وموازرتها لجيما، ولكنها في الحقيقة كانت مثلي ومثل لى، وكل ما أخذته كان جرعات صغيرة مما كان في جيبى وانهمرت الدموع كالطر،... لا، ولكننى عرفت أن ذلك لم يكن غريبًا، وأنه كان فطريًا ولكنكم تعرفون...

حسنًا، استمر الأمر على هذا الحال، لا أعرف إلى متى، ربما إلى العاشرة، وكانت جيما مضطربة حقًا؛ لأن تار لم يعد من القرية التي كانت على بعد خمسة أميال فقط، وقد مضت خمس ساعات.

قالت جيما: "لا بد أن شيئًا ما قد حدث له، لقد قام بفعل شيء غبي".

كانت تعتقد أنه تعاطى، أو شيء ما من هذا القبيل، وقد حاولت ألا أنظر إلى للى، ولكننى لم أستطع، وبدأنا فى الضحك، لم يعد هناك فائدة، ولم أستطع الاحتفاظ بمظهر الجدية على وجهى وللى تتظر إلىَّ بهذه الطريقة، لم تلحظ جيما أننا كنا جميعًا بخير وعلى ما يرام بالنسبة لتار...

كان من الواضح جدًا أنه لم يكن يجب على تار أن يقتل نفسه، وإذا كان قد وصل إلى هذه الدرجة من اليأس فإنه توجد طرق كثيرة أيسر من ذلك ولا أتخيل أنه قد سار فى الطريق عائداً إلى بريستول، لأنه لم يكن يرتدى ملابس صوفية ولا جاكته، ولا أعتقد أنه - يملك - حتى جاكته واحدة.

أما المسكينة جيما فقد كانت قلقة جدًا عليه، وكانت اضطرابات معدتها شديدة وسيئة حقًا... وأخذ الأمر يبدو سخيًا، ثم بدأت سالى فى تأنيبنا لأننا كنا نضحك على ذلك.

كان ينبغي علينا كشف الحقيقة، جاءت للى وقالت: "انظري يا جيما، إن ذلك واضح تمامًا..."

أخبرتها أنه لا بد أن يكون تار قد عاد بالتأكد إلى المنزل لأجل الحصول على المزيد من المخدرات، وكان ذلك أسوأ ما فى الأمر، فقد كانت جيما ثائرة جدا ولم تتقبل ذلك فى البداية، واتهمت للى بالكذب، وكان ذلك شيئًا سيئًا، وأخذنا فى

الشجار والصراخ والزعيق، عندما انفجرت جيما معلنة أنني أنا واللى لدينا بعض المخدرات.

ثم كانت هناك وقفة كبرى حقيقية.

قالت جيما: "لكن ماذا عن طفلك، أنت لا تهتمين له أليس كذلك؟ هل تفعلين ذلك بطفلك؟...".

فكرت، أوه، وأسرعت بالخروج إلى الغرفة الأخرى لأنه يمكن إخبار للى بأى شيء، إلا أن تقول لها إنها تؤذى طفلها...، كان ذلك رهيباً، كانتا تصرخان وترعقان، وكانت سالى صامتة فعلاً طوال ذلك الوقت لأنها كانت على حق.

جلست على السرير بجانب الباب وأخذت أستمع إليهما، كانت الألفاظ القذرة والسباب تخرج من فم كل واحدة تجاه الأخرى، وأخيراً أنت جيما إلى غرفتنا وعيناها تملؤها الدموع، لم يكن لديها القدرة على مواجهة مثل هذا النوع من الشجار وأخذت فى البكاء، وبدا أن سال واللى ستستمران فى هذا إلى الأبد، فقد سمعناهما تصرخان فى مواجهة بعضهما، وقالت لى جيما: "أعطينى قليلاً من المخدرات فقط... أعطينى، هل ستفعل؟".

أخرجت اللفة من جيبى، وانزعجت قليلاً لأنه لم يتبق الكثير من المخدرات، ولكنى لم أستطع أن أقول لا لجيما، هل أستطيع؟، هدأت جيما، وجاءت للى بعد فترة وقالت: "هل أنت بخير الآن يا جيم؟".

قالت جيما: "لقد فعلتها وأخذت المخدرات حتى لو كانت أى منكما أيتها الملعونتان قد تشاجرت معى".

ثم بدأت كل الأمور فى الهدوء مرة أخرى، وفكرت فى أن ذلك لم يكن أمراً غريباً.

(٢١)

جيما

لم نقض أى ليلة أخرى معاً، وفى طريق عودتنا لم يقل أحداً أى شىء، حاولت مرتين أن أقول له كم كان ذلك الأمر مقلقاً، ولكنى كنت أقول لنفسى المرة القادمة، المرة القادمة، المرة القادمة... كنا جميعاً أغبياء وخائفين.

حاولت التوقف حوالى ست مرات، ولكنى لم أكن خائفة بهذا الشكل من قبل، أقصد أننى كان يجب أن أتحمل المخاطر، كنا جميعاً خائفين من الإدمان أو من التورط فى تعاطى المخدرات إلى الأبد، أو أن نلوث من داخلنا بهذا النوع من المواد، ولكن ذلك كان أمراً طبيعياً، كانت هذه المرة مختلفة، عرفت أننى كنت مدمنة حقاً؛ لأن الذى يخشاه المدمن، ليس الإيدز ولا التلوث كما تظنون، لكن الذى نخافه هو ألا يكون هناك المزيد من المخدرات فى العالم الآخر، إنها أول مرة أشعر فيها بذلك، إنها أول مرة أعرف أننى لن أستطيع الاستمرار بدونه.

ذهب روب إلى ديف للتعاطى، ولكننى كنت بخير، لأن تار كان بالمنزل عندما ذهبت إلى هناك، وبالطبع كان قد تعاطى بعض المخدرات بالفعل.

كان جالساً على المقعد وقال: "إلى المنزل تروا يا جيما؟" وكان على وجهه هذه الابتسامة الغبية، لقد أخبرتك بذلك.

ذهبت إلى المطبخ ووجدت المخدرات في مخبئها المعتاد، وأخذت حاجتي منها، وشغلت الغلاية، وجلست على المقعد، وتعاطيت المخدرات.

ليس لديكم أى فكرة عن ذلك الشعور، ليس لديكم أى فكرة.

استطعت أن أشعر به وهو يراقبني ويقول: "لقد كنت تعانيين حقاً طوال الطريق أثناء عودتك".

وعيس تار بوجهه وقال: "كان يجب علىّ أن آخذ بعض المخدرات معي".

- "لقد فعل روب ذلك".

- "نعم أعتقد ذلك".

- "لماذا لم تطلبى منه بعض المخدرات بدلاً من المعاناة طوال طريق العودة؟".

- "لا أعرف".

عيس بوجهه وأخبرنى أنه لم يكن ينبغى علىّ أن أعتد عليه، وعدت بالشاي، وتناولناه معاً، ونحن جالسان على مقعدين في الطرفين المتقابلين من الطاولة، وبدأ فى الكلام مرة أخرى، قال إنه لم يعد يهتم لذلك بأى شكل من الأشكال لأنه لم يكن ينوى التوقف عن التعاطى بالفعل، ولكنه ذهب معه فقط لأن باقى الثلة كانوا مهتمين جداً لذلك، وكان يريد تنظيف دمه من المخدرات لأنه لم يرد إغراءنا بالتراجع عن ذلك.

قال: "أنا أحب ما أفعله، لماذا يجب علىّ التوقف؟" وماذا سيحدث لو تحول لون جسمى إلى اللون الأزرق مثلاً فعلت للى؟

وابتسم تار لى ابتسامة عريضة قائلاً: "عش بسرعة ومت صغيراً، أنت تعرفين يا جيما...".

قلت: "إنك حقاً لا تفكر كذلك بالفعل؟...".

قال: "إنك لا تدركين معنى أن يصبح الإنسان ميتاً".

قلت وأنا أريد أن أغيظه: "نعم، ولكن لا مزيد من المخدرات للموتى...".

حدث ذلك للحظة قصيرة، ثم نهض تار لتشغيل بعض الموسيقى، وبدأ فى الحديث... كيف أنه يشعر - الآن - بتحسن، وأنه أقوى، وكيف كان سيتعرض لنوبة أخرى خلال أسبوع أو ما شابه ذلك، وأنه سوف يكون بخير، ولكنه عرف أن روب تعاطى بعض المخدرات لذا فإن الأمر سوف يفشل على أية حال، ولكنه أصبح الآن مختلفاً، لأنه عرف ما الذى كان يستعد لمواجهة...

جلست وأخذت أراقبه، لم أكن أستمع إليه فعلاً، فقد كنت أفكر فى كيف أنه كان أفضل كثيراً فى السنوات القليلة الماضية، كنت أظن فعلاً أنه كان أفضل، ولكنى فجأة أردت أن يعود تار القديم، أردت أن يعود تار الذى عرفته فيما مضى والذى كان ملكى.

أخذت فى البكاء، ووضعت رأسى بين يديّ وقلت: "إنك لن تفعل أى شىء أبداً لهذه الهندباء الباكية"، حاولت اعتصار دموعى.

جاء تار ولف ذراعيه حولى وقال: "أنا لم أقصد ذلك، يا جيما... أنا كنت أقول له فقط "إننى أريد أن أحيأ وأعيش بجانبك".

لم أستطع فعل أى شىء سوى البكاء.

قال: "هندباء".

التفت ودفنت رأسي في حضنه.

قال: "هندباء... هندباء... هندباء".

قلت: "أنا أحبك" ويا للجنة كنت أقصد ذلك فعلاً.

قال تار في صوت صادق: "لقد كنت في انتظارك وانتظار أن تقول لي ذلك كل هذه السنوات".

ثم ربت على وجهي، ونظرت إلى أعلى، إليه، فقال: "أنا أحبك أيضاً".

قلت: "أنا أحبك أيضاً. هندباء، هندباء، هندباء، تار".

(٢٢)

سكولي

كانت هذه المنطقة جميلة جدًا، وإذا نظرت إلى المنازل فستجدها كبيرة وحجرية ذات طراز فيكتوري أو جريجوري، ويعد هذا المكان جزءًا جميلًا من البلدة، صدق أو لا تصدق.

إنني أتذكر عندما كنت صغيرًا أترعرع في هذا المكان، كان هناك وفرة من المال في هذه المنطقة، وكان أولئك الذين لا يمتلكون أي أموال يشاركون الأغنياء فيها أيضًا، قد تكون قد سمعت عن ذلك من قبل، قد كان ذلك حقيقياً فعلاً، وكان هناك إحساس بالاشتراكية.

لكنني أشعر بالأسى لبعض الأفراد، فهناك هذه السيدة العجوز التي أعرفها، تبدو أنها في التسعينيات من عمرها، لقد عاشت في سان بول طوال حياتها، انظر إلى ذلك الشارع الآن، إنه مليء بالسود، يرقص فيه الزوج طوال الوقت، وطعام الكاري في كل مكان، والمخدرات والتعاطي والدعارة، أقصد عش ودع الحياة تمضي.

حسنًا....، ولكنها لا تزال تذكر تلك الأيام التي كانت فيها هذه المنطقة رائعة، إنها لم تكن ترى أبدًا أي زنجي في هذه المنطقة عندما كانت فتاة، وكانت تحظى

هنا ببعض الشكولاته من وقت لآخر، ثم تذهب، ومتى أرادت الذهاب فلم يكن أحد يستطيع إيقافها أبداً، وقد كان ذلك مثيراً حقاً.

وبالطبع إنها كانت تصعب الأمور على نفسها، فهي لا تخرج أبداً ولا تتحدث مع الجيران، ولا يمكن لومها على ذلك، فربما يكونون قد علموها منذ أن كانت طفلة أن الزوج يمكن أن يأكلوها، ربما كانت تظن أن المكان لا زال مليئاً بالعجائز الأعزاء من أمثالها. ومن جهة أخرى ربما كانت إنسانة متغترسة ومتكبرة حتى عندما كانت صغيرة، لقد كان لدينا بعض الاضطرابات والمتمردين منذ فترة مضت، وكان أكثرهم من السود، وكالمعتاد فقد قاموا بتحطيم متجرى، هل تصدق ذلك، وأنت تعرف ما قاموا بكتابته ورسمه وتلوينه على واجهة المحل.

يهودى سمين.

أنا أسألك: "هل أنا... يهودى؟"، سمين حسناً... أيضاً، ولكننى لست يهودياً، فأنا ابن مدينة بريستول وربيبها، وكان أبى كذلك، وكان أبوه من قبله، لقد عشنا هنا منذ سنوات، أعترف أن جدى الأكبر كان يهودياً، وذلك هو الأصل الذى جاء منه اسم العائلة، ويمكننى أن أغيره إذا أردت، لكننى ارتبطت بهذا الاسم قليلاً، ولم أتوقع أن شخصاً ما سوف يحطم متجرى لأنى اسم عائلتى يهودى.

حتى لو كنت يهودياً، لماذا يفعلون بى ذلك؟ سوف يستمرون فى فعل ذلك بسبب أصولى العرقية، كيف لهم أن يعرفوا إحساس اليهودى؟ هؤلاء السود لا يعرفون معنى الاضطهاد العرقى، لكن أسرتى قد تعرضت لهذا الاضطهاد فعلاً، لقد كنا نعيش هنا عندما كان الجميع يذهبون، لكننا لا نزال نعيش هنا.

لقد جاءوا إلى هنا منذ حوالي جيلين فقط، وأنا قلق جدًا على متجري، أقول ذلك لأنني كنت سائرا في طريقى في ذلك اليوم إلى أحد المحلات عندما رأيت سيارة الشرطة واقفة ونصفها أعلى الرصيف وأنوارها الفلاشية كانت تضىء باستمرار، كما كانت هناك سيارة إسعاف أيضا، وقد أوقفت حركة السير فى الطريق، وكان كل شيء يبدو مزدحما وملينا بالحركة، ولكن لم يكن هناك أى شخص على مرمى البصر...

يبدو أن أحدهم قد تورط فى مشكلة، ويمكن أن يصبح الأمر مسلما إذا كان هذا الشخص هو أحد آخر غيرك، فسيارة الإسعاف يمكن أن تكون حاملة شخصا ما غيرك قد أصيب من جراء سقوطه من على درج السلم، أو فى معركة، أو أى حادث منزلى آخر، والآن إذا كانت هناك سرقة مسلحة أو تسليم بضائع مسروقة، وهو ما يمكن تسميته بجريمة تقليدية، قريبة من هذا المنزل، فسوف تكون هذه حكاية مسلية أقصاها على الشباب، وكنت قد توجهت إلى ذلك المكان لمجرد العلم وحشر أنفى فى الموضوع، فقد كنت أعرف ذلك المنزل جيدا منذ سنوات عديدة، وفى الركن كانت توجد حديقة جميلة جدا، وكنت أراقب الأمور على طريق المدينة، وكان يوجد دائما أناس يتحركون ذهابا وإيابا، ولن تستطيع أبدا أن تتواصل معهم جميعا، إننى لم ألاحظ -حتى- مكانه الجدد..

عندما كنت سائرا فى الطريق المعاكس انفتح باب وخرج منه اثنان من رجال الإسعاف، نصف حاملين ونصف ساحبين هذا الشاب بينهما، وكانت سيارة الشرطة تضىء بالفلاش، لم أكن أعرف من هو، ولا أذكر أننى قد رأيته من قبل، وخمنت أنها المخدرات، يجب أن تكون هى، وهذا الشخص الذى كانت رأسه ملقاة

على صدره وكان يترنح، لا بد أنه قد تعاطى جرعة زائدة من المخدرات، وخاف رفاقه أن يموت فاستدعوا الإسعاف، وقد أحسنوا الفعل.

قلت لا، ليس لي دخل بذلك الأمر، فأنا لا أتعاطى المخدرات ولا أتاخر فيها أيضاً، على الرغم من أنني أعرف أن بعض الفتيان قد جنوا الكثير من المال عن طريق هذه التجارة، ورحت أراقبهم وهم يحملون هذا الفتى إلى داخل سيارة الإسعاف، كنت على وشك الوصول إلى الباب عندما انفتح مرة أخرى، وفي هذه المرة خرج منه رجال الشرطة وكانوا يقبضون على فتى وفتاة، كان الفتى طويلاً ورفيعاً ورأسه حليقاً كالشفافة، ولم أتعرف عليه، وكانت الفتاة صغيرة وجميلة، كانت صغيرة بالفعل ولكن... لقد كنت أعرفها منذ فترة مضت، انظروا... كانت تعمل في أحد بيوت الدعارة في طريق جلوشستر.

وهي الآن لا تلتفت إليّ، وإذا كنت تعرف زوجتي فإنها كانت ستستمر في مراقبة ذلك الأمر، أقصد، حسناً، لقد كنا نحن الاثنين - أنا وزوجتي - من الحجم الكبير، ولكن ذلك الأمر يكون مختلفاً بالنسبة للذكر عنه بالنسبة للأنثى، نعم، لقد مارست الجنس مع هؤلاء الفتيات في ذلك المكان عدة مرات منذ فترة طويلة عندما كنت أشعر بالرغبة، أو أحياناً عندما كان يحضر أخى من أسبانيا، وكنا نفعل ذلك قبل أن نشرب البيرة، أو حتى في طريق العودة، وكان يتحتم على هؤلاء الفتيات أن يعملن من أجل الحصول على المال في ذلك الوقت.

لقد عرفت هذه الفتاة لأن... كانت أولاً وقبل أى شيء صغيرة جداً في ذلك الوقت، أصغر من أغلب الفتيات الأخريات، وقد أحببت ذلك، ثم إنها كانت لطيفة أيضاً، ولها شخصية جذابة، وهو أمر مهم بالنسبة لي، فأنا أحب أن أرتبط بفتاة

معينة، على الرغم من أن أغلب الفتيات لا يحبن العمل كثير الكلام عادة، فإنها أحببتني، أو أعطتني ذلك الانطباع على الأقل.

كانت الأمور تسير على النحو التالي: تدخل إلى ذلك المكان من أجل طلب عادي، ثم ينبغى عليك أن تفاصل في السعر إذا أردت أن تحصل على خدمة مخصوصة، لأن السعر غالبًا ما يكون مرتفعًا في هذه الحالة، وهو سعر غال على مثل هؤلاء الفتيات، وهذه الفتاة "نيكي"، كما تسمى نفسها، وهي ليست تلك الفتاة التي تقبل بأي شيء، فهي تدخل معك في مساومة طويلة حول السعر، ولكنها كانت دائمًا تعطيني ما أريد في نهاية الأمر.

وكنْتُ أقول لها: "لا أستطيع أن أتحمّل ذلك يا حبي"، فتقول: "أوه، حسنًا، إنك ستحظى بشيء آخر"، ثم تقول في منتصف الطريق: "أوه، حسنًا، هذا من أجلك..." ثم تعطيني ما أريد على أية حال.

وعلى الرغم من أنه ليس لديها قلب، فقد أحببتني عندما شعرت أنني أبداً منكسراً خائب الأمل، ثم... ذلك هو الذي أحببته فيها... إنها عندما أنهت عملها معي وأعطيتها ما طلبته في أول المقابلة، أخذت تضحك وتهز رأسها كما لو كنا أصدقاء، أقصد أن ذلك كان مثيراً بالنسبة لي، فأنا أحب أن أعتقد أنها أحببتني، كما أن عملها كان ممتازاً، ودائمًا كنت أرحل من عندها بعد لقائي معها ولديّ إحساس يساوي مليون جنيه.

نعم، لقد كانت عظيمة، نيكي، وكنا قد اعتدنا على الحديث في كل المواضيع، بينما تميل الفتيات الأخريات إلى الصمت ثم الدخول إلى العمل مباشرة، ويسرعن بإنهاء العمل للحصول على أجرهن، ولكنها لم تكن كذلك، إنها - حقيقة - غير ذلك، فهي تجتهد وتبذل نفسها، وتشاركك في آرائها، وقد اعتدنا التحدث معاً

فى السىاسة؁ ولكن لىس كثرىأ لأننا كنا مآئلفىن- نوعأ ما- فى الأصول العرقىة؁ وكان لىبها بعض الآراء الغربىة لكونها عاهرة؁ وكانت ترى أن كل الأشآاص النعساء الذىن لم يلقوا إشباعأ كافىأ مع زوجائهم أو لم يكن لىبهم صدىقة أو ما إلى ذاك؁ فأنهم سىصابون بالإحباط مما جعلهم ىرتكبون جرائم جنسىة.

قالت: "لا... لا... لست أنت؁ لست أنت الذى فعمل ذاك".

أذهلنى ذاك قلىلاً بالفعل؁ وكانت نىكى منفتحة كثرىأ لأنها استطاعت أن تدع ما تعتقده عن باقى الزبائن وتتنظر لى نظرة أخرى خاصة؁ على عكس الفتىات الأخرىات اللاتى لا ىحترمن الزبون؁ وتلك هى المشكلة مع الداعات المحترفات؁ فعلى عكس المهن الأخرى؁ كبائع للسآائر مثلاً؁ ىمكنك التآخىن واحترام صدىقك المآخن؁ أما بائعات الهوى فكن ىمارسن الجنس مع الزبائن؁ لكنهن- لسبب ما- ىحتقرن الشآص الذى ىدفع من أجل ذاك؁ وأنا أعتقد أن ذاك الشآص الذى ىدفع من أجل ذاك كان ىنظر أىضأ باآآقار إلى هؤلاء الفتىات اللاتى ىدفع لهن.

آسنأ؁ كنت أعرف ذاك؁ وكانت هى أىضأ تعرف ذاك؁ ولكنها لم تكن تفعل أى شىء....؁ ولم تكن تنتظر إلى باآآقار كما تفعل الأخرىات.

لكنى وجدت بعض الصعوبات فى التعامل معها بعد ذاك؁ وكان بعض منهن فعمل ذاك دائماً؁ وهو تعاطى المآدرات؁ فقد تعاطت المآدرات فى نهایة الأمر؁ ورأىت علامات التعاطى والآقن فى ذراعىها؁ وأآبرت جورذن (صاحب الصالة) أننى لم أعد أرىذ نىكى بعد ذاك؁ لأنه ىجب على المرء أن ىكون آذراً من الإىذن؁ ومن مثل هذه الأشياء؁ إن التشارك فى الإبر ىمكن أن ىصىب بالتلوث والعدوى عند التعاطى؁ وبآانب ذاك كان لى كبرىائى؁ أقصد أننى رجل كبرى السن وسمىن ومقطوع النفس؁ وإذا أردت امرأة لتنام معى فىنبغى أن أذفع لها؁ ولكننى لست

مضطرباً لفعل ذلك مع مدمنة، فأنا لست محبباً لهذه الدرجة، وكان من الأفضل أن أمارس ذلك مع زوجتي.

لا أعرف إذا كانت لا تزال تعمل في تلك الصالة أم لا، فأنا لم أرها منذ فترة، ولم أسأل عنها، لقد بدت جميلة، ربما كان ذلك بسبب الأضواء الزرقاء أو ما كان يحدث لها، لا أعرف، وقد بدت في حوالى الأربعين، برغم أنها لا تزال تعتقد أنها فى السابعة عشرة، وأظن أنها كانت تكذب على نفسها حينئذ.

ثم حدث هذا الشيء الغريب، كان هناك فترة توقف أثناء فتح الشرطة لباب السيارة، وكنت واقفاً أحملق فى نيكي، وكان الشخص الذى معها يراقبنى ويراقبها، وقد أومأ لى، اعتقدت فى البداية أنه كان يومئ لشخص آخر خلفى، لكن عندما نظرت من فوق كتفى إلى الخلف لم يكن هناك أحد ورائى، لذا لا بد أنى كنت أنا المقصود بهذه الإيماءة، ولم أستطع أن أتعرف عليه أو أتذكره، فكرت لماذا أومأ إليّ؟ ولكننى تذكرت أننى رأيته من قبل بذرع الطريق ذهاباً وإياباً، إنه كان أحد الوجوه التى تمر خلال عدة أشهر ثم تختفى فى أحد الأيام، وبدون أن تلاحظ غيابهم أو تحس بوجودهم، حملقت فيه بشدة ثم تذكرت، كان دافيد، إنه ذلك الفتى الذى عرفته بريتشارد منذ عدة سنوات مضت، وقد أصبح اليوم يقلل من شأنى، لقد جاء من ذلك المكان البعيد إلى هنا لى يهزأ بى، فأنا أتذكر يوم أعاد لى سجاثرى، وقال إنها تحول لون جلده إلى الرمادى، كان لدى علبة "بنسون" فى جيبي، فلما أغضبني لوحى بها أمامه وصرخت فيه قائلاً: "أراهن أنك لن تقول لا".

ولكن برغم أن رجال الشرطة كانوا منتشرين فى كل مكان، فإنهم لم يكونوا بهذه المهارة لى يلمحوا لفافة المخدرات عندما يكونون مشغولين بعملهم، ولما رأيت الشرطى الذى كان واقفاً معي ينظر إليّ ويراقبنى، فعلت ما أفعله دائماً عندما أرى شرطياً يراقبنى، مضيت بعيداً عن المكان.

(٢٣)

تار

عندما تريد أن تكون صديقى.

دق على بابى.

أنا لن أقوم بفتحه.

أنا أعرف.

لماذا أنت هنا.

أنا أعرف بالضبط لماذا جئت.

"لوركى"

كنت عند "ديف" عندما جاء هذا الصديق وقال: "لقد تم تهيئة مكانك..."

ذهبت مباشرة إلى هناك، لم أفهم لماذا كانوا يفعلون ذلك فى هذا الوقت، بدلاً من الساعة الثانية صباحاً كما اعتادوا دائماً أن يفعلوا عندما يعرفون أن الجميع قد حضروا، وكانت السيارة تضوى بالضوء الأزرق، كان ذلك الأمر مثل الحلم، لم أفزع وكنت مرتاحاً لذلك، وبدا الأمر غريباً بالنسبة لى، كنت مندهشاً لكونى مرتاحاً، وكنت أظن أن هذا الضياع اللعين سينتهى إلى الأبد، لكنه لم ينته.

سرت ذهابًا وإيابًا عدة مرات، وكان روب وللى قد رجعا إلى مكانهما القديم منذ عدة أشهر بعد أن تمت ولادة الطفل، ولم أعرف ما إذا كانت جيما هناك أم لا، ولكنى كنت أظن أنه من المحتمل أن تكون هناك، لم أعرف ما الذى كان ينبغي على فعله، أقصد أنه إذا كانت عربة الإسعاف قد جاءت من أجلها فلا يوجد أى شيء أستطيع فعله، ولكننى أردت بشدة أن أكتشف ما إذا كانت عربة الإسعاف قد جاءت من أجلها وما إذا كانت بخير، أو أنها ماتت أو ماذا؟... إذا كانت بخير فسأذهب وأتحمل التوبيخ بسعادة ولكن إذا كانت قد ذهبت فإن هذا سيكون أسوأ شيء على وجه الأرض.

إن الموضوع هو أن لدينا هذا الصديق كول الذى اعتاد الخروج مع سالى، وكان بعيدًا فى أمستردام منذ حوالى ستة أشهر، وعندما عاد جاء إلى مجلسنا فإنه يمكن أن يكون هو صاحب هذه المشكلة، لكننى فى النهاية يجب أن أكتشف الأمر، ولم أستطع أن أظل هكذا بدون أن أفعل أى شيء، لذا دخلت.

كانت الشرطة فى الصالة، وكان هناك شرطيان، أحدهما كبير والآخر عادى الحجم، أقول عادى ولكنه كان شخصًا ضخمًا أيضًا، جذبانى كل واحد من ذراع بمجرد أن دخلت من الباب.

- "ماذا تريد يا بنى؟".

- "أين جيما؟".

- "لا تهتم لجيما، ما الذى تفعله هنا؟".

- "أنا أسكن هنا..."، فنظر كل منهما إلى الآخر.

- "هل هي بخير؟ لمن سيارة الإسعاف هذه...؟"، وحاولت تحرير نفسي منهما، واندفعت إلى باب غرفة المعيشة، ولكنهما أحكما القبض على وأرقداني على الأرض برفق، وكنت أحاول المرور من بين أيديهما على طريقة كينج كونج.

لكنهما لم يخبراني بأى شيء بالطبع... وما إذا كانت هناك، أو كيف حالها، أو أى شيء من هذا القبيل، وسحباني إلى مؤخرة الصالة وفتشاني، وكنت طوال ذلك الوقت أسأل: "أين جيما؟ أين جيما؟".

ظلا يقولان: "لا تهتم لجيما؟"، وكانا يعاملانني كما لو كنت ولداً غير مهذب.

قلت: "أى شيء تجدونه هنا هو ملكي".

سادت لحظة من الصمت.

وسأل الشرطي الضخم: "ما الذى يمكن أن نجده هنا؟".

- "أنا أعيش هنا، وأى شيء هنا هو ملكي".

- "هل تريد تقديم بلاغ؟".

- "نعم".

قال الشرطي الآخر: "اقبض عليه أولاً".

فقال الشرطي الضخم: "ارفع يديك"، ثم ذهب إلى الغرفة الأمامية وفتح الباب وأغلقه بسرعة، لذا لم أستطع أن أرى ما يحدث هناك.

قلت: "أريد أن أعرف فقط هل هي بخير؟".

قال الشرطي: "إذا كان هو بخير؟"، وكأنني لم أقل جيما عشر مرات بالفعل... ثم انفتح الباب، وخرج الشرطي الضخم بكيس من البلاستيك كان به كل

ما لدينا من مخدرات، ربما كان ربعه أو نصفه من الهيروين، وكمية قليلة من الحشيش.

سألني: "هل هذا ملكك؟".

ألقيت نظرة ورأيت أنها ليست مثل أشياءنا، ربما كان بعضها يخص كول لكن...

قلت: "نعم، إنها ملكي، كلها ملكي".

قال الشرطي: "أنا ألقى القبض عليك بتهمة حيازة عقاقير سامة لغرض البيع لشخص أو أشخاص غير معروفين... يجب أن أحذرك...".

كنت نصف مستمع، وكان ذلك الشرطي فظيلاً، وظللت أنظر إلى الباب طوال الوقت وأتساءل أين يمكن أن تكون جيما.

تجول أحد رجال الشرطة خارج الصالة لبيع نداء من جهازه الجوال، ثم انفتح الباب وخرج اثنان من رجال الإسعاف، كانا يحملان كول الذي كان في حالة قىء وهم يسحبانه، أقصد أنه كان فاقد الوعي تماماً وكانت رأسه تسقط وترتفع كلما سارا به ثم تسقط إلى الوراء مرة أخرى.

سأل الشرطي الواقف لحراستى: "كيف هو؟".

قال أحد المسعفين: "سيعيش".

سأل الشرطي: "وماذا عن الشخص الآخر؟"، نظر المسعف إليه ثم إلى، وأخذت أفكر في أسوأ الأمور...

صرخت: "أين جيما؟ أين جيما؟ جيما، جيما!"، وأخذت أكافح لأدخل من خلال الباب، فجذبني الشرطى إلى الحائط وعلقنى إلى أعلى وقدمائى لا تلمسان الأرض، ولكننى استمررت فى الصراخ والدفع بعدها سمعتها تقول... "أنا بخير يا تار، أنا على ما يرام".

وسمعت صوتاً يقول بشكل مباشر: "أغلقى فمك"، وكان صوتاً قاسياً لامرأة، لا بد أن تكون عاهرة فعلاً.

صرخت جيما، ولكننى كنت قد اطمأننت عليها، وعرفت أنها كانت هناك، وأنها بخير، استطعت أن أبكى كما شئت بعد رؤية كول...

كان ذلك الشرطى قوياً حقاً، وقد ألصقنى فى مواجهة الحائط بقسوة، ولكنها كانت غلطته فقط أنه سأل مثل هذا السؤال: "كيف الآخر؟".

لقد سأل هذا السؤال ليريحنى فقط.

قلت: "كان يمكنك أن تخبرنى أنها بخير فذلك لن بصييك بأى أذى".

سخر الشرطى منى وقال: "يا أيها الغبى".

ثم وانتنتى فكرة، وصرخت بأعلى صوتى: "هذه الأشياء ملكى، يا جيما، اتفقنا؟".

وكان الشرطى غاضباً، فجذبني بقوة وهزنى بعنف، وصرخت المرأة التى فى الجانب الآخر من الباب: "أغلق ذلك الفم اللعين!".

همس الشرطى: "ماهر أيها الشهم الصغير".

وظهرت على وجهه نظرة شديدة السوء كانت تطل من عينيه، وأراد أن يسخر مني، وظننت أن السبب الوحيد الذي منعه من القيام بذلك أن رجال الإسعاف كانوا واقفين بالخارج عند الباب الأمامي يستمعون إلى كل ما يقال.

اقتادونا أنا وجيما بعد ذلك مباشرة إلى الخارج في الصالة، وأخذونا معاً في سيارة الشرطة، ورأيت المرأة التي تتحدث إلينا، كان وجهها مثل القناع الأبيض، مربع، بشع المنظر، وجعلونا نسير إلى السيارة، وحدث أمر غريب، خمن من الذي رأيته يراقبنا من على الرصيف المقابل؟، لقد كان سكولي... أول شخص عطف عليّ وعرفني بريتشارد.

أحسست بالحرج الشديد، لم أتبادل أى كلمة معه، لم أقل له حتى شكراً منذ أن تركت الساحة منذ ثلاث سنوات مضت تقريباً، لقد فعلت ذلك ذات مرة عندما كنا عاندين ليلاً إلى المنزل في ساعة متأخرة من تلك الحفلة، وأقبلت عليه مع بعض الأشخاص، وكان واقفاً خارج الباب وعرفته من مظهره، وكان يسير في الممر، فتعرفت عليه في الحال، أعتقد أنه كان على وشك أن يتجه إلينا ليسلم علينا، ولكنها كانت غلطته حقاً، فقد رأى للى في ضوء اللمبة، وكانت مرتدية رداءها المعتاد الخاص بالحفلات، جاكّة الخيوط الكروشييه، فتراجع وكتم في فمه كل ما كان يريد قوله.

كنت على وشك أن أقول له أهلاً، ولكن للى ألقت عليه نظرة وبدأت في الصراخ قائلة: "وحش البار... وحش البار!"، فابتعدنا كلنا وأخذنا نجرى كما لو كنا قد رأينا شيئاً مرعباً، ونحن نصرخ: "وحش البار!"، كنت أتذكر ذلك وكلّى أمل في ألا يتعرف عليّ.

كان الوضع أفضل في قسم الشرطة، وكان شرطى الاستقبال طيباً حقاً، وكان أعلى رتبة ولكن ذلك لم يشكل أى فرق لأنه تم استجوابى بواسطة الشرطيين الضخمين اللذين قبضا علىّ، كانا فظيعين، وظل أضخمهما يصيح ويصرخ فى وجهى، أتذكر أنه بصق على وجهى عندما اتجه ناحية اليمين نحو الطاولة صارخاً، وأشرت له أطلب الإذن بالذهاب، فعلت ذلك بأصبعى، وفكرت فى إهانة الشرطى، ولكننى لم أجرؤ على فعل ذلك.

ثم خرج الشرطى الأول ودخل الشرطى الآخر، وتظاهر معى بالطيبة والألفة ونادانى دافيد، وجلس بجانبى قائلاً: "إن ذلك مجرد درشة بسيطة قبل أن يأتى صديقى من استراحة الشاى..."، كانا يحاولان معرفة الأسماء وعناوين الأماكن التى اشترينا منها المخدرات، وممن، وما إلى ذلك، وقد احتفظت بمفى مغلقاً بالطبع.

كنت أعرف أين نحن الآن، ومن المفترض أن تخاف جداً من هذا الشخص السيئ الذى يقول كل شيء للشخص الطيب، والشئ الغريب أن ذلك الشخص الطيب كان من الغباء بحيث تصرف تصرفاً جيداً، إن ذلك الشرطى لم يستطع أن يجعل من نفسه طيباً، وفى النهاية كان هو الذى قال لى أيها الغبى، وقد ظلمت أطلب سيجارة، وكان يقول لى: "ستأتى فى خلال دقيقة يا دافيد، فى خلال دقيقة..." ولكن السيجارة لم تأت، وقد بدا من الواضح أنها لن تأتى أبداً، وأنه لن يتمكن من ذلك، فهو شئ صعب عليه ولا يستطيع فعله، وقد علموه كيف يتصرف، ولكنهم نسوا أن يعلموه كيف يكون طيباً بالفعل.

كان ذلك كله لا يزال غريباً بالنسبة لى، أليس كذلك؟، وكان ينبغي علىّ أن أتماسك، خصوصاً عندما كان الشرطى الطيب يخبرنى أن الأمور ستسير

بصورة أفضل بالنسبة لجيما إذا قلت الحقيقة، لأن الحكم سيكون مخففاً إذا تعاونت معهم... وكان ذلك مجرد أكاذيب بالطبع، عرفت ذلك، ولكن ما زال... وقد أخبرني الشرطي أنها ستقول كل شيء، وينبغي عليّ أن أفعل مثلها، وقد صدقته تقريباً، وعندما خرجت فيما بعد اكتشفت أن ذلك كله كان مجرد أكاذيب بالطبع.

أطلقوا سراح جيما في تلك الليلة، وظللت بعيداً عنها لمدة ثلاث ليالٍ، وقد أفهموني أنهم قد حولوني إلى المحكمة العليا، وتم التحفظ عليّ من قبل هيئة الخدمات الاجتماعية، ووضعوني تحت رعايتها بأمر من المحكمة، ولم أخبرهم بأي شيء، ولا بكلمة واحدة، وأخرجوني من قسم البوليس وأودعوني مؤسسة الأحداث، وكان مبنى المؤسسة مظلماً، والحوائط مدهونة بطلاء تتبعث منه رائحة الكرنب المغلى الكريهة، لكن الأرضية كانت جميلة، كلها شجيرات ونباتات برية وأشجار كبيرة، لا بد أن يكون قد تم زراعتها منذ مائة سنة أو مائتين على الأقل، عبرت هذه الأدغال المملوءة بالتوت الأحمر، كانت رائحة أوراق الشجر والأرض الزراعية تفوح في الهواء، وكان لونها متوهجاً لدرجة أنه أذى عينيّ، فأحياناً تكون الألوان الفاقعة غير مبهجة حقاً، أنا نظيف من الإدمان الآن وجسمي خال من المخدرات، وكنت أشعر كأنني أنظر إلى شيء ما جديد أراه لأول مرة منذ ثلاث سنوات، وفكرت في أن المخدرات كانت تقف حائلاً بيني وبين العالم من حولى طوال ذلك الوقت، مثل ستارة سميكة تمنعك من الرؤية أو سماع أى شيء أو لمسه من خلالها، وبدا الأمر وكأن الثلاث السنوات الماضية لم تكن موجودة أبداً في حياتي، وكأنني قد وضعت نفسي في مستشفى للمجانين، غائب الوعي طوال هذه المدة، وأعتقد أن ذلك هو ما قد حدث لى بالفعل.

لا، إنه ليس السجن، فالحكم في قضيتي لم يتجاوز الثلاثة أشهر، لا، إنه مركز الرعاية في ويستون- سوبر ميلير، وكان المختص الاجتماعي المسئول عني بى يقول لى إننى إذا أتممت الكورس العلاجى فى ويستون، فسوف أحصل على تقرير جيد، وذلك إذا ظللت بدون تعاط وسويت الأمور مع جيما، وحصلت على عمل، وكل ما إلى ذلك من أمور، فسيكون لدى فرصة للخروج تحت الإفراج المشروط، ربما نتزوج أنا وجيما، لكن المختص الاجتماعي كان يقول إن هذه الخطوة قد تكون مبكرة جدًا فى هذه المرحلة من عمرنا.

أنا هنا فى الحجز، وكان ينبغى على أن أواجه ذلك لأننى كنت مرعوبًا جدًا من الدخول إلى هنا، وأعرف أشخاصًا قضوا مدتهم كاملة وكلهم يقولون نفس الشيء، وظللت أفكر فى الحرس، وكيف أنهم قساة وغلظ القلوب، وأننى لن أستطيع التعامل معهم، أنا أعرف أننى لن أستطيع التعامل معهم أو مواجهة الحياة هنا، وما يرتبط بها من أمور.

الشيء الغريب، هو أن الأمر لم يكن كذلك عندما تم القبض عليّ، قد كنت جالسًا فى الزنزانة أفكر، وأنا أحمد الله الآن على أن كل شيء قد انتهى، كان ذلك شيئًا خارجًا عن إرادتى، وقد فكرت فى أن أذهب مباشرة إلى مؤسسة الأحداث لمجرد أن أبتعد عن كل شيء لمدة سنتين، لا مزيد من القرارات، لا مزيد من الإخفاقات، لا مزيد من الوعود والأكاذيب، لا مزيد من الهيروين، لقد فقدت كل شيء، جيما، أصدقائى، الشقة والبضاعة، لكننى كنت مسرورًا بذلك وكنت أفكر، يا لها من راحة، لم يعد لدى أى حياة، الحمد لله على ذلك.

لقد تركنى هؤلاء الملاعين لأذهب، ثم، عندما صرت بالخارج أصبحت خائفًا بالطبع من ذلك كله، وبدأت الاختيارات والبدائل المختلفة فى الظهور أمامى،

لذا عندما قال لى المختص الاجتماعى إن هناك فرصة، قفزت إليها وكان هذا هو الأسلوب الأفضل، أنا هنا لأننى أريد التوقف عن كل شيء، أريد أن يكون جسمى نظيفاً من الإدمان وخالياً من المخدرات، أريد أن أتحكم فى حياتى بنفسى لا أن أتركها للشرطة، يا للمسيح- الشرطة علاج- من يحتاج إلى ذلك؟

كان من أهم الأشياء التى أدركتها منذ أن أتيت إلى هنا حقيقة أن حبى لجيما كان هو أهم شيء فى حياتى، تخيل لقد نسيت أننى كنت واقعاً فى الحب.

أنا أكتب لها كل يوم، وأرسم لها نبتة هندباء صغيرة فى كل خطاب، وكنا دائماً نوقع فى آخر خطاباتنا بالكلمات التالية: "هندباء... أنا أحبك".

وكان كثير من الناس يرون أننا يجب أن نفترق لأن كلاً منا كان يسحب الآخر إلى الهاوية، أنا ضعيف، كنت أعرف ذلك تماماً، وكان هذا هو أول شيء يعلمونك إياه هنا، يجب أن تتذكر أنك ضعيف، وأنت دائماً ضعيف، وكل تعاط تتناوله يجعلك أضعف، كانت جيما ضعيفة أيضاً، ولا يوجد أى شيء قوى مثل الإدمان، لذا فنحن نسحب بعضنا إلى الهاوية، أستطيع أن أرى ذلك بوضوح، ولكن لا يمكننى التوقف عن حبها، إنها كل ما لدى فى الحياة.

كان يمكننى أن أتركها منذ شهر مضى، ولكن ليس الآن، منذ شهر لم أكن أحبها مثل الآن، لم أكن أهتم لأى شخص آخر، سواء والداى أو أصدقائى أو جيما، لم أكن أشعر بأى شيء، وكنت أعتقد أننى على القمة، قمة الأشياء، كنت أعتقد أن عدم الشعور بأى شيء هو الأفضل، كان ذلك بسبب المخدرات، كانت المشاعر، موجودة، حسناً... لكننى كنت مخدراً بدون أى مشاعر.

كانت جيما تواصل العلاج وقد أقسمت أن يكون جسمها نظيفاً من أى مخدر أثناء وجودى بالحجز، وقد ظللنا بدون تعاط لمدة أسبوعين قبل أن أتى إلى هنا، حسناً... لقد انقطعنا عن التعاطى لأننا أردنا الحصول على أطفال أصحاء جسمهم خال من أى مخدرات، وقد ظلت للى تتعاط حتى عندما كانت حاملاً، وكانت تقول باستمرار إنها ستصبح أما جيدة، وكذلك فعل كل من كانوا حولها، ولكن كيف يمكنك أن تكونى أما جيدة فى نفس الوقت الذى تتعاطين فيه المخدرات؟، وظلت كذلك حتى أثناء الرضاعة أيضاً، لقد رأيت كيف كانت كل العروق التى فى ذراعيها وخلف ركبتيها قد اختفت من كثرة الحقن، لذا كانت مضطرة أن تحقن نفسها فى أماكن بين ثدييها، لقد رأيتها وهى جالسة والطفل على صدرها تبحث عن وريد.

قالت: "تكون العروق كبيرة وجميلة عندما يكون ثدياك كبيرتين ومملوءتين باللبن". لم يعلق أحد على ذلك بأى كلمة.

إنها المخدرات التى تجعلك تظن، أنك إذا لم تقل الحقيقة وتعتزف بها، فإن الحقيقة تختفى وتصبح غير موجودة بشكل ما، لكنك تكون أعمق تغش نفسك، وإذا أشار أى شخص لللى أو قال لها أنها تسيء إلى طفلها، فإنها ستجن، ولكنها كانت تعرف تماماً أنها تفعل ذلك، إنها المخدرات التى تجعل الناس جميعاً بعيدين عن الحقيقة، ولا يهمهم أى شيء، لأن ذلك الشيء لم يعد حقيقة بالنسبة لهم.

لكنه يظل كذلك وموجوداً فى الواقع.

تقول جيما إننا إذا لم نستطع التوقف عن المخدرات معاً فى هذا الوقت فيجب علينا أن نفترق، لقد فعلتها أنا أيضاً، ونجحت هذه المرة، وهذا هو سبب أهمية نجاحى فى التخلص من التعاطى هذه المرة.

كانت جيما قوية جدًا، واستطاعت التوقف عن الذهاب إلى صالة
البغاء، وتوقفت أيضًا عن الهيروين، وكان ذلك أمرًا صعبًا بحق، لذلك فقد بذلت
مجهودًا جبارًا معها، ولكنها كانت خارج السجن مع للى وروب وسالى وبقية الثثة،
وكانت تكتب لى مرتين أسبوعيًا، وقد كانت مخصصة فى ذلك فعلاً، لكنها حطمت
كل شىء الآن وفيما بعد، أستطيع أن أفهم ذلك، أنا أقدر الصدق أكثر من أى شىء
آخر، وعندما أخرج من السجن فسوف نرحل بعيدًا عن بريستول، وسيكون لنا
منزلنا الخاص، وسيكون جسمى قد أصبح نظيفًا من الإدمان لمدة شهر، كانت جيما
تتناول كميات قليلة من المخدرات، وأنا أعرف أنها تستطيع أن تكف عن التعاطى
لأنها لا تكذب مثلى، كنت أظاهر دائمًا بأننى لا أتعاطى أى مخدرات، ولكننى لم
أكن كذلك، إلا أننى أصبحت أكثر صدقًا مع نفسى، حتى وأنا أتعاطى مرتين أو
ثلاث مرات أو أربعًا يوميًا لعدة أسابيع وأسابيع، وكان أول شىء حدث عندما جئت
إلى هنا أنهم أخذوا منا الأصناف الجديدة التى كانت معنا وقالو لنا ما قالوه، وكان
هناك حوالى عشرة أفراد منا نحن المحتجزين هنا، وفجأة أخذ هذا الشخص فى
الكلام قائلاً: "لا يوجد أحد يمكنه أن يحتفظ بك هنا، وفى أى وقت تحس أنك قد
اكتفيت فهناك الباب"، وأشار إلى علامة خروج كبيرة خضراء فى الـركن،
واستمر يقول: "لكن أثناء إقامتك هنا غير مسموح لك يتناول أى نوع من المخدرات
أو العقاقير أو حتى الأسبرين".

فضحكنا جميعًا فى عصبية.

ابتسم وأضاف: "ولا حتى الحشيش"، استمر قائلاً: أنا أحب التدخين، ولكننى
تركته عندما أصبح ينبغى على الاستمرار بدونه، فهل تستطيع أنت الاستمرار بدون
مخدر كذلك؟".

أخذ الجميع يتحركون وهم جالسون في مقاعدهم، وضحكوا بصورة أكثر

يسرًا.

أكمل يقول: "إذا تم إلقاء القبض على أى شخص معه مخدرات من أى نوع ستكون أنت خارج الموضوع، لا أسئلة لا مناقشات، وذلك ينطبق على أنا أيضًا، وهكذا إذا وجد أى شخص يشعر بأنه ليس باستطاعته أن يفعل ذلك فمن الأفضل له أن يرحل الآن، حقًا، اذهب الآن، ويمكنك الحضور فى وقت آخر، انتظر حتى يتم إلقاء القبض عليك، وسوف يجعلونك تترك التعاطى إلى الأبد، أما إذا تم إلقاء القبض عليك وأنت تتعاطى المخدرات هنا فلن تعود إلينا مرة أخرى أبدًا".

وبالفعل قام شخصان من الموجودين وخرجا، وقد أغريت نفسى بالخروج، ولكننى كنت أعرف أن ذلك اختيار بين البقاء هنا أو الذهاب إلى مؤسسة الأحداث.

بدأت أعراض سحب المخدرات تبدو علىّ بعد ذلك، لم أشعر بمثل هذه الحال السيئة من قبل، كنت أقوم فى الحقيقة بتعاطى مقدار قليل من المخدرات لمساعدتى مثل الميثادون أو أى شئ آخر، كان ذلك فظيعة، وكنت قد تحطمت تقريبًا، وكنت مستعدًا لفعل أى شئ لو كان الأمر بيدى، جلست فى مقعدى أتأوه، وشعرت بمنتهى السوء، وكان الجميع يقولون لى: "هيا يا تار يمكنك فعلها، فقط بضعة أيام أخرى وسيكون جسمك نظيفًا خاليًا من المخدرات، ولكن كل ما كنت أريده فى نهاية الأمر هو الحقن، أخبرتهم أننى لن أستطيع الاستمرار، وطلبت منهم أن يستدعوا أحد المستشارين لأخبره برغبتي فى الرحيل، وكان المستشار هو ذلك الفتى الحالـم- ستيف الذى جلس وراقبنى قليلًا ثم قال: "هل تريد شيئًا يساعدك؟".

- "ماذا تعنى؟"

- "لا أستطيع أن أعطيك هيروين، ولكن لدى بعض الميثادون للحالات الصعبة ويمكنني كتابة روصة"، وقام بإخراج مفتاح قائلًا: "هذا مفتاح كابينة الأدوية، ويمكنك الحصول على الميثادون في دقيقتين إذا أردت".

الميثادون هو بديل الهيروين الذي يعطونه للمدمنين لعلاجهم فعلاً، إنه أسوأ من الإبر في بعض الحالات، إن علامات انسحاب المخدرات من الجسم والتخلص من السموم كانت سيئة، بل أسوأ من الإدمان نفسه، ولكن الهيروين غير قانوني أما الميثادون فهو قانوني، لذا... أخذت ألته وقلت له: "نعم من فضلك، أعطني أى شىء".

- "اتفقنا، سأذهب وأحضره، احزم حقيبتك".

- "ماذا؟".

- "احزم حقيبتك، إذا أردت بعضاً من المخدرات، يمكنك الحصول عليها ولكن ينبغي عليك الرحيل من هنا فى هذه الحالة"، وأخرج المفتاح قائلاً، "أمامك دقيقتان للاختيار يا تار".

أخذت أحملق فى ذلك المفتاح ثم حملت فابتسم... قلت له: "فقط... اللعنة".

لقد كانت المخدرات قريبة جداً منى.

كنت غاضباً وقتها، ولكنهم كانوا يعرفون ما الذى يفعلونه، لقد كانوا معاونين ومدعمين حقاً، ولكنهم كانوا يجعلونك تضطر لأن تقاوم فى كل خطوة فى طريقك، لقد اكتشفت فيما بعد أن ستيف هذا كان مدمناً لمدة خمسة عشر عاماً، خمسة عشر عاماً كاملة ثم استطاع التخلص من الإدمان، إذن التخلص من الإدمان أمر ممكن وليس مستحيلاً.

كان يوجد أحد المستشارين هنا ممن كانوا من مدمنى الكحوليات فيما سبق، كان شخصاً سيئاً حقاً، اعتاد أن يتناول الكحوليات منذ الصباح ولم يكن يفارق الجعة المعتقة أبداً، كان يتناولها بمجرد أن يستيقظ، وكان دائماً يتأكد أن لديه قليلاً من الجعة المعتقة بجانبه لكي يستطيع تناول مشروبه بمجرد أن يستيقظ، وعندما يشربها كانت معدته ترفضها فتخرجها قتيلاً فى الحال، ولم يكن يستطيع الحصول على كمية أخرى من الجعة لأن ذلك كان هو كل ما لديه منها، لذا كان بقاءه فى يده، ثم يعود ليشربها من جديد...

لكنك لو رأيته الآن لوجدت أنه قد أصبح شخصاً عادى المظهر تماماً، فقد توقف عن الشرب منذ عشر سنوات، عشر سنوات كاملة، ثم رأى فى إحدى الليالى أنه قد تغلب على إدمانه وتجاوزه تماماً، وأنه يستطيع الآن أن يرتاح قليلاً، لذا تناول شرباً وكانت هذه هى النهاية، فقد استيقظ فى الصباح التالى، ورأى أنه لا يوجد سوى شئ واحد فقط يمكن أن يجعله يحس بأنه أفضل مرة أخرى، وقد فعله، لقد عاد إلى الجعة المعتقة مرة أخرى لمدة أربع سنوات.

أتذكر ديف ورفيقته عندما عزا على التوقف عن التعاطى، وقاما بحجز مكان لقضاء إجازة فى جزر الكنارى، هل تعرفون ما الذى حدث؟ لقد قابلا على الطائرة شخصاً ما وكان تاجر مخدرات ومعه كمية منها.

إن ذلك هو أحد الأشياء التى يعلمونك إياها، إنك تستطيع ألا تمس تلك الأشياء مرة أخرى، مهما كانت، سجانر، بيرة، إبر، لا يهم ما حدث لى، لا يهم ما أفعله أو ما لا أفعله، أستطيع ألا ألمس الهيروين مرة أخرى، ليس بسرعة ولا دفعة واحدة لأننى لست قوياً بشكل كاف، وهو أقوى منى، وذلك شئ مهم يجب أن أتذكره دائماً...

إنهم يعلمونك أشياء مثل ذلك، ولكن التركيز هنا يكون دائماً على العلاج، نحن نجلس، نتحدث بعضنا إلى بعض ويجب عليك أن تذكر كل شيء، والناس هنا يستمعون إليك دائماً، إنهم لا يحاكمونك، ولا يوجهون إليك السباب الذى يوجهه إليك، عادة أولئك الناس الذين ليس لديهم أى مشكلات أبداً، والشىء الآخر، والذى ربما يكون هو الشىء الرئيسى أنهم ليسوا مثل كل المدمنين الذين أعرفهم، لأنهم يريدون التخلص من الإدمان فعلاً.

لدينا هنا جميع أنواع المدمنين، مدمنى السرعة، ومدمنى الهيروين، ومدمنى مشتقات حمض البريتيوريك المنوم، وأناس آخرون من مدمنى الفاليوم، وتوجد سيدة فى مثل عمر أمى تقريباً كانت تتعاطى الفاليوم لمدة ثلاثين عاماً، تخيل لقد كانت مدمنة الفاليوم طوال هذه السنوات، كان اسمها نانسى، ويبدو أنه يوجد الكثيرون من أمثال هذه السيدات، وقد جعلنى ذلك أفكر فى أمى بطريقة أفضل، فلقد وجدت أمى على الأقل عقاراً أكثر تسليّة من الفاليوم.

كان لدى نانسى ابن فى مثل سنّى لم تره منذ فترة طويلة، فقد أخذه منها عندما كان فى الثامنة، وبالطبع أنا كذلك لدى أم لم أرها منذ فترة طويلة، وهكذا شعرت بأنه كان يوجد شىء مشترك بيننا نحن الاثنين.

ذهبنا معاً للتجول حول المكان وسألتنى كيف يكون ابن المدمنة، وسألتهما ماذا عن كونها أمّاء، لم تذكرنى كثيراً بوالدتى من الناحية الفعلية، ولكنها جعلتنى أشعر بتحسّن لأنى كنت أعتقد أن ذلك كان يساعدها، وإذا لم يكن قد تم إبعاد ابنها عنها، فربما يكون قد انتهى به الأمر بأن يصبح مثلى، انظروا، لقد كنت مفيداً لها بطريقة ما.

ارتبطت نانسي بى جدًا، وكان الآخرون يلوموننى أحيانًا من أجل جيما، فقد حكيت قصتنا للجميع، وأصبحوا يعرفون أنها هربت من منزلها بسببى، إنها لم تكن لتهرب من منزلها أبدًا لو لم أكن موجودًا، وبهذا المعنى فإن الغلطة كانت غلطتى، أنا المسئول عن أنها قد أصبحت مدمنة، وقد رأى أغلب الناس هنا أنه ينبغي على أن أتركها، لأنه يوجد شيء ما مشترك بين المدمنين يجعلهم يشجعون بعضهم بعضًا على التعاطى حتى يصبح من الصعب عليهم، حتى ستيف قال لى عدة مرات إنه يجب علينا أن نفترق.

ولكننا نحب بعضنا... وهذا لا يمكن أن يكون أبدًا شيئًا سيئًا، هل يمكن ذلك؟، كيف يمكن أن يكون الحب سيئًا؟.

تقول نانسي: "ارتبط بها يا تار إذا كنت تحبها".

كانت نانسي قد انفصلت عن زوجها منذ إيمانها، ولكن ذلك لم يجعلها تتحسن، بل إنها ازدادت ضياعًا، وأصبحت أسوأ، إن المسألة ليست هى العلاج نفسه، فهو ليس ضروريًا كما يقول الجميع، ولكن الشيء المهم هو أنه يجعلك تفكر، إنه يجعلك تتحدى نفسك، وكل هذه الأشياء عن جيما قد جعلتلى حقيقة أفكر فى نفسى وفيها، وكنت كلما فكرت فيها تأكدت أننى أحبها.

وكان يوجد أيضًا هذا الشخص، رون، وهو أسكتلندى كان متورطًا فى كل شيء، ويبدو عنيفًا أحيانًا، ولكن فعليًا كان شخصًا من النوع اندافى، أدمن الجعة مع البيروين، وكان يخطبها مغًا لأنه... أقصد، إنه شخص ضعيف، كلنا كنا كذلك، وهذا هو سبب وجودنا هنا، ولكنه ساعد الكثير من الناس نكى يستبصروا بأشياء كثيرة عن أنفسهم، إنه فطن جدًا، لكن عندما يقول الناس عنه أى شيء فإنه لم يكن يستطيع التعامل معهم.

وعلى أية حال، فقد مضى على وجودى هنا أسبوع كامل، وكنا تحت العلاج، وجاء دورى فى الحديث، كنا نتحدث دائماً عن أمى، وكنا دائماً نُنهى الحديث بأمى أيضاً، وكان سبب ذلك واضحاً لأنها كانت مدمنة مثلى، ولأنها كانت ضحية مثلى، فقد كان أبى يضربها ويطرحها أرضاً دائماً، ثم جلس رون فجأة وقال: "حسناً، نحن نتحدث عن أمك وكيف أنها ضحية، وكيف أنها جعلتك أنت أيضاً ضحية، وكل تلك الأشياء المشتركة الموجودة بينك وبين أمك، لكن ماذا عن أبيك؟ ما الشيء المشترك بينك وبينه؟ ماذا عن القليل من التعاطف مع هذا الرجل العجوز؟".

نسف ذلك كل شيء وفجره، أطاره فى الهواء، ودارت مناقشة حقيقية فى ذلك اليوم، جلست أستمع فقط لى أنهى ما بدأته، وكانت بعض السيدات مستاءات من ذلك، وقلن: "نحن نتحدث عن رجل يضرب النساء، نحن نتحدث عن رجل يضرب زوجته وابنه الوحيد".

- "آه، لكن ما الذى فعلته هى له؟ لا بد أن لها يداً فى ذلك الذنب القديم، أراهن... أراهن أنها تعرف كيف تلفه حول إصبعها الصغير، لأننى سأخبركم، لقد قابلت سيدة مثلها من قبل، أقول لكم إنهن لسن عاجزات قليلات الحيلة، فى الحقيقة، أراهن على أنها هى التى تدير الأمور بالفعل فى ذلك المنزل".

فصرخت هذه السيدة: "ليس ذلك هو نفس الشيء"،

أصبحت غاضباً بحق، وقد حاول المرشد أن يعيد الحديث إلى مرة أخرى، ولكننى لم أستطع الإجابة، لقد كان ذلك حقيقة، لكننى لم أفكر أبداً فى ذلك الأمر من قبل، فقد كانت أمى هى الرئيس فعلاً، وهى التى كانت تتحكم فى البيت، وعلى الرغم من أن أبى اعتاد أن يضربنى، واعتادت هى أن تعيش فى رعب من عودته

إلى البيت، ولكنها كانت الرئيس حقاً، حسناً، لقد اعتادت أن تلغنى حول أصبعها الصغير وتلفه هو حول الأصبع الآخر.

قال رون: "ماذا عن ذلك يا دافيد"، ومال نحوى وابتسم قائلاً: "هل تحب أن تعود إلى هناك وتعطى المرأة العجوز ضربة جيدة... مثل أبيك؟".

- "إيه؟ ربما كان على حق... إيه؟".

سمعت الآخرين يتذمرون عندما قال ذلك، وقالوا: "لا يوجد طريقة لحل مشكلاته".

- "أنا لم أقل إنه كان ينبغي عليه أن يفعل ذلك فى الماضى، لكن أقول إنه يجب عليه أن يفعل ذلك الآن... حقاً، اسمعوا... لقد ضربت امرأة من قبل، وقد أفعل ذلك مرة أخرى".

- "هل تهدونى؟ هل تهدونى؟".

- "لا، اسمعنى... لا، لن أفعل...، أنا أقول..."، بدأت الأصوات تعلو فى القاعة وأخذوا فى الصياح والتذمر: "لا، انظرى، أنا أتوقع وجود عواطف جياشة، فلماذا لا يكون لوالد تار مثل هذه العواطف، إنه لا يحصل إلا على القليل من العاطفة، أقصد أنه يستحق السؤال عنه، ألا يستحق ذلك؟ أقصد لا تتوقف عن كونك آدمياً لمجرد أنك ضربت امرأة، أليس كذلك؟ أم أنه ليس مسموحاً لى بالقاء الأسئلة؟ لقد فهمت أنه لقاء علاجى حر...".

هذه السيدة، كان اسمها سو، وقد أحست بالغضب فعلاً، لقد قام زوجها بضربها أكثر من مرة، وشعرت بالأسى نحوها؛ لأنها تعلمت أن تساعد وتدعم نفسها بنفسها فقط وها هو رون يقول كل ذلك فيذكرها بالأمها.

وقال رون إنه ينبغي على أن أتصل بأبى وأسأل عن حاله وعن مشاعره،
لقد فجر رون رأسى تماماً.

- "حسناً"، كان لأبى بعض العضلات، لكنه فقدوها الآن، فبدأ فى الضرب
بالسوط، ولكن لماذا؟ كيف أصبح يقهر غيره هكذا؟ هاى... لدى فكرة، ربما كانت
هى التى تريده أن يضربها. ربما ذلك كان يروق لها....

وقد أغضب ذلك بعض الناس حقاً، وأنا منهم، وكنت جالساً بجانب نانسي،
ونظرت إليها لأرى ما الذى تظنه، ولكنها هزت رأسها فقط ثم قالت بعد ذلك
إنها تعتقد أن رون كان يستنتج الأشياء فقط.

لا أعرف إذا كان ما قاله هو الحقيقة، ولكنه أوضح لى شيئاً واحداً، وهو
أننى لم أفكر فى علاقتى بأبى أبداً من قبل، وقد أستطيع أن أتصل به أو أذهب
لزيارته فى أحد الأيام عندما ينتهى كل ذلك... ربما، وكذلك أمى أيضاً، ولكن ليس
الآن لأن كل هذا كان يمكن أن ينتظر، لكنى أحتاج فى هذه اللحظة إلى الاحتفاظ
بكل قوى لجيما.

لم أعد أثق بأى شىء، لم أعد أثق بنفسى ولا بأصدقائى ولا أثق بجيما
أيضاً، ولكنى لا أقصد ذلك بشكل فظ، إن الشىء الذى يجب أن أتذكره هو أننى
ضعيف وأنهم ضعاف ولا أستطيع أن أقوم بذلك بمفردى، وإذا كنت شخصاً مدمناً
فلا بد أن تحصل على مساعدة خارجية، ليس من شخص ولا من منظمة
بالضرورة، لا بد أن يكون أعمق من ذلك، قوة ما خارجة عنك أقوى منك بحيث
يمكنها توجيهك عندما تحس بالضعف.

لا أعرف ما الذى كانوا يقصدونه عندما قالوا ذلك، ولكن ربما حصلت على فكرة عن ذلك الشيء الخارجى، لا بد أنه شيء مختلف بالنسبة لكل شخص، أنا أعرف ذلك، إننى لا أستطيع الثقة بنفسى مرة أخرى، وأعرف أننى لا أستطيع أن أثق فى جيما أيضًا، على الرغم من أنها أقوى منى فإنها لا تزال ضعيفة، ولكن ماذا عن الحب؟.

كنت أنظر إلى خطاب كتبه لى فى اليوم التالى، وإلى تلك الكلمات المكتوبة فيه: "يا هندباء أنا أحبك..." وفكرت أن ذلك كان سحرًا، حب شخص ما، إنه ليس أنت وليس هم.

إنه ليس فى داخلك، إنه بينك وبين طرف آخر، إنه أكبر وأقوى منك.

إن ذلك هو ما لدىّ، ذلك هو كل ما لدىّ، عندما تفكر فيه، لقد تلاشت شخصيتى تقريبًا، عندما أدمنت الهيروين، بالرغم من أننى قد ابتعدت عن الإدمان الآن فإننى لا أزال لا أعرف من أنا، أنا أعرف فقط أننى ضعيف وجيما ضعيفة، وأنى أحب جيما، وأنها تحبنى كذلك.

هندباء. هندباء. ذلك ما أؤمن به، إنها الشيء الوحيد الذى يمكنه أن يساعدنى الآن.

قال لى ستيف: "عندما تعود إلى المنزل فستعرف من أول يوم ما إذا كنت ستستطيع أن تصمد خلال ذلك الأسبوع؟".

قلت: "سوف".

لقد قلت ذلك من قبل، والآن أنا أعرف أنه لم يكن لدىّ أى شيء لكى أصرح به.

(٢٤)

سالى

كانت كل تصرفات جيما تتبى بأنه سيكون هناك حفل زواج، وشهر عسل، وكانت جيما تقفز، وتعلو وتهبط وتقبل تار وتحتضنه، فكان وجهه يحمر خجلاً، لقد تغير تماماً... تماماً، وبدأ أفضل بكثير، وقد كنت فظة تجاه ذلك الموضوع كله، ولكن يجب على المرء أن يحتفظ بفكره مفتوحاً وإلا فلن يتغير شيء أبداً.

وفيما بعد، أخذ تار فى التصرف كما علموه، وكان يحتاج إلى مساعدتهم، ولم يكن هناك ما يستطيع فعله بدونهم، أو ما يقوم به بمفرده، لأنه كان يحتاج إلى مساعدة خارجية، كانت للى تبدو ساخرة، قالت: "غسيل مخ. نعم، يا له من علاج، لقد عالجه من إدمان أحد المخدرات وورطوه فى مخدر آخر، لقد عملوا عملاً جيداً فيك يا صديقى...".

حسناً. كانت للى على حق، ولكن لم يكن يحق لها أن تقول ذلك، ربما كان فى حاجة إلى غسيل مخ، مسكين تار.

لكرتها بكوعى وقلت: "اتركيه وشأنه، إنه يقوم بدوره على ما يرام".

- "نعم، لقد وضعوك فى السجن، وأغلقوا رأسك ثم أعطوك المفتاح، فكيف يمكن أن تخرج من هذا السجن؟ لقد صنعوا لك سجنك الخاص، فذلك الأسلوب أرخص بالنسبة لهم..."

اختلفت معها فعلاً لأنها كانت سيئة، وكان يحتاج لهذا الشيء، وجلس تار يشرب كوباً من النبيذ وقال: "يمكنك التفكير كما تشائين يا للى، إنك مخدرة الآن، وأنا غير مخدر".

كرهت للى ذلك، وذهبت فيما بعد إلى الحمام وأحضرت بعض قطع الصابون التى كسرتها إلى قطع صغيرة وأخذت تدفع بها إلى أذنه وأنفه.

أصبح تار منزعاً الآن مما تفعله للى، وقال لها: "توقى عن ذلك يا للى".
فقالت له: "ذلك كى يظل عقلك نظيفاً".

يجب أن تضحك يا تار المسكين، فقد كانت للى تقوم بإلقاء بعض المواقظ؛ لأنها كانت لا تحب أى عقيدة أو معتقد سوى عقيدتها ومعتقداتها الخاصة.

كانت جيما قد استعادت شخصيتها القديمة فى ذلك الوقت، تذكر ذلك، لقد أرادت أن تجعل العالم يرى مدى سعادتها بأن تضع يدها فى يده مرة أخرى، وتبدو مسيطرة عليه تماماً، لكن الأمر كان مختلفاً فى اليوم السابق، ذهبت إليها لكى أساعدها فى إعداد الحفلة، وكانت تعد سلطة أرز وتبدو فظيعة فعلاً، لم أقل شيئاً، أنتم تعرفون، أن فتاهها سيتخلص من سموم المخدرات التى فى جسمه اليوم، ودخل شخص آخر قائلاً: "يا للمسيح، أنت تبدين قبيحة فعلاً هذه الظهيرة..."

كان يوجد بعض الخلاف بيننا؛ لأننى اعتقدت أنها قد تحتاج إلى بعض المخدرات لكى تستطيع الاستمرار، وعرضت عليها أن أساعدها قليلاً، ولكنها

رفضت، كانت تضخم الأشياء وتصنع شيئاً كبيراً من لا شيء، ولكننا جميعاً كنا نعرف أنها كانت تنهار من وقت لآخر، إن الموضوع هو...، يقول الناس إن أصدقاءك يمنعونك من التخلص من الإدمان، ولكنك سوف تعود إلى التعاطي في الوقت المناسب، وإذا أردت مقاومة المخدرات في الوقت الخطأ فإنك تخرج نفسك وتجعل الأمر أكثر سوءاً، لكني لم أقل أى شيء، وأحضرت سكيناً وساعدتها في تقطيع ثمار الفلفل.

كنت أراقبها وقد احتفظت بفي مغلقة بقدر استطاعتي، وأخيراً رفعت ذراعها فوق رأسها وأخذت في البكاء، لففت ذراعي حولها وقلت لها: "ماذا هناك يا جيم؟"، فأخرجت كل ما بداخلها وقالت: "لقد خذلت تار حقاً، وقلت كل هذه الوعود و... ولكنني حطمت كل شيء".

لقد فوجئت بذلك حقاً، أنتم تعرفون، كانت تؤدي دورها بامتياز وتحولت إلى حياة جديدة، توقفت عن الذهاب إلى صالة البغاء، وكانت تحلق شعر جسمها من أجل تار، وكفت عن استخدام الإبر.

قالت: "أنا آخذ المزيد من الإبر، وقد تعاطيت بعضها اليوم، وهو يحتفظ بجسمه نظيفاً من المخدرات لكن انظروا إلى...".

ثم ذهبت للخارج، فلحقت بها وسألته: "ما مقدار الكمية التي تعاطيتها اليوم؟".

- "قمت بتناول بعض المخدرات اليوم، عندما أحسست بالضعف والانهايار...".

- "ومتى فعلت ذلك من قبل؟".

دعكت عينيها وقالت: "قبل أمس".

أى أنها اعتادت على ذلك كل يوم، مرتين أو ثلاث مرات، اعتادت أن تفعل ذلك أكثر منى، لكنها توقفت الآن، وأصبحت تأخذ كمية قليلة عندما تحس أنها ليست على ما يرام، ولكنها أخذت تلوم نفسها بعد ذلك وتحول المجهود العبقري الذى بذلته إلى فشل وضياح؛ لأنها لم تستطع أن تكون سوبر امرأة أو امرأة حديدية.

قالت وهى تنن: "لكن تار لم يفعل أى شىء".

- "حسنًا، إنه لم يفعل ذلك بالطبع، لأنه محاط بكل هؤلاء الناس الذين يحرصون على التأكد من أن جسمه نظيف وخال من المخدرات، وأينما كان تار فيجب أن تكونى قوية كالجحيم"، ثم أضفت: "لقد فعلت ذلك كله وأنت بمفردك، إنك حقًا تبلين بلاءً حسنًا".

- "لكن جسمه لا يزال نظيفًا من المخدرات، وأنا لست كذلك، ولا أظن أنني كنت قوية بالقدر الكافى للابتعاد عن التعاطى، فأنا أحبه بالفعل، أنا أحبه كثيرًا يا سالى، وأعتقد أنني سأسحبه معى إلى الهاوية...".

- "اسمعى...".

وأخذت أحاصرها قائلة: "أنت محظوظة حقًا وأتمنى أن أشعر بمثل هذه المشاعر تجاه أى شخص، أنت تعرفين كم أنت محظوظة يا جيم...".

ابتسمت لى من خلال دموعها.

- "ستكونين بخير".

- "ينبغي أن أذهب بعيداً، لقد كنت أفكر ما إذا كنت قوية بالقدر الكافي، ينبغي أن أرحل وأتركه لأنه ربما يجد فرصة أفضل بدوني".

بدأت أشعر بالغضب منها قليلاً فقلت لها: "أنت مجنونة، إنك لا تتركين شخصاً ما؛ لأنك تحبينه، أنت مجنونة...".

وأخذت أضحك، وبدأت هي أيضاً فى الضحك قليلاً من خلال دموعها؛ لأن ذلك كان غباءً شديداً منها، وأخذنا جرعة أخرى صغيرة، كانت منزعة من ذلك جداً، ولكنك لا تستطيعين أن تحولى نفسك إلى سيدة سوبر أو حديدية، لقد تعاطت جرعة، لكن تار لم يتمكن من رؤية أى علامات إبر عليها؛ لأنها لم تأخذ أى إبر منذ أسابيع، وكانت تلك حركة عبقرية منها، لكنها كانت تتمزق فعلاً وتتسائل ما الذى سيجده تار فى انتظاره عند عودته إليها مرة أخرى؟.

قلت لها إنها لا تستطيع أن تكون قوية إلى الأبد، وينبغي عليها أن تتعلم أن تستمد منه بعض القوة، وأخبرتها أنه يستمد قواه منها منذ وقت طويل، وربما يكون قد حان دورها الآن، ولو كان للسجن الذى دخله أى فائدة؛ فهى أنه جعل جسمه يظل نظيفاً وخالياً من المخدرات لمدة شهر، وها هو يعود من السجن ولديه القوة الكافية لهما هما الاثنين ليتوقفا عن التعاطى.

كانت جيما خائفة من ألا تكون قادرة على مواجهة الموقف عندما يحين وقت الحفلة، فلا تستطيع التعامل معه، ولكنها كانت عبقرية، كانت تعرف كيف تخلق الفرصة المناسبة، وكانت تغمم بينها وبين نفسها، بينما كان تار بارداً مثل الخيار على الرغم من أنه كان فى الماضى يبدو كأنه مجرد شيء صغير.

لاحظت غياب روب فيما بعد، ثم أدركت الدافع الذى يمكن أن يكون قد اضطره لذلك، وعندما صعدت إلى الطابق العلوى وجدته يتعاطى فى غرفة النوم، ويمكنكم أن تخمنوا من الذى كان معه.

حسنًا... لم يستغرق ذلك الأمر زمنًا طويلًا، أليس كذلك، وقد تشاجرت مع تار بسبب ذلك، وأستطيع أن أقول إن جيما قد حاولت جهودها وقامت بدورها جيدًا، وكان تار يقول لها: "يا لها من حفلة رائعة"، وقد تناول جرعة صغيرة لأنه كان يومًا حافلًا، وكان يشعر بأنه تافه وضئيل أمام كل هؤلاء الناس، وفكرت فى أن ذلك لم يكن يعنى أى شىء، ولكن بالطبع أنا أعرف ما الذى كان يقصده بالضبط.

جلست على السرير وأخذت الجرعة، وأخذنا نتحدث حديثًا تافهًا عن لا شىء، ثم دخلت للى... ووقفت تنظر إلى تار وتشير إليه وتردد: "نعم... نعم...".

ابتسم تار بمكر، ويمكنك أن ترى أن كل فرد كان يتصرف بطريقته الخاصة، ثم أخذت للى تلف وتدور فى الغرفة وهى تنظر خلف الدولاب، وفى الأدرج، وتجت السرير وهى تقول: "أنتم تعرفون ماذا أفعل؟ أنا أبحث عن الله فى كل مكان ولا أستطيع أن أجده فى أى مكان".

الله موجود بالطبع، ونحن نعتقد بموجوده، وقد كان تار يعنى ذلك عندما كان يتحدث عن شىء ما موجودًا خارج نفسه يساعده ويدعمه، وقالت للى لتار: "إن ذلك لم يجعلك تتوقف لفترة طويلة، أليس كذلك؟".

فقال تار: "إنها ليست مشكلة بالنسبة لى يا للى، أنا آسف إذا أزعجك ذلك".

قال ذلك وهو يبتسم إليها كما لو كان طفلًا يشرب كوبًا من اللبن.

رجعت للرقاد على السرير مرة أخرى، وأغلقت عيوني، بدون أن أزعج نفسي، وقلت شيئاً ما ولكنه لم يبد مهتماً أيضاً، لا أفترض أنه قد اهتم فعلاً، فهو لم يتعاط أي مخدرات منذ أكثر من شهر، إنه محظوظ، ويمكنكم ملاحظة ذلك بالنظر إلى وجهه، لقد شعر بالراحة، وحتى لى ظلت تحمق فيه إلى أن أخذ يتململ فى مقعده، ثم قال أخيراً: "لقد تناولت جيما بعض المخدرات".

قالت لى: "أوه، إن ذلك حسن إذن"، ثم أكملت موجهة كلامها لروب: "لقد كنت شريكاً لها فى ذلك".

قال روب: "لقد طلبت منى ذلك، فما الذى يفترض أنه يجب على أن أفعله".

قلت: "أوه، اتركه لحاله، يا لى، من أجل الله، من المفترض أنها حفلة".

- "انظري إليه، إنه مستيقظ فعلاً...".

قال: "لقد تناولت جرعة، لكنى لم أستخدم الإبرة".

قلت: "إنك تضخمين الموضوع يا لى، إنها حفلة".

قال تار: "لكن ذلك لا يعنى أننى لم أتوقف عن التعاطى".

قلت: "يا إلهى، لقد تعاطى لأنه كان يتشوق للمخدرات".

تدخلت لى مباشرة: "أوه، نعم، إنك كنت تتعاطى، ولكنك لم تزل ممتعاً عن

التعاطى بالتأكيد".

- "... إنها حفلة، على أية حال، وقد تعاطت جيما بعض المخدرات الليلة،

لقد أخبرتنى بذلك وسألتنى إذا ما كان كل شيء على ما يرام".

- "وأنت قلت نعم".

ابتسم، فأخذت أفكر... آه... أيها الداهية الماكر، يمكن لجيما تعاطي بعض المخدرات لأنها تستطيع بعد ذلك أن...

حسنًا، أنتم تعرفون، إنها المخدرات، كلنا نسير على نفس الوتيرة، ودائمًا يوجد سبب ما عندما نريد فعل أى شيء.

ثم قال: "لا تخبريها من فضلك، هل ستفعلين ذلك يا للى؟ إن ذلك لن يفيدنا فى شيء، إنك لن تقدمي لها أى معروف بذلك".

اعترضت للى: "نعم، أنت تريدنى أن ألعب لعبتك، بماذا ستشعر غذا؟".

- "أتوقع أننى سأفكر فى شم بعض الهيروين يا للى".

دارت للى فى الغرفة قليلاً ثم هجمت على روب، الذى كان جالساً فى هدوء، وهو يعرف أنه لا يمكن أن ينطق بأى كلمة عندما تصمت للى، كان يحضر لها بعض المخدرات، وهو الآن يسلمها لها، وقد جلست للى على حافة السرير، وبدأت تبحث عن وريد خلف ركبته.

كنت قد سمعت ما فيه الكفاية، ونهضت واتجهت نحو الباب.

قالت: "ماذا بك؟".

التفت إليها وقلت: "أنت تحذرينه من المخدرات بمحاضرة طويلة بينما توجد إبرة مخدرة مغروسة فى جسمك"، ثم صفعت الباب وخرجت.

أنت للى تعدو إلى الباب وانحنيت على الدرابزين وهى تصرخ فى: "أيتها القدرة اللعينة هل تسميننى مدمنة؟ هل تقولين إننى منافقة؟".

تجاهلتها فقط واستمررت فى النزول، لم أنظر حولى، أنا أعرف أنها لن تنزل من أجلى، لقد كان لديها أعباؤها الخاصة فى غرفة النوم، ولم يكن من المحتمل أبداً أن تترك غرفة فيها مدمنون يتعاطون.

وصلت إلى أسفل السلم وأنا أتخيل أننى إحدى نجومات السينما فى أفلام الخمسينيات وهى تهبط الدرج الطويل بجونلة منفوشة، واستدارت كل الرعوس، وكانت كل الرعوس تستدير ليس لأننى كنت أبدو جميلة جداً بالطبع، وقفزت من على آخر درجة فى السلم وفكرت، إذن هى ليست مدمنة، هل تفرط هذه الفتاة فى قرش واحد من أجل شراء أى شىء؟.

(٢٥)

ريتشارد

ساعدى... ساعدى... ساعدى... ساعدى
ألق إلى بسطر من الهيروين وسوف أردّه إليك
ساعدى... ساعدى... ساعدى... ساعدى
ولكن ما أحتاجه حقًا هو النقود.

لوركي

قلت: "هل جسمك نظيف من المخدرات؟".

- "نوعًا ما".

- "أنا لا أريد أى إبر فى هذا المنزل بعد ذلك".

رد "أنا لست بهذا السوء".

بدأ تار مساءً قليلًا، لم أسأله أى سؤال بعد ذلك، كنت أعتقد أنها مجرد زيارة، وتناقشنا حول عطلة نهاية الأسبوع، ثم أغلقت الهاتف.

كنت أعيش مع ساندرا فى ذلك الوقت، وقد قضيت معها وقتًا رائعًا فى أستراليا، وفى جنوب شرق آسيا، سافرت إلى هناك بالدراجة البخارية، وقد تعودت

على الذهاب إلى الغابة الجديدة بانتظام، وعندما نزلت الدراجات البخارية الجديدة التي تصعد إلى الجبال في الأسواق وعلمت بذلك، وعرفت أنها أفضل بكثير من الدراجات العادية اشتريتها، وكان ذهابي إلى جنوب شرق آسيا هو الخطوة الأولى فقط في رحلتي وسأزور الهند في الخطوة التالية.

نمت على الشاطئ، وسبحت، ثم ركبت الدراجة مخترقًا الغابة لمسافة خمسة عشر ميلاً، وكان هناك فراشات ضخمة في كل مكان، كبيرة كالطيور، وأخذت أفكر، أنا أعرف أفضل مكان يمكن أن أعيش فيه، من الأفضل... لذا عندما عدت، ذهبت للعيش مع أصدقائي في برمنجهام لفترة، ولكنها مدينة لم أعش فيها أبداً من قبل، وهناك قابلت ساندرا، وكانت تسكن في نفس المنزل الذي يعيش فيه أصدقائي، ووقعنا في الحب الأفلاطوني، لكنني لسوء الحظ لم أكن بارعاً في ذلك النوع من الحب، ثم حصلت على مكان في الكلية في "ريدنج"، ريدنج، لا بد أنني مجنون، وذهبت وأجريت مقابلة للعمل في محل لبيع الدراجات هناك ومنحوني الوظيفة.

هذه هي الحياة، فقد عدت أفكر في الحصول على نقود كافية لأنطلق إلى الهند سريعاً، وبدلاً من تحقيق ذلك انتهيت بالعيش مع ساندرا في شقة في وودلي، وكان أسوأ ما في الأمر هو أن ساندرا قد أحببت تلك الشقة كثيراً، واستمرت واقعاً في الحب، ولكن ذلك كان يجعلني دائماً غير سعيد بدون أن أعرف السبب في ذلك، وعندما أخبرت ساندرا عن تار رفضته بشدة، وحاولت أن أخبرها كم هو شخص محبوب، وعن طفولته البائسة، وما إلى ذلك، لكنها لم تتعاطف معه أبداً، وكان تخصصها هو العمل مع الأطفال المعاقين، وبتقديم التدريب العملي للتعامل مع

هؤلاء الأطفال، وقد أدى ذلك إلى معاناتها من مستوى عال من الإرهاق والاحترق النفسى، وكانت الأعمال المنزلية هى آخر شىء تود القيام به فى عطلة نهاية الأسبوع، وقالت معلنة عن رأيها: "إن المدمنين أناس سيئون".

أعتقد أنه بعد تعاملها مع أولئك الأشخاص من ذوى الاحتياجات الخاصة الذين لديهم كل هذا الكم من المشكلات والإعاقات فإن الإدمان سوف يبدو صناعة ذاتية نابعة من الفرد نفسه إلى حد ما، ومن ثم لا يصبح أمرًا مغريًا بالتعاطف معه على الإطلاق بالنسبة لها.

كان تار دائمًا ذا شخصية متقلبة، أقصد أن شخصيته قد أصبحت كذلك منذ إدمانه للإبر، وفقد هذه النظرة المتفتحة التى كانت لديه من قبل، كان ذلك بعد ستة أشهر من مغادرته للساحة، ومن الغريب أننى ظللت لا أحبه لعدة سنوات، ثم بدأت فى حبه عندما تغير لأول مرة، كان لديه ذلك الأسلوب الخاص فى محاولة إخفاء كل شىء، ولكن كل ذلك تغير الآن وأصبح أمره ينكشف بسرعة.

لقد غطى الهيروين على شخصيته الحقيقية بسرعة، ولكننى كنت ألمح بعض الدلائل والإشارات التى تطل من طرف عينه، أو فى ابتسامة بطيئة تنتشر على وجهه، برغم أنه كان يبدو خجولاً، وأخذت أفكر فى أن تار القديم لا يزال موجوداً هناك فى مكان ما داخله.

وفى بداية تلك الليلة، لم تكن الأمور سيئة إلى حد ما، وأخبرنى تار عن إفلاسه وفشله، وأعتقد أن تصرفه كان نبيلاً؛ لأنه ذهب وترك المكان عندما أصبح المكان يعج بالخنازير والتعاطى.

تحدثت تار عن العلاج، وكنت أنا شخصيًا أعتقد أنه قد أفاد منه كثيرًا، ولكن ساندرا لم تكن موافقة على ذلك، وقالت: "من الواضح أنك لم تسأم من ذلك العلاج بعد".

لم يكن ذلك مريحًا أبدًا، وذهبت ساندرا إلى الفراش مبكرًا، ولكنني مكثت قليلًا مع تار نتناقش، كان لديه الكثير ليقوله عن الإدمان والتخلص منه، وقد بدا ذلك موقفًا حساسًا بالنسبة لي، لكنني كنت أعتقد أنه بخير.

ذهبت إلى الفراش متأخرًا حوالي ساعة عن ساندرا التي غضبت مني بسبب ذلك وقالت: "أول شيء أريده أن يحدث في الصباح هو خروجه من المنزل".

لم أستطع أن أصدق ذلك وسألت: "لماذا؟".

- "إن رأسه يكاد ينفجر، ذلك هو كل شيء".

- "إنه يقول ذلك، لكن هل نظرت إلى عينيه؟".

- "إنه لم يكن ... هل كان؟".

وحتى لو لم أقل ذلك فإنها كانت على حق، فقد أصبح أكثر توهانًا وأكثر بلادة، أخذت حديقًا عينية تصفران، وكنت أدخن لذا لم ألاحظ ذلك فعلًا، ولكن عندما أعدت النظر إليه، رأيت أنه كان ثملًا وزائع البصر، وإن لم يكن الهيروين فهو شيء شبيه به.

قالت ساندرا بقرف: "لقد كانت حديقًا عينية مثل رأس اللبوس".

- "سأكلمه"، وعدتها بذلك أخيرًا: "ولكن لا تركليه خارجًا من فضلك، إنه صديقي، من فضلك".

اعترضت على ذلك، وافت نفسها بالحاف، ولكنها لم تجعلنى أطرده.

كنا نخطط للقيام بجولة بجانب النهر فى اليوم التالى، لكن أنا وساندرا كان لدينا عدة مهام لأدائها، أولاً، كنا قد نوينا قضاء صباح يوم السبت فى القيام ببعض الأعمال المنزلية مثل غسل الملابس وكيها ومثل ذلك من الأشياء، وكانت ساندرا منهمكة فى أداء هذه المهام، لكننا توقفنا عن ذلك عندما أتى أصدقاؤها لزيارتنا.

ذهبت إلى السوبر ماركت، وذهب تار معى، لاحظت أنه كان عصبيًا قليلاً أثناء ركوبنا فى السيارة، بدا محطماً، وقام بشراء بعض الباراسيتامول.

قلت: "هل تشعر بأنك لست على ما يرام؟".

قال تار: "بعض الأنفلونزا".

وكان عدد المرات التى سمعته هو وأصدقاؤه يتحدثون فيها عن إصابتهم بالأنفلونزا كثيراً جداً.

قلت: "أوه، نعم".

نظر إلى وجهى قائلاً: "حقاً، لقد أصبت ببعض الأنفلونزا".

أكد ذلك بجدية، وقام ببلع حفنة من أقراص الباراسيتامول.

لم أقل شيئاً، فقد كان مقنعاً، ولكن ساندرا فجرت القنبلة، وأخذت أفكر حسناً إذا لم يرد الاعتراف بهذا شأنه، ولكن من الناحية الفعلية لم يكن الأمر كذلك، وكنت أفكر فى أن ذلك سوف يسبب الكثير من المشكلات، وفكرت يا للهول إنه سيسبب المزيد من المشاكل، لأنه لو اكتشفت ساندرا انحداره... أه.

كانت العلاقة بينى وبين ساندرا ليست على ما يرام منذ عدة أسابيع، وذلك منذ أن انتقلنا للعيش فى ريدنج، وانفصلنا بالفعل بعد ذلك بـ عدة شهور، ولم يكن ذلك بالطبع مناخاً جيداً لتار العجوز لكى يقلع عن الهيروين.

كان لدى أمل أن يشعر بأنه أفضل عندما خرجنا فى الهواء النقى بجانب الماء، ولكننا عدنا إلى المنزل، وكان لا يزال لدى ساندرا بعض الأعمال التى ينبغى عليها أن تهيئها، كنت منزعاً من ذلك، وكان من الأشياء التى يمكن أخذها على ساندرا أنها كانت تكلم والدها على الهاتف طوال الصباح، لذا لم تقم بعمل أى شئ على الإطلاق ونحن بالخارج.

اقترح تار أن نخرج أنا وهو بمفردنا، لكن لا، إنها لم ترد ذلك أيضاً، لذا اضطررنا أن ننتظرها حتى تنتهى من كى الملابس، وقد رأيت أن ذلك سيستغرق منها وقتاً طويلاً، لذا قمت بتحميل غسالة الملابس فى المطبخ لمعاونتها فى الانتهاء من هذه الأشياء.

كنت أفكر فى أن أحدثها وأخبرها بأننى أظن أنه يتهاوى، لذا ينبغى علينا أن نساعد، لكننى وجدت تار واقفاً خلفى فجأة، وأخذ يجذب جاكته ليرتديها.

سألته: "إلى أين ستطلق".

قال: "سأعود".

- "لماذا؟".

لم يهتم للإجابة، وكانت عيناه تحديقان ناحية الأرض، وقال: "أحتاج إلى العودة من حيث أتيت، هل يمكنك إقراضى ثمن تذكرة الأتوبيس؟ لقد تركت نفسى بدون أى نقود".

أحسست أنني أخذه: "أوه... هل هي ساندرا؟".

- "لا، لا شيء بسببها، أنا لا ألومها على الإطلاق، يتوجب على العودة فقط...".

"لماذا؟".

نظر تار بعيداً عني، إلى الثلجة ثم إلى الحائط المقابل وقال: "أنا أتهاوى، لقد كنت أحاول، ولكنني شعرت بأنني لا أستطيع الاستمرار في ذلك، أريد العودة والحصول على بعض الهيروين" قال ذلك ونظر إليّ بدون اهتمام.

قالت: "لماذا لم تقل ذلك؟".

- "فكرت أنه من الأفضل أن أذهب، وسوف يحدث ذلك ولكنني لم أسمع لحدوثه، لكن ينبغي عليّ أن أعود".

- "ولكنك قلت إن جسمك كان نظيفاً من المخدر لمدة شهر".

- "لم أرد أن أخبرك أنني أتهاوى، لكن انظر".

قام بفتح ذراعيه وقال: "سأذهب فقط إلى المنزل".

- "أين كنت الليلة الماضية؟".

- "كنت عند بعض المحسنين، تناولت بعض جرعات صغيرة لمساعدتي خلال الليلة الماضية ولكن تأثيرها انتهى الآن، ولا أستطيع القيام بذلك مرة أخرى يا ريتشارد، أنا آسف، ليس هذه المرة".

بدأت في محاولة تغيير الحديث بأن أخبره بالتفكير في جيما، وكيف أنه كان يؤدي ما ينبغي عليه القيام به بنجاح، برغم أننا كنا نعرف أن ذلك مجرد أكاذيب،

وأنه لم يَقم بعمل أى شىء فى أى يوم من الأيام، لكننى وفى الواقع كنت مرعوبًا من مدى سوء أحواله، وكنت مستمرًا فى الحديث معه عن ذلك عندما دخلت ساندرا، ووقفت ونظرت إليّ، وإلى الجاكيت الذى كان يمسك به.

قالت: "ما الذى يحدث؟".

- "تار يريد أن يعود، لقد كان يحاول أن يتوقف عن التعاطى أثناء هذه الزيارة".

اعترضت ساندرا فقط، والتفتت وذهبت إلى الغسالة، وبدأت فى إخراج الملابس التى وضعتها فيها.

قال تار: "من الأفضل أن أذهب" واتجه نحو الباب.

"انتظر...".

كان يمكننى أن أقتلها فى تلك اللحظة، لقد أتى لرؤيتى لأنه اعتقد أننى قد أكون قادرًا على مساعدته، لقد كان صديقى، وهو لا يزال مجرد فتى يافعًا، وإذا صممت أنها لا تريد مساعدته فيجب علىّ أن أعطيه النقود الآن، وحدثت مناقشة حادة بسبب ذلك أيضًا.

عندما وصل إلى الباب عادت ساندرا وقالت: "كم المدة التى بقيتَها بدون تعاطى المخدرات".

التفت تار من عند الباب ونظر إليها قائلاً: "يوم واحد فقط".

قالت: "ماذا عن الليلة الماضية؟".

قلت بسرعة: "كان ذلك عقار الباربيتيوراتر، لقد تناول بعضا منه لمساعدته على التخلص من آثار أول ليلة، ولكن ذلك كله قد انتهى الآن".

اعترضت ساندرا.

قال تار: "أنت على حق، أنا مجرد مدمن، أنا مجرد مدمن، وأريد العودة فقط، وأن أستمر في...".

وبينما هو يقول ذلك أخذت التجاعيد في الظهور على وجهه، وبدأ في البكاء، ثم التفت وأسرع بالخروج وهو يبكي.

شعرت بالصدمة لأن تار قد بدا هادئ الأعصاب جدًا، وحملت في ساندرا، فنظرت إلى وأسرعت فجأة خارجة خلفه، كان تار عند الباب يفتح القفل، فألقت ساندرا بنفسها عليه وربت على كتفه، وعانقته بالرغم من أنه كان أطول منها وجذبتة بشدة إلى حضنها، ولفت ذراعيها بقوة حوله، لذا لم يستطع أن يتحرك، وظلت تحتضنه وتحتضنه، قمت واقفاً وأخذت أراقب وجهه من فوق كتفيها، كان رائعاً، وأخذ يبكي ويبكي ولم يستطع أن يتوقف، وقد خارت كل قواه، وعندما تركته ركع على ركبتيه، ثم رقد على جانبه، ووضع وجهه بين كفيه، وبكى وبكى وبكى.

قال: "أنا مدمن، أنا مدمن، أنا مدمن".

وأخذ يكرر ذلك المرة تلو الأخرى، رقدت ساندرا بجانبه ووضعت ذراعيها حوله، ورقدت أنا أيضاً ونصفي فوقه.

قال: "أنا مجرد مدمن، أنا مجرد مدمن". وهو يحاول أن ينهض ولكننا جعلناه يرقد ووضعت ذراعى حوله، وكنت أنا أيضا أبكى، ورقد تار تحت أقدامنا وهو ينتحب.

كانت ساندرا عبقرية عندما أدركت ما كان يحدث، كانت متعاطفة معنا، وبعد قليل عندما بدأت دموعه تجف، قالت: "لدى بعض المسكنات القوية بالطابق الأعلى هل يمكن أن تساعد؟".

أوما تار برأسه، وذكرت الباراسيتامول، فقال إنه قد تناول قرصين، ونظرنا أنا وساندرا بعضنا بعض، كان فى حالة سيئة، وكنا خائفين من أن يفعل أى شىء مؤذيا بنفسه، لذا مددنا إليه أيادينا ووضعنا فى جيبه ما يكفيه.

صعدت ساندرا وأحضرت المسكن، الذى كان الطبيب قد أعطاهها ذلك من أجل آلام الدورة الشهرية لأنها كانت تؤلمها بشدة فى الآونة الأخيرة، ثم تحدثنا فيما يجب علينا فعله- أنا وساندرا- بخصوص ذلك، تار جالس ينظر إلينا فقط، هل نذهب إلى طبيب ونحاول أن نحصل منه على روصة ميثادون، أم نعطيه بعض النقود، ونرسله فى إجازة إلى مكان ما.

ينبغى أن أترك الأمر كله فى يد ساندرا؛ لأنها سوف تناضل العمر كله لكى تتقذه بعد أن وقفت إلى جانبه وأخذت فى مساعدته، وكانت المشكلة أن تار لم يكن لديه أى شىء، توقفت الدموع، ولكنه كان عنيدا كالبعول، وكان يريد العودة لإحضار المزيد من الهيروين، ذلك هو كل شىء، إنه لم يتوقف عن أى شىء آخر، وعندما سألته إذا ما كان يرغب فى قضاء إجازة فى أسبانيا أو أى مكان على حسابنا، قال إننا إذا أعطيناه أى نقود فسوف يعود مباشرة إلى بريستول وينفقها على الهيروين، لذا فمن الأفضل لنا ألا نعطيه أى شىء على الإطلاق.

كان كل ما أراده هو أن نقرضه ثمن تذكرة الأتوبيس، وقررنا في النهاية أن نتوقف عن اتخاذ أى قرارات، ونذهب فقط فى هذه الجولة، فقد يشعر بتحسّن بجانب النهر على الأقل، ويمكننا الذهاب إلى أى حانة وإحضار بعض المشروبات، لكن الوقت مر بسرعة لذا صممنا على أنه من الأفضل تناول الغداء أولاً.

قمنا بإعداد الغداء، كنت فى حالة ضياع حقيقى، مرعوبًا مما حدث، فيما عدا شيئًا واحدًا فقط أنه قد عاد إلى نفسه ورجع تار القديم مرة أخرى، عاجزًا بلا حيلة، لكنى رأيت أنه قد كسب ساندرا إلى جانبه فى النهاية، كان ذلك محزنًا جدًا لأنه لم يكن قادرًا على التوافق مع نفسه، وكان يواجه الكثير من الصعوبات فى التعامل مع ذاته.

قطعنا بعض الخضراوات وتحدثنا عما سنفعله، وقد أرادت ساندرا، باركها الله، أن يمكث معنا الفترة التى يريدّها، وعندما حدث ذلك انحنيت تقديرًا لذاتى من كثرة إعجابى بنفسى، وهى حركة لم أقم بفعلها منذ أسابيع، ولكن عندما انشغلنا فى الطهى، تركنا تار ومضى.

ركضنا نبحث عنه فى جميع أنحاء المنزل، ولكن حقيبتّه كانت قد ذهبت أيضًا من حجرتّه، فخرجت راكضًا فى الشارع أبحث عنه ولكن لم أستطع رؤيته، وذهبت إلى أحد الطرق وذهبت ساندرا إلى الطريق الآخر، ولكننا لم نجده، لذا أسرعنا إلى داخل المنزل لنأخذ مفاتيح سيارتنا وانطلقنا إلى السيارة.

قلت: "لا يمكنه أن يكون فى محطة الأتوبيسات؛ لأنه لا يوجد لديه أى نقود".

قالت ساندرا: "من الأفضل فحص كيس نقودى وحافظتك".

نظرت إليها ولكنها كانت محقة، فقد كان محبطاً بما فيه الكفاية، وعدنا سريعاً للداخل وقضت ساندرا عشر دقائق تبحث عن كيس نقودها ولكنها وجدته في النهاية، كانت به كل النقود.

"لا بد أنه تحرك".

قفزنا في سيارتها الرينو القديمة وتوجهنا إلى الطريق السريع.

ذهبنا إلى الميدان، لم نجد أحداً هناك، فتوقفنا وهبطنا من السيارة لنرى ما إذا كان قد رآنا واختفى في شارع جانبي، لكنه بالتأكيد لم يكن هناك.

ثم أدركت أنه يوجد اثنان من الميادين في ريدنج: "الميدان الثاني...". -
"ولكنه على بعد عدة أميال".

- "نعم، إنه الميدان الذي استقبلناه فيه عندما أتى لأول مرة، ربما لا يعرف طريقاً آخر غيره".

ابتعدنا مرة أخرى، وذهبنا إلى الطريق السريع، وقدنا السيارة إلى الدوران التالي، وسرنا حول الميدان، لكنه لم يكن هناك أيضاً، فخرجنا من الميدان وعدنا إلى المدينة.

كان سائراً في الطريق نحو محطة البنزين، لم يحاول أن يختبئ، توقفنا وقفزنا من السيارة وجرينا نحوه، فوضع تار حقيبته وانتظرنا.

ابتسمت: "لقد أمسكنا بك".

وابتسم بمكر، وأعتقد أنه كان مسروراً لرؤيتنا.

حسنًا، نتأقشنا فى كل الامور، لكن تار لم يكن مهتمًا، كل ما كان يرجوه هو الحديث لإخباره هل سنقرضه ثمن تذكرة الأتوبيس أم أنه سيسافر بالأوتوستوب.

استمر ذلك الوضع لمدة عشر دقائق أو أكثر، ولكنه بدأ فعلاً فى الخضوع لى، فلا شىء آخر يمكن أن نقوله أو أن نفعله، لقد استسلم بالفعل. -

ظلت ساندرا تقول: "لكن يمكنك فعلها، لقد فعلها آخرون".

ذكرته: "ليس هناك أسوأ من جرعة الأنفلونزا".

قال تار: "لا أستطيع أن أتعامل - حتى - مع ذلك".

لقد فهمت الكيفية التى يشعر بها تار بعدم الجدوى، إنه سم، وأنت تعرف أنه سم.

ربما كان مثل الأنفلونزا، ربما كان من السهل إيقافه، ولكنه لم يستطع حتى ذلك.

- "سأعود إلى بريستول للحصول على بعض الـهـيـروين، لا يمكنك إيقافى، كل ما تستطيع أن تساعدنى به هو إقراضى النقود لركوب الأتوبيس".

قالت ساندرا: "لن نقرضك أى شىء".

لا بد أن تار رأى فى وجهى ما كنت أفكر فيه.

فقال: "قل لها"

هزرت كنفى باستهجان فقط، لأنه إذا رجع بالأوتوستوب فسيكون ذلك فى منتهى السوء والتعاسة، إنه يوم سيئ، برد ووحل، وهو لم يرتد الملابس الكافية للاستعداد له، لكنه مستعد أن يتجمد وأن يتبلل جسمه كله بالماء من أجل

الحصول على الهيروين، ما الذى سيجنيه من ذلك، لقد شعر فقط بالمزيد من اللاجدوى وعدم الفائدة أكثر من استخدام الأوتوستوب؛ لأنه لن يعانى من ذلك على الأقل.

حاولت أن أشرح الأمر لساندرا، ولكنها لم تكن مقتنعة تمامًا، لكنه كان متأكدًا جدًا من نفسه.

قالت ساندرا: "لا أستطيع الاستسلام" وسوف أبحث فى جيوبى عن النقود، فبدأ تار أفضل كثيرًا فجأة.

ثم أخذناه بالسيارة إلى محطة الأتوبيسات.

قال تار: "لقد فعلت الشيء الصواب يا ريتشارد".

ونظرنا بعضنا إلى بعض لأنه غلبنا وانتصر علينا، ربما كان مسرورًا وفخورًا بنفسه، أو ربما كان سعيدًا فقط لأنه لم يضطر إلى السفر بالأوتوستوب.

وذهبنا معه إلى المحطة لتوديعه، قالت ساندرا: "عد قريبًا فى أى وقت لتحاول مرة أخرى".

قلت مؤكدًا: "فى أى وقت تريده".

ووافقت ساندرا قائلة: "فى أى وقت تريده على الإطلاق".

أشار تار شاكرًا واتجه نحو الأوتوبيس، ووقفنا لتوديعه بالأحضان، وانتظر حتى انتهينا من ذلك، ثم صعد إلى الأوتوبيس الذى انطلق به سريعًا.

(٢٦)

جيما

آه كيف استطعت دائما أن تخذلنى

الآن كيف استطعت أن تخذلنى

الآن كيف استطعت أن تخذلنى.

هذه الوعود (أ ل ا ل ا ل ا ل ا ل ا ل ا ل)

إلى أين أخذتنا

(أووو أو لا أوووووووو لا)

صياح الديوك

لدى مشكلة، نعم قد يكون لدى مشكلة، كنت أنتظر أن أرى ما إذا كنت قد استطعت القيام بذلك بالفعل عندما أخذ أحدهم فى الخطب على الباب والصراخ، أسرعت بالقيام فانسكب الشاى على ملابسى، واندفعت نحو الباب.

اعتقدت أنها الشرطة، ولكنه كان صوت امرأة تصرخ، وقد كنت موجودة بالمنزل بمجرد الصدفة، لأنه كان ينبغى على أن أكون فى الصالة التى أعمل بها فى ذلك الوقت، ولكننى لم أستطع الذهاب فى هذا اليوم، وهذه المرة لم يكن بسبب المخدرات، ولكن لأن دورتى الشهرية قد تأخرت وأحسست بتورم فى ثدى و...

وكان ذلك هو آخر شيء أريده فعلاً على هذا الكوكب، والآن أخذ هذا الوحش فى الدق على الباب بهذا العنف.

سرت بهدوء شديد إلى البهو كما لو كنت غير موجودة.

بانج بانج بانج...

أدركت أنها لم تكن الشرطة؛ لأن ذلك الشخص كان يبدو يائساً جداً، ثم سمعت تنفسه، كان تنفساً غاضباً، أقصد أنه كان تنفساً متقطعاً، ثم مرة أخرى بانج بانج بانج.

وكان الصوت يقول: "من فضلك... من فضلك... من فضلك...".

فتحت الباب فسقطت للى على، وكانت تعلق ابنها سونى على ذراعها، وأغلقت للى الباب خلفها وهى تتأوه وتتحب.

- "ماذا حدث يا للى، هل أنت بخير؟".

لم تستطع أن تتكلم؛ وكانت تسير بصعوبة شديدة، وتضع إحدى يديها على عنقها، وعندما أبعدتها استطعت أن أرى رقبتها حمراء، لم تكن ترتدى إلا روبها المنزلى فقط.

- "يا إلهى..."

سحبته للداخل وأرقدتها على الكنب، فأخذت سونى إلى جانبها، كان يصرخ ورأسه مرفوعة، ومالت للى على جانب الكنبه وتقيات، وأخذت تحكى قصتها بببطء، كان أحد الزبائن قد اعتلاها وجردها من ملابسها، وطلب منها... شيئاً لم ترد أن تفعله. وعندما قالت لا، جذبها وضربها، حاولت للى الصراخ لتنبيه روب

الذى كان ينتظر دائما أسفل السلم ويده مضرب بيسبول فى حالة وجود أى مشكلات، ولكن الرجل وضع يده على فمها، وسحبها من السرير، وجذب زوجين من جواربها القديمة- فقد كانت أرضية الغرفة عندها مليئة بملابسها- وقام بلف الجوارب حول عنقها وجذبها بشدة، لقد جذبها بشدة حقًا، وأبقاها نصف مشنوقة، وتركها كذلك لكى تعرف فقط أنه كان قادرًا على أن يقتلها، أن يقتلها حقًا إذا لم تفعل ما أراحه، ولم تستطع أن تصرخ، وترك لها فسحة قليلة كى تستطيع التنفس، ثم بدأ فى الضغط مرة أخرى.

كان يقوم بفعل هذه الأشياء معها أثناء خنقها، تطوحت وانقلبت على ظهرها ورفسته، لكنه قام بقلبها، وربط ذراعيها خلف ظهرها لدرجة أنها اعتقدت أنه سيحطمها، ثم أحضر الجوارب مرة أخرى، واستمر فيما كان يفعله، وطوال ذلك الوقت كان يلف الجوارب حول عنقها، وعندما انتهى تركها تذهب، فقامت بنزع الجوارب من حول عنقها ويديها، وحاولت الصراخ، كان عنقها منقبضًا، لكنها أحدثت بعض الجلبة نوعًا ما، وارتدى ذلك الشخص ملابسه وخرج من غرفة النوم، وهبط السلم ومشى خارجًا.

سمعت لى روب وهو يصرخ، ولكن بعد دقيقة سمعت صفق الباب، ثم صعد روب إلى أعلى، وكانت تحاول أن تخبره ألا يستدعى الإسعاف؛ لأنهم سوف يأتون بالشرطة معهم، ولكنها لم تستطع. الحديث، وحمل روب فيها فقط، وكانت رأسه تنزف، ثم هبط السلم مرة أخرى.

نهضت لى وحاولت النزول إلى أسفل، كانت قد نزلت نصف السلم عندما ظهر روب قال: "اصعدى إلى الأعلى، الشرطة قادمة".

حاولت للى أن تقول له: "أنت غبى وأحمق، لأنه اتصل بالإسعاف والشرطة والمنزل ملئ بالإنذار والموازين والهيروين وكل شيء، لكنها كانت لا تزال عاجزة عن الكلام، واستمرت فى النزول.

كان سونى لا يزال يصرخ وهو على الأرض، نجحت للى فى التقاطه بإحدى ذراعيها، وحاول روب الوقوف أمامها ومنعها من مغادرة المنزل، لكنها دفعته وانطلقت.

كانت عارية تماماً لذا جذبت روبها من فوق المقعد، وخرجت بسرعة متجهة مباشرة إلى هنا.

أثناء سردها لهذه القصة حدث شينان كان أولهما أننا سمعنا صوت الشرطة قادمة وسمعنا سارينة الشرطة، ظللت أتوقع أن يعود روب ولكنه لم يفعل ذلك، لقد ذهب واختبأ عند ديف، أما الشيء الآخر فقد كان شريط اختبار الحمل الذى كان موجوداً على الطاولة، وهو أحد الأنواع الذى يظهر فيها دائرة صغيرة فى قاع الأنبوبة إذا كنت حاملاً، وذلك هو ما كنت أنتظره عند حضور للى لأنه يجب عليك أن تنتظر عدة ساعات لتعرف النتيجة، وكنت جالسة بجانب للى أحاول أن أهدئ من روعها، كان سونى يصرخ، لذا نهضت. وأعددت له زجاجة لبن، وكانت أنبوبة الاختبار هذه فى الطريق فلمحتها بسرعة، وقد بدا كل شيء على ما يرام، لم يكن هناك أى حلقة فى قاع الأنبوبة وكان كل شيء بخير، لم أكن حاملاً. كنت أعتقد أنه كان يوجد شيء ما على أية حال، وأمسكت بالأنبوبة وحركتها، وألقيت نظرة أخرى سريعة عليها، وفى هذه المرة كانت هناك تلك الحلقة الصغيرة فى القاع، حلقة صغيرة تماماً تشير إلى أن الحمل قد حدث فعلاً.

لا أعرف لماذا رأيت شينين مختلفين تمامًا في ذلك الوقت، ربما أكون قد رأيت صورة ملاك أو ضوءًا ما، لا أدري، ولكنى حركت يدي ولم أستطع وقفها، عندما جذبت الأنبوبة، فاخفقت كل ما كان فيها بهزة ضئيلة، واختفت تلك الحلقة الصغيرة بمجرد أن رأيتها، لم يكن لدى أى فكرة عن حقيقة الأمر، وهل كانت هذه الحلقة موجودة فعلاً أم أنها كانت مجرد خيال، أى النظرتين كانت حقيقية وأيهما تلك التى تخيلتها...؟

كانت أُمى تقول إن المصائب لا تأتى فرادى بل تأتى مجمعة ثلاثة ثلاثة، فقد عاد روب متأخراً، وحدثت بينهما مشادة عنيفة، وكانت للى غاضبة منه لاستدعائه لأولئك الخنازير (الإسعاف والشرطة)، حتى ولو كانت فى حالة إغماء.

وكان من الواضح أنهما لن يستطيعا العودة إلى منزلهما لأن الشرطة كانت تتربص وصولهما، كانا خائفين حتى من الخروج من المنزل، وضعناهما فى الطابق الأعلى فى غرفة نومنا، فظلا يصرخان ويتشاجران مع بعضهما طوال الليل، كانت للى محطمة بسبب ما حدث لرقبتىها، وغرقت فى الدموع، وبدأ أحدهما يتقيأ، وجلسنا أنا وتار فى المنزل نستمع إلى شجارهما، بدون أن نجرؤ على الدخول لغرفة.

وكان الطفل مدهشاً وساكناً كالقار طوال الوقت، على الرغم من أننى سمعته يبكى فى الليل عدة مرات.

هدأت الأمور فيما بعد، ووضعنا أنا وتار بعض الوسائد فى الغرفة الاحتياطية ورقدنا هناك.

سألته: "ما الذى سنفعله؟".

كان راقداً ينظر إلىّ في الظلام، قال: "لا يمكنهما أن يمكثا هنا".

- "لماذا؟".

- "إن الشرطة تبحث عنهما، وسنضطر للخروج على أى حال، وسيرغب روب فى الاستمرار فى تجارة المخدرات، ولا يمكن أن يوجد تاجران للمخدرات فى منزل واحد".

أخذت أفكر، أيها اللعين، لقد فعلا كل شيء من أجلنا، والآن كل ما يهمه هو عمله وتجارته.

تحركت قليلاً ثم قلت: "ربما كان ينبغي علينا أن نرحل ونترك لهما المكان".
بدا مندهشاً وسأل: "لماذا؟".

- "أنت تعلم حالة للى السيئة الآن".

حقاً كانت فى حالة سيئة جداً، أسوأ من أى واحد منا، لقد تم اصطياها فى مانشيستر، وهى الآن أصبحت مدمنة هنا.

قلت: "لن تستطيع للى التعامل مع مكان جديد، ويجب أن تبقى هنا، أما نحن فنستطيع الذهاب، ويمكننا الانتقال الآن، والخروج من هنا...".

هز تار رأسه: "أنا لن أترك مكانى لهما، لماذا ينبغي علىّ ذلك؟".

- "أقصد، يمكننا الابتعاد، أنت تعرف؟".

سادت لحظة من الصمت، ثم قال: "ليس الآن، أنا لست على استعداد للقيام بذلك يا جيم".

لم أقل أى شىء، أخذت أفكر فى تلك الحلقة الصغيرة فى قاع أنبوبة الاختبار، وفكرت متى تحول تار إلى هذا الشىء القذر، ومتى وقعت أنا فى حبه؟ مال نحوى وقبلنى وقال: "يا هندباء، أنا أحبك". قلت: "أنا أحبك أيضًا".

ابتسم وابتسمت، لكنها لم تكن ابتسامات حقيقية، ثم أدار ظهره لى واستغرق فى النوم.

لم أخبره أنني حامل، أنا أعرف ما قد يقوله، سيريد أن أحتفظ بالطفل. وسوف يظل يقول يجب أن يكون لدينا طفل مثل روب وللى، وأنا أعتقد أن ذلك غباء، كلانا مدمن مخدرات، ولكن الشىء المخيف حقًا هو أنني أنا أيضًا كنت أريد ذلك الطفل، عرفت ذلك عندما ألقيت تلك النظرات الخاطفة على الحلقة الصغيرة فى قاع الأنبوبة، لم أكن خائفة أو حزينة بذلك، انظروا، بل كنت سعيدة.

إننى أريد الاحتفاظ بطفل تار، لكن ذلك يعتبر غباء الآن، أليس كذلك؟ لا أعرف لماذا بدأت أحب تار كثيرًا، لقد كان الأمر دائمًا عكس ذلك، كان هو الذى يحبني أكثر، لم أعد أفهم نفسى لأنه قد أصبح فظيعةً حقًا الآن، إنه يكذب ويغش ويأخذ نقودى، ويعتمد على نفسه عندما يكون بعيدًا عنى فقط، إنه يسرق مخدراتنا، ويتعاطى الإبر ويتركنى ويذهب بعيدًا ولا يأتى إلا عندما يصبح مفلسًا، ثم يقول لى إنه يحبني.

إن الشك والريبة يبدو واضحين فى عينيه، لا أدري ما إذا كان ذلك حقيقيًا، لا أعتقد أنه قد أصبح يعرف ما هو الشىء الحقيقى الآن، واعتدت أن أعتقد ذلك

عندما أقع فى الحب، لقد سقطت من أجل شخص ملعون ذى حلقة فى أذنه،
نعم أنا كذلك.

رقدت فى الفراش وأخذت فى التفكير طويلاً، فى تار، فى لى وروب
وسونى، كنت أنظر فى عيون هذا الطفل سونى، إنهما ملينتان بها، أقصد
بالمخدرات، ذلك ما أقصده، لا بد أنها تصل إليه عن طريق الرضاعة مع اللبن،
إنه طفل مدمن، مدمن منذ بداية حياته القصيرة، لقد كان مدمناً حتى قبل أن يولد،
وكل ما كان يرعبنى هو تلك الكتلة الهلامية الصغيرة التى بداخلى، والتى يبدو أنها
أعلى ما امتلكته فى هذا العالم.

بعد فترة طويلة سمعت لى تتحرك فى غرفة الجلوس، فاستيقظت ونهضت
أنا أيضاً، كانت فى الحجرة حاملة الطفل على ذراعيها تبحث عن شيء ما فى
المكتب.

- "هاى".

نظرت إلى، بدت فظيعة، نعم، كان سونى يرشح وهو على ذراعيها
وقالت بنصف تأود: "إنه لا يريد أن ينام، وأنا أبحث عن لعبته".

قالت ذلك وهى تنظر بعين يملؤها النعاس.

- "دعيني أحمله قليلاً".

جعلتني أخذ الطفل منها، لم تكن تسمح لى بأن أحمل سونى فى أغلب
الأحيان، وظلت ترنو إليه، ولمست الرداء المصنوع من القماش الأبيض الذى كان
حول وجهه والذى بدا جميلاً جداً، كان حمل الأطفال يجعلنى دائماً سعيدة وهادئة.

قلت: "أريد أن أحصل على طفل".

- "نعم، سوف يحدث ذلك يوماً ما، يا جيم، فأنت تستحقينه".

وضعت الطفل على الكنبه بجانبها، وأعددت كوباً من الشاي، كانت الأضواء خافتة، وللى هادئة، وكان إبريق الشاي لا يزال على النار، فأعددت الشاي وجلسنا نشربه.

- "كيف حال عنقك؟".

ابتسمت للى: "إنه لم يزل يؤلمنى".

ابتسمت لها بالمقابل، لقد بدت بحق أمًا دافئة فى رداها المنزلي، وكان سونى يصدر أصواته العذبة، وانتهزت فرصة أن للى تعافت وأصبحت بخير، وحملته مرة أخرى، فأخذ يلوح بيده فى الهواء.

قلت: "أعتقد أنه ملأ حافظته ويحتاج لتغييرها".

أجابت للى: "سأشرب الشاي أولاً"، ثم مالت برأسها إلى الخلف وهى تتأهب قائلة: "ربما يكون قد عمل بعض ال... مرة أخرى".

حاولت تقديم المساعدة قائلة: "سأغير له الحافظة".

- "لا. سأفعل أنا ذلك".

احتست للى كوبها وبدأت فى النعاس، كانت متعبة جداً، وفكرت فى أنه يجب أن أغير لسونى حفاضته من أجلها.

وضعت المرتبة بجانب المدفأة، وخلعت حافظته، كانت قدرة، لقد فعلها هذا الطفل، وثنى رجليه كما يفعل الأطفال عادة، وحاول أن يضعها فى فمه.

قمت بتنظيفه، ثم جعلته يحاول أن يلمس أنفى، سمعت صوتاً من خلفى
يقول: "لا ينبغي عليك أن تفعل ذلك يا جيما".

صرخت: "آه!".

زحفت لى خلفى لترى ما كنت أفعله، لقد أخافتى لدرجة الموت، كان هناك
فى صوتها، التفت، كانت تحمق فى يدي التى تحمل الطفل.

قلت لها: "لقد كنت مستغرقة فى النوم".

تقدمت نحوى والتقطت سونى من يدي، ونظرت إلى كما لو أنها لا تعرفنى
أو لا تعرف ما الذى فعلته من أجلها، ثم قالت: "لن يستطيع أحد أخذ طفلى منى".

أصبت بصدمة، وقلت: "أنا لم أقصد ذلك أبداً، لم أقصد ذلك أبداً".

لم يحدث لى ذلك أبداً من قبل، كانت تنظر إلى كما لو أننى أحد الوحوش
البرية جاءت لتسرق منها طفلها، وشعرت بالذنب كالجحيم لما قالته الآن، وكان من
الواضح أنها تشعر أن الطفل لا بد أن يؤخذ منها يوماً ما.

قالت: "لن يستطيع أحد فعل ذلك أبداً".

ثم التفتت مبتعدة بالطفل، وبدا أنها ستأخذ فى البكاء.

شعرت بأن الغرفة كلها تطن فى أذنى، لا أدري لماذا هى بهذه القوة، أعتقد
أن ذلك سببه زوال القناع، فكرت، يا إلهى، بدت وكأنها فقدت عقلها تماماً، وكان
كلانا يعرف ذلك، لقد عرفنا نحن الاثنين أنها أظيرت شيئاً لم تظهره أبداً لأى
شخص من قبل، لأنها رمقتى فجأة بنك النظرة القصيرة من فوق كتفها، كان

وجيها شديد الفزع، وبدت هي نفسها كطفل خائف جدًا، ثم دفنت رأسها في حضن سوني، وحكت خديها في خديه، وقبلته مظهرة له كل الحب.

قالت: "إنه طفل جميل يا جيما".

حاولت أن تبدو طبيعية ولكنها لم تكن كذلك، ووقفت هناك تحملق فيّ وتحاول الاحتفاظ بوجهها صارما، كانت عيناها ملينتين بالدموع، وفمها مفتوحا، وكنت أعرف ما الذي كانت ستقوله، كانت ستقول: "ساعديني".

لا تسألوني لماذا ولكنني عرفت ذلك فقط، استطعت رؤية الكلمات على طرفي شفتيها ولكنها لم تكن تستطيع قولها، مددت يدي لكي أسندها لكنها هزت رأسها هزة صغيرة جافة.

مرت ثوان قليلة مرعبة، ظننت فيها أنها ستتحطم وستبكي، لكن للى التفتت مبتعدة وعادت إلى المطبخ، دارت حول الغرفة عدة مرات، ثم جلست على الكنب، لم أستطع التحرك ولم أدر ما الذي كان ينبغي عليّ فعله، وكنت أعتقد أنها قد تقفز فجأة... تضربني أو شيء من هذا القبيل، كنت متأكدة من أنها ستكون غاضبة في اللحظة التالية.

ثم قامت للى بإرجاع رأسها إلى الورا وأخذت تتعاب بشدة، لم أصدق هذا التناوب، لأنه لم يكن حقيقيا، والتفتت، وابتسمت ابتسامتها الكبيرة، وعادت إلى طبيعتها مرة أخرى.

- "لقد أخذته يا جيما، سأذهب إلى السرير".

- "حسنا يا للى".

استيقظت للى وكان لا بد أن تمر بى وتسير أمامى وهى فى طريقها إلى الباب، وكان يتحتم على أن أجبر نفسى على ألا أتحرك إلى الخلف بعيداً عنها.

نظرت إلى وقالت: "سأكون على ما يرام يا جيم".

- "أنا أعرف ذلك يا للى".

- "فى الليل".

- "فى الليل".

راقبتها وهى تغادر الحجرة، والتفتت إلى الباب وابتسمت لى ابتسامة دافئة جميلة فظهرت تلك النظرة الخائفة مرة أخرى، ثم خرجت، فجلست وشربت الشاي وسمعتها تدخل الفراش، وانتظرت وقتاً طويلاً.

كان ذلك الطفل هو كل ما تملك، وكان دائماً طفلاً جميلاً وهادئاً جداً.

فكرت فى نفسى، أنا اتبعك إلى كل مكان ذهبت إليه، اتبعك إلى كل مكان، ولكننى لم أتبعك إلى هنا...

نزلت بعد برهة إلى الصالة، وأحضرت معطفى الكبير، وذهبت بهدوء شديد إلى الطريقة، وخرجت من الباب الأمامى، كان الوقت متأخراً، حوالى الساعة الثانية أو الثالثة صباحاً، وكان الجو بارداً ولكننى كنت خائفة وأنا أرتدى ملابسى من أن تأتى للى أو أن يستيقظ تار، وأسرعت بالخروج لأننى لم أصدق أن للى كانت نائمة، وذهبت إلى كابينة الهاتف، اتصلت ب ٩٩٩ وطلبت الشرطة، وعندما انتهيت قلت للسيدة: "هل سيذهبون مباشرة؟".

- "ينبغي الحصول على تصريح أولاً وسيأخذ ذلك عدة ساعات".

- "إلى اللقاء".

- "دقيقة فقط يا أنسة..."

لكنها كانت قد أغلقت الهاتف.

لا بد أنها ستكون قوة كبيرة تلك التي تتطلب تصرّيحاً يستغرق وقتاً طويلاً، وكنت أخطط للعودة إلى المنزل وانتظارهم، ولكنني شعرت أنني غير قادرة على الانتظار هناك لعدة ساعات، ولم يكن لدى مكان آخر كي أذهب إليه.

أخذت في السير على الطريق، سارت سيارة بجانبى، وأخذ شخص ما يزعم، فهزّزت رأسى وسرت، كنت مرتدية ملابس نومى ومعطفى وحذائى فقط، واستمررت في السير لفترة ثم أخذت في البكاء محاولة التفكير في ما الذى سأفعله بعد ذلك...

(٢٧)

فونى

كنا نلعب راكيت فى أيام الأربعاء.

وكنت قد انتقلت للعيش فى كليفتون عندما حصلت على مكان فى الكلية، وأنا الآن أدفع الإيجار وكل شيء، إن ذلك ممل حقًا، ولكنك تكونى فى حاجة إلى قاعدة جيدة عندما تقومين بعمل شيء كهذا، ولا يمكنك أبدًا القول متى ستنتهى من ذلك.

أخذت دراستى فى الكلية مأخذ الجد، ولم أرغب أن أزعج نفسى بالتنقل من مكان إلى آخر كل بضعة أشهر، وكان صديق جون طالبًا بكلية الفنون، وقد تعودنا على الذهاب لتناول الشراب بعد لعب الراكيت، وكان قد أنفق منحه كلها منذ أول شهر، لذا كان لا بد أن أدفع ثمن مشروبه أيضًا، وقد أغضبنى ذلك الأمر، فهو يحصل على مثل ما أحصل عليه من نفود، فلماذا أدفع حسابه، وهو يقول إن شهيته مفتوحة بشكل كبير، كما أنه كان يشرب أكثر منى، ربما كان ينبغي عليه أن يطلب مشروبات مجانية كبيرة الحجم.

وكان من المعتاد أن نمكث فى بيتى لأنه مريح جدًا، وكنا نذهب إلى بيته فى أيام الأربعاء فقط؛ لأن بيتى كان بعيدًا يحتاج لركوب الأتوبيس للوصول إلى المركز الرياضى، بينما كان بيته على ناصية هذا المركز، فكنت أظل هناك عادة

وأذهب مباشرة إلى الكلية في اليوم التالي، ولم أكن أعود إلى منزلي إلا ظهر يوم الخميس.

كان لمنزلي حديقة كبيرة تشاركني فيها فتاة أخرى تسمى ماندي، ولكنها لم تكن موجودة هذا الأسبوع، وكانت ويلي تسكن فوقى، وكنا نطلق عليها ويلي لأن لديها طفلين، وقد اعتادت أن تصيح من خارج الباب الأمامى: "هل كل الأطفال فى الفراش؟"، وذلك عندما كانت تريد هما أن يدخلوا إلى المنزل، ويذهبا إلى الفراش.

جاءت ويلي لزيارتي بعد ساعة أو أكثر من عودتى، وقالت: "كان هناك فتاة جالسة على عتبة مدخلك صباح أمس، من نوع البانكى الجربان، وظلت منتظرة هناك عدة ساعات".

أنا أيضًا نوع ما من البانكى، كما تسميهم ويلي، وهم ليسوا جربانيين بالطبع.

لم أستطع الإجابة عليها لأننى لا أعرف الآن أى شخص يمثل هذه الأوصاف! منذ أن تركت سان بول.

- "ظلت منتظرة هنا منذ وقت طويل، وأعتقد أنها كانت ترتدى مجرد بيجامة تحت معطفها، لا بد أنها تجمدت من البرد، كانت جالسة هنا منذ الصباح الباكر، الله وحده يعلم كم المدة التى انتظرتك فيها، وقد خرجت حوالى العاشرة لأرى ماذا هناك، وأخبرتها بأنك لن تعودى هذه الليلة، لقد بدت فظيعة".

- "ألم تخبرك باسمها؟".

- "لا، لكنها تعرفك جيدًا".

نظرت ويلي إلى بارتيااب وسألت: "من تكون هذه الفتاة إذن؟".

هرشت أذننى قائلة: "لا أستطيع التفكير... ما شكلها؟".

أخذت ويلي فى وصفها، ولكن ذلك أيضاً لم يساعد فى شىء، لقد أدركت فقط... جيماً!.

لم أرها منذ فترة طويلة، وكانت الأحوال تزداد سوءاً فى ذلك المكان، وهو الآن ملئ بالموتى الأحياء من الزنوج، كنت قد اعتدت على الذهاب إلى هناك ومضايقتها بانتظام، وكانت تتفجر غيظاً منى طوال الوقت لأنها كانت قد دخلت اللعبة، وأصبحت مدمنة باستخدام الإبر، وكانت تعتقد أن ذلك متعة كبيرة، واستمررت فى الذهاب إلى هناك لفترة بعد رحيل ريتشارد عن بريستول، ولكننى توقفت الآن، وفكرت فى أنها لا بد أن تكون واقعة فى مشكلة، أقصد أنها فى مشكلة منذ سنوات، ولكنها قد تكون قد أدركت ذلك الآن.

أخذت سيارتى إلى منزلها مباشرة ولكنى لم ألق أى رد عند طرقي على الباب، فنظرت من خلال النوافذ، ولم يكن هناك أحد، فعدت إلى منزلى، كنت منزعة من أجلها، وكنت خائفة فعلاً، فقد كانت فى هذه المشكلة السيئة منذ مدة طويلة، ولكنها لم تكن تعرف - أبداً - ذلك، أنا أحب جيماً، ويمكن أن يكون فيها الكثير من الخير فى المستقبل، ولكنها كانت فاشلة فى الحكم على الأشخاص.

أصبحت الساعة السادسة مساءً قبل أن أفكر فى أنها يمكن أن تكون قد تركت لى رسالة فى صندوق خطابتى، وكان هناك قطعة صغيرة من السجاد كنت أستخدمها كمشاية، وكان يمكن رفعها أحياناً لوضع الخطابات تحتها، وهناك وجدت رسالتها التالية: "لا أستطيع المزيد من الانتظار، سأذهب إلى المستشفى لمحاولة جعلهم يسمحون لى بالدخول".

قلت لها- عدة مرات- إننى دائماً موجودة إذا احتاجتني، كانت تسخر مني، لكنها تذكرت ذلك فى النهاية، أسرع وقفزت إلى السيارة وقدرتها مباشرة إلى هناك.

كانت تبدو مثل الموتى، جلست على الفراش، واستمعت إلى قصتها، وظللت أفكر، إنها فى الثامنة عشرة وأنا فى الرابعة والعشرين، ولكنها بدت أكبر منى بكثير، إنها مدمنة وواقعة فى الحب، ونامت مع الكثير من الرجال، وهى حامل الآن، وبرغم أنها فى الثامنة عشرة من عمرها فقط، لكنى أحسست أننى جالسة أستمع إلى سيدة عجوز تحكى لى ما قد حدث لها عندما كانت صغيرة.

كانت الشرطة تسعى جاهدة للقبض عليها لكن تار، باركه الله، قد تحمل العبء مرة أخرى، بالرغم من أنه قد عرف بالتأكيد أنها هى التى أبلغت الشرطة، وأن إيقافه والحكم عليه هذه المرة سيكون إيقافاً لشاب راشد، لأنه لم يعد طفلاً كما كان فى السابق.

كانت المستشفى ترغب فى التخلص منها، برغم أنهم أعطوها سريرًا، وذلك أقصى ما كان يمكن أن يقدموه لها، وكانت جيما قد دخلت المستشفى لأنها أحست بتقلصات معوية حادة، وقالت إن ذلك كان يحدث لها دائماً عندما تنهائى، ولكن للأمانة، أعتقد أنها كانت تبالغ فى ذلك ليعطوها سريرًا، وكانت راقدة هناك تنتظر أن يطردوها فى أى لحظة، بدون أن يوجد أمامها أى مكان آخر تذهب إليه، المسكينة جيما! بالطبع كان يمكننى اصطحابها إلى منزلى، وقد فعلت لكن...

قلت لها: "أعطينى رقم هاتف والديك يا جيما. دعينا نجرب ذلك أولاً".

- "لا أستطيع".

وكان عدد مرات سؤالى لها عن رقم التليفون هو نفسه عدد المرات التى أجابت فيها بالرفض، لا أدري إذا كان ما أفعله صائبًا أم لا.

- "إن ذلك الأمر خارج عن إرادتك يا جيما... أخبرينى بالرقم فقط".

غطت وجهها بكفيها: "٢٣٢....و"

بدت كأنها قد تذكرت ذلك فجأة بعد كل هذه السنوات.

رن الهاتف ثلاث مرات وردت امرأة قائلة: "ألو".

قلت: "السيدة بروجان؟".

"نعم"

أخذت نفسًا عميقًا وقلت: "إنه عن ابنتك جيما".

(٢٨)

إميلي بروجان

مضت ثلاث سنوات.

أردت أن نذهب بالقطار لأنه أسرع، ولكن جريل صمم على القيادة والذهاب بالسيارة، أعتقد أنه مجنون قيادة، وأن القيادة قد أخذت عقله أكثر من أى شىء آخر، وكنت أرى أن ذلك أمر خطير، وغير آمن، ولكن فى هذه المرة كان الأمر جيدًا مثل الذهب.

جلست أفكر فى كل الأشياء التى افقدتها- الأشياء التى افقدتها جيما- النمو والنضج، الذهاب إلى المدرسة، الاختبارات، استقبال الأصدقاء فى غرفة المعيشة، الحفلات...

كنت أتشوق إلى كل هذه الأشياء الآن، وعندما يكون لديك ابنة فإن ذلك معناه استعادة طفولتك مرة أخرى، تلك الطفولة التى افقدت فيها أشياء كثيرة، كنا كنا كذلك، وكنت غاضبة منها بسبب ذلك، وبسبب... انظروا، بعد كل هذه السنوات، تحاول أن تقول لنفسك أنك من المحتمل ألا تراها مرة أخرى إلا بعد سنوات طويلة عندما أصبح سيدة عجوز، ولكنه حدث الآن، وها هي كل الجروح تنفتح، كما حدث أول مرة عندما تركتنا وذهبت، إنها لا تزال فى الثامنة عشرة،

ولديها مشكلة، ولكنها لم تزل طفلة بالنسبة لى، كيف استطاعت أن تفعل ذلك كله بنا؟

ما زلت أتذكر ما قالته تلك الفتاة لى: "إنها فى المستشفى،... لا إنها لم تصب بأى مكروه".

ظللت أتساءل: "لكن لماذا؟ لماذا هى فى المستشفى؟".

اعتقدت أنها تلد، وفى النهاية عرفت أنها مدمنة هيروين، وأن بها أعراض معاناة ظاهرة لسحب الهيروين من جسمها.

ثلاث سنوات ونصف، كان يمكن أن تموت، نعم كان يمكن ذلك.

ذهبنا إلى المستشفى وسألنا عن جيما بروجان، وجعلونا ننتظر، وقد أراد أحد الأطباء أن يناقش حالتها معنا قبل أن نراها، وأخبرنا بأنها حامل بعد كل ذلك، وأوضح لنا أنهم لا يتعاطفون مع مشكلتها.

قال: "إن أماكن المستشفى من أجل المرضى فقط، وبمعنى آخر إنه سيتم طردها من المستشفى، وكان يتوقع أن نتولى نحن أسرتها العناية بها.

اتجهنا نحو العنبر، قال جريل: "طفل، لقد كانت تتعاطى تلك الأشياء مع وجود طفل" وبدا غاضباً، واستمررنا فى السير، قال: "لا بد أن نتوقع أننا يجب أن ندفع لها تكاليف العلاج".

لم أستطع أن أصدق أذنّى، وقفت أحملق فيه، إنها طفلتنا، كنت غاضبة منه جداً، وكنت مستعدة لمواجهة طابور من الناس فى هذه المستشفى العام، وظللت واقفة فى منتصف الطريقة، ولكن عندما التفت إليه، رأيت أنه لم يكن غاضباً على

الإطلاق، لقد نظر إلى بعينين كبيرتين مبللتين، وهذه هي طريقته في البكاء، كانت عيناه تبتلان فقط، وتظل يداه معلقتين في جانبيه، وكان وجهه رماديا كأمطار الشتاء، بدا كما لو كان عالمه كله قد انفجر.

كنت أرى أننا خذلنا جيما كثيرا، وبطرق متعددة، ولكنها هي أيضا خذلنا، ودمرت حياتنا، وتلك الطريقة التي عشنا بها أنا وجريل معا بعد رحيلها، كنا نوجه اللوم بعضنا لبعض، تلك المرارة التي شعرنا بها، والمناقشات المريرة الحامية التي دخلنا فيها، عما قلناه، وما فعلناه، وما قالته، وما فعلته، لقد حطم ذلك زواجنا تقريبا، ربما لم تكن هي التي حطمته، ربما كنا قد وصلنا إلى هذه الحالة معا لعدم وجود شيء أفضل نستطيع فعله.

لكننا على الأقل كنا لا نزال معا...

أخذت نراعه وقبضت عليها بشدة، الله يعلم، لا أحد منا كامل، وهو، فليباركه الله، علق رأسه وأغلق عيونه للحظة، وسقطت دمعة من عينه على خده، ثم أسرعنا، كنت أستطيع تحمل أي شيء ما عدا بكاء جريل، كان ذلك يجعلني أنتحب، لكنني كنت أريد أن أوفر الدموع التي لدى من أجل جيما.

وفي عنبر المستشفى قمت بعمل في غاية الأنانية، لقد قلت لجريل: "أريد أن أراها بمفردي"، كان لديه الحق في رؤيتها مثلي، لكنني كنت أعتقد أنني أردت أن تكون كل هذه اللحظات الثمينة لي وحدي.

هز رأسه فقط، وتقريبا قلت: "أنا أم"، ولكنني بلعت الكلام في الحال ثم دخلنا...

كان أول ما فكرت فيه، يا الله، كانت تشبه أُمى، بالرغم من كل شيء، كنت لا أزال أفكر فيها كما رأيتهَا في آخر مرة عندما غادرت المنزل كفتاة في الرابعة عشرة من عمرها، ولكنها بدت مثل أُمى، أُمى الحقيقية، تلك المرأة العجوز.

جلست بجانبها ووضعت يدي في يدها، أردت أن أجعل ذلك يبدو طبيعياً بقدر الإمكان لمصلحتها، وأخذت في التحدث عن المنزل وسؤالها عما فعلته، على الرغم من أن التحدث عما فعلته في هذه الأثناء لن يفيد في شيء.

لم أكن أريد أن أبكى، كنت أدرك تماماً أنه لا ينبغي عليّ أن أبكى، ولكنني فكرت في كل الأشياء التي افقدتها، ولم أستطع أن أنطق بكلمة مما قد كنت قد جهزته من كلام.

أخذت في البكاء فقط، وقد حاولت، ولكن لم أستطع النطق بأي كلمة على الإطلاق لذا القيت برأسي على صدرها وبكيت وبكيت وبكيت...

كانت هي أيضاً تبكي، وعرفت أن كل شيء على ما يرام عندما بدأت في البكاء، فقد حكّت لنا الدموع كل شيء، ثم قالت: "أريد الذهاب إلى البيت يا أُمى، هل يمكنني الذهاب إلى البيت يا أُمى من فضلك...؟".

أومأت برأسي، وحاولت أن أقول نعم... نعم، ولكننا حضنا بعضنا فقط، وأخذنا في البكاء معاً.

(٢٩)

تار

اخفض رأسك، انحن وسوف تستطيع الاستمرار، هذه هي الطريقة التي يمكن أن تقضى بها وقتك وتعيش في أمان، أما إذا تناولت ورفعت رأسك إلى الأعلى فستتسبب في حدوث مشكلات مع الفتية الآخرين، وإذا تناولت على الفتية الآخرين فإن هؤلاء الذين أعلى منك سيعتقدون أنك شخص صعب، وسوف يسخرون منك ويصرخون في وجهك.

أعتقد أنني سوف أجتاز هذه المحنة، وأرى أنني مستعد، ولكني لم أفكر بهذه الطريقة سوى الأسبوع الماضي، ربما تكون هذه فرصة بالنسبة لي، فقد كنت مريضاً، وكنت محبباً جداً قبل ذلك.

أول شيء كان يقلل من أعراض علاج الإدمان وتأثير سحب المخدرات هو الميثادون، وكان ذلك هو علاجي لمدة أطول من سنة، لقد وضعوني ضمن فئة مقدار الخمسة والعشرين مليجرام من الميثادون، وكانوا يخفضون هذه الكمية عدة مليجرام كل أسبوع، ولكنني بالطبع كنت أتعاطي الهيروين طوال الوقت أيضاً، حسناً، ليس كل الوقت، وفي كثير من الأحيان كنت أبيع الميثادون لأشترى الهيروين.

يوجد الكثيرون ممن يستخدمون الميثادون أيضاً، كنت أتناول بنجاً وأطلب من الطبيب أن يعيدنى إلى مرحلة الخمسة والعشرين أو الثلاثين مليجرام، ولكن فى الأسابيع الأخيرة قبل أن تتصاعد الأمور كنت فى حالة جيدة، وهو ما يجب أن يتم التأكيد عليه.

كنت أفكر فى أننى يجب ألا أستخدم الإبر وأن أكتفى بالجرعات إذا لزم الأمر، ويجب أن أحاول بقدر المستطاع ألا آخذ المزيد، وقد فعلت ذلك بكفاءة باعتبار أنى كنت فى حالة ضياع تام طوال الشهور التى أدت بى إلى هذه الحالة، نجحت الأسبوع الماضى فى الاستمرار بدون تعاطى أى مخدرات على الإطلاق، ولم يكن ذلك شيئاً بالطبع، لأنه يمكنك أن تتخيل كم كان الأمر مغرياً، إن القذيفة الأخيرة التى ينبغى على أن أطلقها هى قدرتى على أن أجعل نفسى فى حالة أفضل، أنت تعرف طبعاً.

كان تخفيض الجرعة هو أول شىء ينبغى على المدمن عمله، كان ذلك فظيماً، لأن التخلص من الميثادون أسوأ من التخلص من الإدمان نفسه، ويجعلك تشعر بأنك فى حالة سيئة بالفعل، لا بد أنهم مجانيين عندما يعطونك ذلك الميثادون للتخلص من الهيروين، لأنه يجعلك أكثر إدماناً وأسوأ حالاً أثناء التخلص منه، والسبب الوحيد الذى يجعلهم يعطونك إياه هو أنك لا تحصل على نفس المقدار، وذلك ليس ممتعاً بالطبع، لأن الدواء لا يمكن أن يكون لطيفاً، إنه جنون حقاً.

قضيت ساعات قلائل وأنا أتألم وأتوجع فى زنزانتى، لذا جعلونى أذهب إلى الصيدلية، لأننى كنت أشعر بضيق تام وبأننى فى حالة مرعبة، وذلك العرق

الأصفر البغيض الذى يقطر من جسمى كله فيلتصق بى ويلسعنى ويحرق جلدى،
وذلك الألم الفظيع فى أسنانى والذى أخذ ينتقل من سنة إلى أخرى.

شرحت للممرضة ما كنت أحتاجه فضحكت قائلة: "ليس لدينا ميثادون هنا يا
دافيد"، كم كنت شخصا غيبيا، كان قلبى يكاد يقفز من بين جنبى، وكنت أفكر، نعم
سوف يعطونى دياموروفين، وذلك هو المخدر الحقيقى ولا يمكن الحصول على
صنف أنقى من الصنف الذى تحصل عليه فى المستشفى.

- "لكنى أريد أى شىء..."

قالت: "إنك ستعيش".

انتظرت عدة ثوان قليلة، وقد أخذ يتراءى لى أن هذه العاهرة السيئة عديمة
القلب لن تعطينى أى شىء، وبدأت أسنانى تصطك ببعضها فى رعب.

- "أنت لا تفهمين".

- "ليس من المفترض أن أفهمك، ولكننى أعرف جيذا أننا لا نعطي ميثادون
لمستخدمى الهيروين فى هذه المؤسسة".

قلت: "بعض الغاليوم".

- "أسفة".

قلت فى صوت أجش "أعطني أى شىء".

عبست بوجهها وذهبت إلى كابينه النواء وأخرجت منها قرصين وقدمتهما لى.

قلت: "قرصين باراسيتامول"، لم أستطع أن أصدق ذلك، وقلت يبدو أنها لا
تعرف أى شىء.

حاولت أن أكون صبوراً، ورحت أشرح لها: "قرصان باراسيتامول لن يفعلوا أى شيء معي، أنا مدمن كبير، أريد شيئاً أقوى قليلاً..."

وابتسمت لها ابتسامة مشجعة، وهو أمر لم يكن سهلاً على الإطلاق، لأنه عندما تشعر بأن عظامك تتحطم في جسمك فإنه لن يمكنك الابتسام بسهولة، وقد اكتفت بذلك فقط وقالت: "إن لدى الكثير من الحالات التي ينبغي على متابعتها"، وتركتني ومضت، فوفقت أحملق في القرصين البائسين المسكنين للصداع إلى أن قام الحارس ودفعني.

كنت مرعوباً، قرصان باراسيتامول، كان ذلك بشعاً حقاً، لقد كان ضد معاهدة جنيف وكل معاهدات حقوق الإنسان، أقصد الحبس، ربما أكون قد استطعت فهم ذلك، ولكن إعطائي قرصين باراسيتامول فقط للتخلص من آثار الميثادون كان أمراً لا إنسانياً بالطبع.

قلت للحارس وهو يقفل الباب بعنف في وجهي: "إنك لا تفهم".

أثرت تلك الصفعة الشديدة للباب على عمودي الفقري، وظننت أنه سوف يتكسر إلى قطع صغيرة تنتثر عشرين قطعة.

وقال لي الحارس: "تمتع بوقت طيب"، وتركوني هناك ومضوا.

قد أهرب، وقد أرتكب جريمة. قسمت قرص الباراسيتامول إلى أربعة أجزاء ثم تناولت نصف قرص واحتفظت بالباقي لما بعد، عندما يكون هذا هو كل ما استطعت الحصول عليه فإنك سوف تشعر أنه مجرد علاج وهمي، وتناولت أحد القرصين وشممتها، ولكن ذلك أيضاً لم يجد ولم يقد بأي شيء، لم يكن أمامي إلا تناول هذه القاذورات أو الذهاب إلى حلقة الملاكمة لمنازلة (مايك تايسون) ذلك

الملاك الجبار فى عشر جولات، فالمدمن يكون على استعداد لفعل أى شىء للحصول على ثمن الجرعة التالية.

عندما أخذت أفكر فى الأشياء التى كنا نقوم بعملها والناس الذين كنا نعرفهم، كان روب مختبئاً كما تعرفون، وأصبح الآن يحصل على النقود عن طريق ممارسة الجنس مع الشواذ فى المراحض العامة، وقد أصيبت لى بالجنون عندما عرفت بذلك، وفقدت عقلها تماماً، فقد كانت ترى أن ممارسة الجنس تعتبر أمراً جيداً عندما كان يقوم بذلك معها فى البيت، أما أن يمارس الجنس مع الرجال، فقد جعلها ذلك تفقد عقلها وتجرى مثل القرد هنا وهناك تصيح وتصرخ، أما أنا فقد أصبحت أعيش على السرقة ليس من المتاجر، لأننى فقدت تلك المهارة منذ زمن، لكننى كنت أسرق جيما، روب، لى، أو أى شخص أستطيع سرقة، كنت أذهب إلى منزل أى صديق فى الليل، وأبقى معه، وأسأله إذا كنت أستطيع قضاء تلك الليلة فى منزله، ثم أستيقظ فى الليل وأحوم كالثعبان، أفتح الأدراج وأفتش الدواليب والجيوب.

كانت جيما هى الشخص الوحيد الذى أخذ فى التحسن، فقد توقفت تماماً عن الذهاب إلى صالة البغاء، وبعد أن كانت متعاطية كبيرة، تتعاطى نفس المقدار الذى كنت أتعاطاه، وقد كنت أتعاطى الكثير، استطاعت أن تتوقف تماماً وأصبح من الممكن الوثوق فيها.

ثم كان الجحيم كله فى تلك الليلة عندما أتى أولئك الخنازير (أقصد رجال الشرطة)، وقد عرف الجميع بما فعلته جيما بشكل ما، وكانت لى تصرخ فى وجهى: "عاهرة، عاهرة، عاهرة"، كأن جيما كانت جزءاً منى بطريقة أو بأخرى، كان لدى تصور تام لما سيحدث بالفعل، ولم أعرف أى شىء عن الطفل إلا بعد

فترة طويلة، لكن جيما كانت تسير سيرًا حثيثًا على طريق لى للحصول على طفل، وأعتقد أن عدم علمى بأمر الطفل قد صدمها، وقد سمعتها تخرج من الباب الأمامى فى تلك الليلة، كنت أعرف أن ملابسها كلها كانت فى غرفة النوم، فخمنت أن الأمر كان مصيريا وغير عادى، لأنها ذهبت ولم تعد بعد ذلك أبدا.

رقدت هناك وأخذت أفكر، هل كل الأمر كذلك فعلاً؟ كنت راقداً على السرير فقط، أفكر فى أننى سوف أكتشف ذلك الأمر قريباً جداً.

جاءت الشرطة وقبضت علينا، تلقينا أنا وروب هذه الصفعة القوية، أو حاولنا تلقيها، أما لى فقد حاولت توريط جيما معنا، ولكنها لم تفجح فى ذلك.

- "إنها تلك العاهرة التى اتصلت بكم، لقد اتصلت بكم فعلاً، أليس كذلك؟ إن كل شيء هنا هو ملك لها هى، نحن نعيش هنا فقط....".

قالت ذلك وهى واقفة فى منتصف المكان فى رداء نومها القصير، وكانت ساقاها الجميلتان مغطاتين بأثار حقن الإبر... نعم.

إنهما الآن يتلقيان العلاج، وأنا الوحيد الذى حصل على حكم إيقاف، أما لى وروب فلم يشاهدا حتى نور الصباح بعد ذلك، ولم يتيسر لهما الخروج حتى بكفالة لأن السلطات اعتبرتهما معرضين لخطر شديد، وقد ذهبا مباشرة إلى مركزى تأهيل منفصلين، منذ ثمانية أشهر مضت ولا يزالان هناك حتى الآن، تقول جيما إنهما سينتقلان للعيش فى منازل التأهيل خلال أشهر قلائل، ولا أعتقد أننا سنراهما مرة أخرى بعد ذلك أبداً، وأعتقد أن ما سيأتى بالنسبة لهما سوف يكون أسوأ.

قالت الممرضة: إنه لن يمكننى التعاطى فى أى مكان سأذهب إليه، لكن ذلك لم يكن حقيقياً تماماً؛ لأنه يمكنك الحصول على أى نوع من أنواع المخدرات داخل

السجن، فالسجن حقاً هو جنة المدمنين، ولكننى لم أكن أعرف ذلك بالطبع حينئذ، وحقيقة الأمر أنه لم يكن لدى ذلك الشعور الفظيع، وكان كل ما ينبغي على فعله هو...

ثم أصبت بالإحباط، ولم أشعر بمثل هذا الإحباط من قبل، ولم يكن لدى الكثير لكى أقوله عن ذلك إلا بعد أن دخلت فيه، ويوجد شيء واحد بالنسبة لدخولك إلى هناك، هو أنك عندما تدخل إلى ذلك المكان سوف تستطيع أن تجتاز أى شيء ممكن أن تتعرض له بصرف النظر عن ماهيته لأنك مضطر لذلك، وليس أمامك أى خيار آخر، وقد أنت جيماً لزيارتى هناك، ولم أخبرها بما كنت أشعر به، وقلت لها فقط إننى انحنيت وخفضت رأسى لكى أتماشى مع الأمور، وأستطيع أن أفعل مثلما يفعلون.

ثم فكرت وقلت لنفسى إن الأمور ربما لم تكن سيئة إلى ذلك الحد، وأحسست بأننى تمكنت من رفع رأسى مرة أخرى بطريقة ما، وأننى استطعت أن أجتاز تلك الأمور، وعلاوة على ذلك فإن جسمى نظيف من المخدرات، منذ أكثر من ثلاثة أشهر لأول مرة منذ سنوات، ربما لم أفعل ذلك بنفسى أو بناء على اختيارى الشخصى، ولكننى الآن نظيف من المخدرات، وذلك هو أهم شيء، إنه شيء أساسى ويمكننى الارتكاز عليه، وقد حصلت على حكم قضائى معقول، وكان هذا الحكم هو ثانى سابقة بالنسبة لى، كان يمكن أن يحكموا على بثمانية عشر شهراً، لكن إذا حاللنى بعض الحظ فإنه يمكننى أن أخرج بعد تسعة أشهر، وسوف تكون هذه هى المرة الثالثة، وفى اليوم التالى قال لى أحد الحرس أثناء مرورى أمامه: "أنت تسير سيراً حسناً يا دافيد... حافظ على ذلك الأداء العالى..." وأوما لى وهو يبتسم.

فكرت... أننى كذلك فعلاً، وأنا أسير سيراً حسناً، وأصبحت مسروراً جداً من نفسى، كنت مريضاً وكنت محبطاً، لكننى الآن على ما يرام، وكان بعض الحرس طبيين، ولكن يمكنك مقابلة بعض الحرس الملاحين والمرعبين بالطبع، ولكن لم يزل البعض بخير، كنت أتصرف بشكل جيد، وأخبر جيما بذلك، ولا يمكنكم إدراك مدى خجلى، لأنها ضحكت وسخرت منى قائلة: "يبدو أنها أعراض الحجز فى السجن".

- "ما معنى ذلك؟".

قالت لى: "أعنى أنها أعراض حبك لسجائك"، فابتسمت فقط، ويبدو أنها كانت على حق، فقد كنت فخوراً لأننى جعلت حارسى راضياً عنى ومسروراً من تصرفاتى، إنه نوع من الهوس حقاً أن تكون شاكراً لهم لمجرد أنهم قد تصرفوا معك بطريقة إنسانية، لكن ذلك قد ساعدنى كثيراً، وأى شىء يمكن أن يساعد بأى طريقة فإنه يكون شيئاً مهماً بلا شك.

أصبحت جيما ضخمة جداً، كانت تزداد ضخامة فى كل مرة تأتى لتزورنى فيها، وقد أصبحت الآن على وشك الانفجار، وفى المرة القادمة التى ستزورنى فيها ستحمل معها الطفل الذى سيولد بعد أسبوع، وفى المرة السابقة كانت جالسة على مقعدها تميل وتربت على بطنها الضخمة، جلسنا عند هذه الطاولات الصغيرة، ووضعت أذنى على بطنها فأحسست بالطفل يرفس فى بطنها.

- "أعتقد أنه سيكون أحد مشجعى كرة القدم".

ومالت جيما في مقعدها إلى الخلف، وربتت على بطنها المنتفخة، ورفعت
ثدييها الضخمتين وقالت: "إن كل ذلك ملكك يا طفلي، إنه كله ملك لك، ستخرج إلى
الدنيا نظيفاً من المخدرات، وسيكون كل ذلك في انتظارك".

وكما أقول، احتفظت برأسي منخفضاً إلى أسفل وأنفي نظيفاً من الهيروين،
وكنت أفكر فقط... إن كل شيء موجود فعلاً، وكل ما ينبغي عليّ فعله هو مجرد
الانتظار.

(٣٠)

جيما

إذن ما ذلك الشيء المثير جدًا فيك؟

أين الحطام؟ أين المرح؟.

فكر عن حل لكل الأشياء التي فعلناها.

ولكننا لن نفعلها مرة أخرى أبدًا.

آه لن نفعل ذلك مرة أخرى أبدًا.

لوركي

كنت جالسة في غرفة المعيشة أكتب هذه الكلمات.

إنه يوم عاصف، وكانت تيارات الهواء تهب بشدة خارج المنزل، أشعلت موقد الغاز عن آخره، وكنت أرى شعلات النار تتحرك عندما تهزها الرياح، نظرت إلى الخارج، لم يكن هناك أي شيء يتحرك بالرغم من شدة الرياح.

في بريستول كنت أستطيع عادة رؤية الأشجار تتمايل مع الرياح، وكنت أستطيع رؤية البحر من هنا، أقصد أنه كان يمكنني ذلك إذا لم تكن الدنيا مظلمة، وكانت الأمواج تدير وهي مليئة بالزبد، لم أكن أستطيع رؤيتها ولكني كنت أستطيع استنشاقها حتى وأنا في المنزل.

ها هي منيلى المتوحشة مرة أخرى، كنت أحب أن أكون بقرب البحر.

كانت الطفلة راقدة على الكنب، لكنها لم تكن نائمة، كنت أطعمها، وكان لديها تلك اللعبة التى أعطتها أمى لها، وعندما ترفع هذه اللعبة إلى الأعلى وتهزها، كانت تصدر عنها نغمات موسيقية، وأضواء مبهجة تظهر على السقف، وكانت الغرفة معتمة، لذا تعبت عيناى وأنا أكتب تلك الكلمات، وكان يمكننى سماع الطفلة وهى تتأغى مع تلك الأضواء الجميلة، كان اسم الطفلة "أونا"، وكنت أحبها كثيراً، لقد أنقذت حياتى حقاً.

كان تار نائماً فى السرير.

لقد أتى ظهر اليوم، وكانوا قد أطلقوا سراحه فى الساعة السابعة صباحاً، ذهبت لإحضاره بالسيارة، وسرت أميلاً وأميلاً إلى ميدوفيلد، ولكنه لم يستطع الركوب معى؛ لأن الحرس كانوا يوصلونه بالأتوبيس إلى محطة القطار، لذا قابلته فى المحطة، محطة جرافنهام بدلاً من أخذه من السجن.

كان ذلك عظيمًا حقاً، وكان تار شاحباً ورمادى اللون لأنه ظل محبوساً لفترة طويلة، لكنه كان هو نفسه تار القديم - تار كما عرفته، تار حبيبى.

كان خجولاً، نزل من القطار، ووقف هناك يبتسم حاملاً حقيبتيه الصغيرة، كان يبتسم لى وأنا سائرة فى المحطة نحوه، ثم رأى "أونا" فاتسعت ابتسامته، وكان يمكن سماع صوت جلده وهو يططق متمدداً على جانبيه وجهه من فرط اتساع ابتسامته.

كدت أصرخ واو! أنت الأعظم، واووا واووا، وذلك لإنعاشه كما فعلت معه من قبل عندما ذهبت إلى بريستول فى ذلك الوقت، لكن كانت لدى فكرة أفضل، فقد

كنت أتحدث مع سالى فى الهاتف، كانت قد امتنعت عن تعاطى المخدرات، وهى تتعالج الآن بالميثادون، ولكن لا أدرى ما إذا كانت ستستمر فى ذلك أم لا، وقالت لى: "لا تقبلى عليه بقوة كبيرة، تذكرى أنه كان فى السجن".

قالت لى أمى نفس الشيء، لذا لم يصبنى الجنون، وأخذت أحاول ضبط مشاعرى الجياشة نحوه، فجريت نحوه فقط واحتضنته بقوة، حضن كبير وطويل ومتأن، اعتصرته بقوة، ودفنت وجهى فى صدره، ثم قلت: "هوووو".

لم أستطع أن أمنع نفسى من ذلك، وشعرت بسعادة غامرة، ثم ناولته الطفلة، وكان ينحنى مثل... مثلما يفعل تار فى أيامه السعيدة، وهو يحمل ابنته الطفلة.

آه، تار، كان جسمه نظيفاً وخالياً من المخدرات، فقد امتنع عن تعاطى المخدرات لأكثر من شهر قبل أن يدخل فى العلاج بالميثادون، وتخلص من ذلك فى ميدوفيلد، وأصبح جسمه نظيفاً تماماً، كنت مسرورة جداً لرؤيته.

أعددت حفلة صغيرة فى المنزل من أجله، لم يكن بها الكثير من معارفنا القدامى، على الرغم من أننى لم أكن أريد أن أرى أى شخص منهم فإننى دعوت ريتشارد وفونى، والقليل من زملاء الدراسة والقليل ممن قابلتهم حديثاً، وذلك كله من أجل تار.

كان الطعام ظريفاً، والمشروبات كثيرة، والقليل من الحشيش، مع بعض الموسيقى، وقضينا ساعة أو ساعتين فى المنزل لكى يتأقلم تار على الوضع الجديد، ثم بدأ المدعوون فى الوصول، وأخذ كل فرد يتحدث عنه، كان مثل- مثلما قالت عنه سالى- أتعرفون لقد قضيت كل ذلك الوقت بدون أن أفتح أى باب، وكنت محبوساً طوال ذلك الوقت، وكان الحراس يراقبونك، كل هذه انمواقف الصعبة،

وفجأة تجد نفسك هنا حرًا طليقًا يمكنك الذهاب أينما تشاء، وفعل كل ما تريد، وقد سبب ذلك لئار صدمة صغيرة.

كان ريتشارد ظريفًا حقًا، يرتدى تى شيرت مرسومًا عليه نبذة هندية قام بنسخها وطبعها من إحدى الصور التي رسمها تار، كما كان يرتدى ذلك الحذاء الأخضر الطويل، كان كل ما قام تار برسمه من زهور في كل تلك الأوقات قد تحطم واختفى الآن.

سأل ريتشارد: "كيف كان معسكر الإجازة؟" وانحنى عند الباب فوق كنف تار.

كان ذلك جيدًا، كان هناك بعض الأصدقاء القدامى أيضًا، لذا كانت عيوني مفتوحة جيدًا لكي أحافظ على تار من الناس، وكان هناك "باري" الذي عشنا في جراج والده بعض الوقت، وعدد آخر قليل من الضيوف، بعضهم من أصدقاء الشاطئ وبعضهم من المدرسة، ثم ذهبنا بعد ذلك للسير على الشاطئ مع أونا، وقام ريتشارد بدعوتنا إلى العشاء في الخارج، كنت أشعر بقليل من العصبية وقتها، لكنني تغاضيت عن ذلك بسبب تلك المتعة والإثارة والسعادة التي أحسست بها عند رؤيتي لتار بعد هذا الفراق الطويل.

فكرت في أن هذه العصبية قد تكون بسبب قلقي وخوفي من عودته للتعاطي مرة أخرى، وكنت قد قلت لنفسى من قبل: إنه يجب عليه أن يكف تمامًا عن تعاطي المخدرات إذا أراد أن يجيء ليعيش هنا معنا، كان قد كف عن تعاطي المخدرات بالفعل، بسبب بقاءه محبوسًا في السجن، ولكن... إذا حانت له أى فرصة، فهو يعرف جيدًا أنه مع أول جرعة يتناولها من المخدرات سوف يُطرد إلى الخارج في الحال.

خرجنا في المساء لتناول الشراب مع ريتشارد وفوني، بينما تولت إحدى الصديقات من الجيران البقاء مع أونا كجليسة أطفال، وكانت ليلة الأربعاء، لذا كانت ليلة هادئة، وبدا نار مرهقاً، مرهقاً جداً.

قالت فونى: "هل تريد العودة؟".

- "لا، أنا بخير".

وقال رينشارد: "أنا أيضًا أشعر ببعض التعب"، ونهض، كانت تلك طريقته الخاصة لإتاحة الفرصة أمام تار للنهوض.

أدخلت ريتشارد وفوني إلى غرفة الطفلة، لأنها لم تكن تنام في حجرتها بعد، كانت حتى ذلك الوقت تنام إلى جوارى في مهدها، ثم ذهبنا للنوم، أحسست بالرهبة من ذلك، أقصد أنني لم أُنم بجوار تار منذ فترة طويلة، وذهب كلانا إلى الفراش، كان ذلك كله مثيراً حقاً، ثم قبلني وربّت علىّ ولمسني وذهبت في الّا آآ آ آ آ لا لا لا لا لا.

كان ذلك فظيلاً، أنا فقط- لم أكن أريد أن أكون هناك معه، لم أكن أريد أن يلمسني أو أن ينام فوقى أو بجائبي، لم أرغب في أن أكون في أى مكان قريب منه، كان ذلك فظيلاً، لم أستطع تصديق ذلك، بعد أن كنت أنتظره وأتطلع إلى لقائه بشوق ولهفة، وكنت أفقده وأحبه، لكنه عندما لمسني أحسست بأننى لا أستطيع تحمل لمسّه، فتخشبت وأصبحت مشدودة كالوتر.

سأل تار: "هل أنت بخير؟".

قالت: "نعم، أنا بخير، أنا بخير"، وحاولت أن أهدأ وأستجيب له،
كان ذلك فطيعاً أيضاً لأنني كان يجب أن أستجيب له فعلاً.

أقصد لقد فعلت ذلك معه من قبل... لكنه كان تار.

لم أدر ماذا أفعل، أقصد، لقد كنت أنتظره هنا في المنزل، أنا وأونا، كلانا كنا منتظرين، كنا نجلس ونحن نشعر بالأمان في إنتظاره، لا مزيد من المخدرات، أسرة ظريفة، مكان مناسب، وكل شيء كان يبدو عظيمًا.

هو حبيبي تار، وقد ضحى بنفسه من أجلى مرتين، تحمل كل هذا العناء من أجلى، عالج نفسه من الإدمان، دخل السجن، فعل ذلك كله من أجلى، وربما لم يكن ليصبح مدمناً إن لم يكن من أجلى والآن... بانج، لقد انتهى كل ذلك.

تمكنا من فعلها في النهاية، لم يكن الأمر سهلاً، وقد شعرت بالصدمة، وكنت جافة جداً معه، ولكنني نجحت في التركيز، والوصول إليه، وأصبح كل شيء بيننا على ما يرام في النهاية، وأخبرته أني كنت عصبية فقط، ولا أدرى ما إذا كان قد صدقني.

انتظرت حتى بدا نائماً ثم التقطت أونا وتسالت خارجة من الغرفة. فقد كان يجب على أن أخلو إلى نفسي قليلاً، وأن أحاول أن أفكر، ماذا يعني ذلك؟ ما الذي كان يعنيه ذلك بحق؟.

ظللت جالسة بالخارج لفترة طويلة، وتناولت كمية كبيرة جداً من الشاي، ومما جعل الأمور أكثر سوءاً أنه خرج ليرى ما إذا كنت بخير، لم يستطع النوم هو أيضاً، حاولت التظاهر بأنني كنت متوترة وعصبية فقط، وبدا ذلك معقولاً جداً، وجلس بجواري وتعانقنا بحنان، حاولت أن أفكر فيه كحبيبي تار، ولدى الصغير الذي مر فعلاً بأوقات صعبة وعصبية ويحتاج إلى الراحة، وقد جعله ذلك يشعر بأنه أفضل.

أخبرت أمي بذلك وكانت طيبة معي، وقد صدمني ذلك بحق، لم أستطع أن أصدق نفسي وأني استطعت أن أتحدث مع أمي عن ذلك الأمر.

أبي... حسنًا، لا أعتقد أن أي شخص يستطيع التحدث معه في مثل هذه الأمور، وحتى أمي كان من الصعب التحدث معها في مثل هذه المواضيع أيضًا، لكنها لم تكن سيئة، وقالت لي: "أعطيه مهلة لمدة ستة أشهر".

لم تكن تعرف أننا كنا مشتركين معًا في الإدمان، وأتوقع أنها كانت تحب أن ننفصل، ولكنها جعلتني أنفذ ما في رأسي، ونظرًا لأنه والد طفلتى، فقد كنت أعتقد أن ذلك الأمر سوف يغير موقفها من تار.

سنة أشهر، حسنًا، أنا حقًا أرجو أن يتحسن، لكن ذلك لم يكن عدلاً، هل هو كذلك؟ لقد توصلت أنا إلى الحياة في النهاية، أما هو فقد انتهى إلى لا شيء، ويجب عليه أن ينجح، ألا يجب عليه ذلك؟ بلى يجب عليه أن ينجح فعلاً.

إنه يبلى بلاءً حسنًا، ويريد الالتحاق بكلية الفنون، ولكنه فى حاجة إلى اجتياز المستوى الأول ثم المستوى المتقدم في امتحان الكفاءة الدراسية قبل أن يستطيع ذلك، وسيبدأ الالتحاق بكلية التكنولوجيا، ولكن لا يمكنه البدء فى ذلك حتى الخريف القادم، ونحن الآن فى مايو، لذا فهو يذهب إلى مدرسة ليلية الآن، ويعمل لمدة يومين وأنا أعمل لمدة يومين، وقد أصبح تار صديقًا عظيمًا لكن...، لكن كل ذلك قد انتهى الآن، إلى أين ذهب، لا أدري، إنه شيء غريب، كنت سأدير له ظهرى قبل أن أقابل للى وروب، والشىء الغريب هو أنني كنت أشعر بالأسف لذلك.

كنت أتحدث على الهاتف مع سالى فى اليوم التالى، لا تزال تريد أن تأتى لزيارتنا، ولكننى لم أسمح لها لأن الوقت لا يزال مبكرًا جدًا على ذلك، فمضى لم تكن قد تخلصت من الإدمان، إنها لا تزال تتعالج بالميثادون، ولكنها تنزلق وتعود لتناول المخدرات من وقت لآخر، وكانت قد ارتبطت بذلك الصديق الجديد "مايك"، وسيذهبان معًا إلى أمستردام وسيعيشان هناك لفترة، نعم لقد ارتبطت به وستذهب إلى أمستردام لكي تكون نظيفة من المخدرات، هناك فى عاصمة أوروبا للمخدرات كما كان يحلو لأبى أن يطلق عليها، ولكى أكون عادلة بالنسبة لسالى، فإنها لا تفعل الكثير للتظاهر بأنها مستقيمة، ولكنها ستكون بخير، وإذا كان أى شخص يستطيع أن يفعل ذلك فإن سالى من هؤلاء الأشخاص الذين يستطيعون الاستمرار إلى الأبد.

إننى أحسدها، وكنت أحب أن أذهب وأعرف ما الذى يحدث، لكننى لا أجزو على العودة إلى بريستول حتى فى زيارة، وسأظل أعيش فى مروج مينلى بقية الوقت، حسنًا أو لبعض الوقت على الأقل، لكن سالى قالت الكثير من الأشياء الطريفة، لقد قالت، ربما أنه نوع من العودة لأدخل فى اللعبة بطريقة ما، أنت تعرف، ربما كانت تريد أن تبعدنى عن ممارسة الجنس، كان ذلك شيئًا مشوقًا، وكنت أحاول أن أفكر أنه كذلك، سألتها: "ماذا عنك؟".

قالت: "أوه لا... أوه لا، أنت تعرفيننى...".

لا أستطيع ادعاء أننى لم أنم مع أى شخص مطلقًا أثناء غياب تار، ولكننى لا أعتقد أن ذلك هو السبب، أقصد أنها ليست تلك الفكرة هى التى غيرتنى، لكننى لم أعد أستطيع ممارسة ذلك مع تار بعد ذلك أبدًا".

استمرت سالى تقول: "يجب أن تمنحيه فرصة أخرى يا جيم".

كان الجميع يقولون ذلك، كما أضافت سالى أيضا: " ينبغي عليك أن تفعل ما تشعرين به فى النهاية"، وهذا ما قالت له لى أمى أيضا.

ذلك هو ما كان يقوله الجميع، ولكننى لا أريد أن أفعل ما أشعر به، أريد أن أبلى بلاءً حسناً مع تار، ولكننى أشعر بالغثيان من ذلك، لكن ذلك ليس عدلاً، ويمكننا فعله بعد برهة، تار وأنا يمكننا أن نأخذ إجازة لفترة ما، ثم أخذت أفكر فيما فعلته بتار، إنه لم يكن ليقع فى تعاطى المخدرات مع لى وروب إذا لم يكن ذلك من أجلى، فقد كان مرتبطاً بالبقاء فى تلك الساحة مع فونى وريتشارد.

كانت أمى غير موافقة على ذلك، وكانت تقول لى إنه استطاع أن يجد طريقه هناك بنفسه فى نهاية الأمر، ربما... كان مدمناً أكثر منى، أنا لا أقصد أنه تعاطى أكثر منى، لقد كنت أنا أيضاً هناك، وكنت أتعاطى معهم، ولكننى عندما أتيت إلى هنا هدأت من تلقاء نفسى، وذلك ما كان، أنا لم أرغب فى معرفة ما الذى كان يجرى معهم، لم أرغب فى الاقتراب من المخدرات مرة أخرى، لكن تار... لقد قام بدوره فى البلدة للتسجيل فى الجامعة، وقد فعل ذلك فعلاً عدة مرات، لذا كانت أمى على حق، ولكن ذلك لا يزال غير عادل، هل هو كذلك؟.

إنه يحب أونا كثيراً.

أعطيتَه فرصة لمدة ستة أشهر، أنا أتمنى فقط...

أنا أتمنى فقط ألا يكون قد أراد النوم معى.

(٣١)

والد تار

إنها ليست قصة حب

قد يبدو هذا شيئاً قاسياً يصعب قوله، ولكن أحد الأشياء التي نتعلمها هي أن نرى الحقائق مباشرة في العيون، ولكننا قد لا نستطيع فعل ذلك بجرأة وإقدام فأنا مثلاً... رجل عجوز حزين، في سن الخامسة والخمسين، ابنك الوحيد يكرهك؛ وزوجتك تكرهك؛ وزملاؤك السابقون يمقتونك، كل ذلك له أسبابه الوجيئة، كل شيء سعيبت من أجله ذهب، وها أنت هنا، كما لو كنت واقفاً على عتبة فجر جديد، يمكنني أن أخبركم، أنا أشعر بالأسف في داخل نفسي... حسناً، ترى ذلك ليس حقيقياً، بالطبع أنا أشعر بالأسف اللعين من أجل نفسي، أقصد أن أقول، أنا أعرف أنه خطئي.

أنا وجين، كانت قصة حب، أحببنا بعضنا بعمق منذ الصغر، ووقعنا في الحب بعمق، ثم بدأت الأمور تسوء بعد ذلك، يوجد أسباب كثيرة جعلتها لم تكن تلك المرأة التي تصورتها، ولا أدعى أنني أنا أيضاً كنت ذلك الرجل الذي تصورتته.

وفي النهاية لم يكن هناك سوى حل واحد وهو الجعة المعتقة، الجعة المعتقة، الجعة المعتقة، أنا أحب الشرب، وذلك هو ما تعودت أن أقوله، لكنني لم أعد أفضل ذلك الآن، ربما أشرب قليلاً في آخر النهار، والشئ الغريب هو أننا نحن الاثنين

انتهى بنا الأمر إلى إدمان الشرب والتعلق بالزجاجة، أليس ذلك غريباً؟ لم يكن أى واحد منا يفعل ذلك قبل الزواج، ولكن يبدو أن ذلك هو ما حدث، وهو ما يمكن أن يدعوك للتعجب.

عندما عاد دافيد إلى مينلي، كنت غيباً ومرعوباً، لكن كان لدى أمل، فهو ابنى الوحيد على أية حال، وقد كان الأمر صعباً لأنه استطاع أن يرانى على حقيقتى قبل أن أستطيع أنا أن أرى نفسى على حقيقتها.

ابنك، ابنك الصغير الذي يعتقد أنك العالم كله، والذي ينبغي عليك أن تقف أمامه وتقول: "ها أنا ذا، قد فعلت كل شيء من أجلك، فهل ستكون علاقتك بى جيدة؟ لا ألومك إن لم تفعل....".

قال لى دافيد : "لم يكن ينبغي عليك أن تتركها".

- "دافيد، إننى لم أستطع حتى العناية بنفسى، دع أمك اللعينة فى حالها".

تحطم كل شيء بسرعة كبيرة بعد رحيله، كنت أعتقد أننى ممسك بناصرية جميع الأمور، لكن من الواضح أنه هو الذى كان يعتقد ذلك، فعندما يقف الناس فى موقف ما فإنهم يعتقدون أنهم هم الموقف نفسه، ثم عندما تسقط كل هذه الأشياء اللعينة منحطمة... فإنك تكون لا تزال موجوداً هناك.

ولكن لم يكن هناك أى سبب كى نظل معاً بعد أن تركنا دافيد، وبصرف النظر عن صعوبة ذلك، فقد كان ينبغي على انتظار الصبى هنا، وكان يجب أن أستمّر موجوداً من أجله، لا يمكننى أن أترك دافيد هنا تحت رحمة أمه، برغم أنه لم يجعل ذلك سهلاً، فقد كان دائم التدخل لصالحها طوال الوقت، محاولاً العناية بها، وكان يقوم بكل الأعمال المنزلية من أجلها، وبذا كان يجعلها تفقد احترامها

لذاتها، وكان يحرمها من كل الأشياء التي يمكن أن تجعلها تستمر في الحياة وفي احترامها لذاتها، وذلك أسوأ شيء يمكن أن تقوم به من أجل شخص سكير، وإذا انخفض احترامك لنفسك، فكيف تتخلص إذن من الإدمان، كيف كان يمكنها أن تحترم نفسها وهي تجعل ابنها يقوم بكل الأعمال نيابة عنها! حاولت أن أخبره بأنه: "توجد لدى أمك مشكلة يا دافيد، ويجب علينا أن نتغلب عليها لكي نساعدنا في أن نتغلب عليها...".

لكنه استمر في محاولة إدارة حياتها من أجلها.

كنت أعتقد أن ما كان ينبغي عليّ أن أقوم به هو أن أقول له: "إن أباك لديه مشكلة، ويحتاج إلى المساعدة".

ولكن الحاجة إلى خداع الذات في موقف إدمان الخمر والاعتماد عليها مثلي يعتبر أمرًا صعبًا حقًا، لم أدرك أبدا أنني كنت أنا أيضا سكيرًا إلا بعد أن ذهب كل شيء بالفعل، فقد عدت مرة وكان المنزل كله مليئًا برائحة مشروب الجين الكحولي والبرفان، صرخت فيها: "إنك مليئة بالكحول".

فردت بحدة: "أنت كذلك مليء بالكحول".

لكنها كانت تكذب بالطبع، شيء غريب، أليس كذلك؟ لأنه لم يكن هناك أي طريقة يمكنها بها أن تسمني لأنني كنت ماهرا جدًا معها... هاهاها! لقد احتسيت الفوديك، ووضعت كولونيا بعد الحلاقة.

قالت ذلك فقط للتخلص والهروب من حقيقة أنها كانت تشرب الجين طوال اليوم.

لا بد أن رائحتي كانت كريهة جدًا مثل رائحة الظربان الأمريكي.

تعودت أن أضرب دافيد وأمه كما تعرفون، ولم يكن لديهما مكان للاختباء فيه... آه، أتمنى أن يسامحنى دافيد، ولكن ذلك طلب كبير فعلا، لا لن أطلب الغفران من ابني، ولكنه لو عرض على ذلك فإن الأمر سيكون مختلفا وسأقبل ذلك بكل تواضع.

كانت جين تسكن فى مكانها القديم، ولم أكن أراها كثيرا، ولكن عندما كنت أفعل ذلك كان هناك دائما هذه الرائحة التى تتبعث من السكارى، رائحة البول الدافئ الممتزج بقليل من المشروبات الروحية، وهم لا يدرون بذلك بالطبع، إنك ترش الكولونيا أو البرفان بعد الحلاقة وتعتقد أنك قد أزلت تلك الرائحة، ألسنت ماهرًا؟، هاهاها.

فقدت عملى بعد رحيل دافيد بسنة، كنت أتعجب كيف استطعت الاستمرار فى ذلك العمل هذه الفترة الطويلة، واحتمال تلك الرائحة المنبعثة منى بصرف النظر عن أى شيء، وهذا هو ما يجعلنى خاشعا هذا اليوم، الاعتقاد بأن تلك الرائحة كانت تتبعث منى طوال الوقت، إن كبريائى قد انتهى وأثناء مقابلتى للمدير، كنت أحس بالنعاس وأغفو قليلا وأنا جالس فى مقعدى، ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة، وقد استيقظت ذات مرة على شخص يهز ذراعى، كانت تأمالا ويليامز" زميلتى فى العمل.

- "استيقظ يا سيد لوسان... أعتقد أن شيئاً ما قد حدث لك...".

استغرقت لحظة لكى أنتبه لتلك الرائحة الدافئة المنبعثة من جبرى والنس تحول بعد ذلك إلى برودة.

قلت: "عذرا".

واستيقظت وخرجت، تناولت نسخة من مجلة المدرسة من على الطاولة ووضعتها أمامي، وسرت بأقصى سرعة استطعها إلى السيارة قائلاً لنفسى: "لا بد أن ذلك مجرد حلم، ذلك حلم".

الملاعين، لقد استطاعوا أن يخرجوا على أطراف أصابعهم من الغرفة، ويتركوننى لكى أستيقظ بمفردى، وأنظف نفسى، وأنسحب بعيداً، وحينئذ قد أكون قادراً على غش نفسى لأن ذلك لم يحدث، ذلك على مرأى من الجميع، وأخذت أتساءل كم عدد المرات التى فعلوا فيها ذلك؟ كانوا هناك هذه المرة... لا. لا. لا. أجرؤ على التفكير فى ذلك، ولا أستطيع أن أتجاهله أيضاً.

حاولت ألا أتحدث عن ذلك، ولكنك لا تستطيع أن تتخيله كله... إنهم جالسون يفكرون فى أن هذا العجوز الباكي التعس قد غلبه النعاس، مرة أخرى، حزين، أليس كذلك؟ ثم الرائحة هذه وتلك حولك وإدراك أن شخصاً ما يرى قطرات البول تتساقط من حافة المقعد على السجادة، وذلك الارتباك والإحراج والاندفاع حول الطاولة، ثم مشاهدتى وأنا أقف، لمجرد أن يرى الجميع تلك البقعة الكبيرة التى تبلى بنطلونى، ولا أتمكن حتى من تذكر ماذا كانت هذه القطرات، ولكننى كنت أصلى وأرجو ألا تكون هذه القطرات بولاً، من فضلك يا إلهى.

سأظل أذكر ذلك حتى وأنا داخل النعش فى طريقى إلى القبر، أعرف أننى سأفعل ذلك، ربما ستكون آخر شىء أفكر فيه على هذه الأرض.

انتشرت الأخبار بسرعة فى حجرة العاملين، بلل السيد لوسون بنطلونه أثناء اجتماع العمل، وكان دافيد هولينز، رئيسى فى العمل لطيفاً جداً تجاه ذلك، وقال لى: "لقد ظلمت تعمل فى المدرسة لمدة عشرين عاماً، ويمكنك الاستمرار هكذا، يا تشارلز" وأضاف عبارات مثل ذلك. "أنت فى إجازة مفتوحة، وليس من اللائق للأطفال أن..."

زوجة، ابن، وظيفة، بانج، لقد انتهى كل ذلك، وماذا تبقى، آه... إجابة ضعيفة ولكنها الحقيقة، الله وحده هو الباقي.

آسف، أنا لست من الملحدّين، كنت مؤمنا دائما، ولا أريد لأحد أن يفكر أنني قد استبدلت بالإيمان بالله زجاجة خمر، لقد كنت أصلي دائما، وأنا أصلي أكثر هذه الأيام، وأذهب إلى الكنيسة.

فكرت في نفسي، إنني الآن مؤمن بالله على الأقل، لكن دافيد، ليس لديه أي شيء، فليس لديه وظيفة ليفقدها، ولكنه فقد زوجته أو من هي في مقام زوجته، كما فقد ابنته أيضا وهو لا يزال في التاسعة عشرة من عمره، لكن لا يزال لديه ابنته لكي يكسبها، وربما لدى أنا أيضا ابني لكي أكسبه، لقد حاولت تغييره بالفعل، وقلت: "من هناك غير الله القادر القوى الذي يمكن أن يساعدك فعلا على التخلص من الإدمان؟".

قال: "الإيمان، الأمل، العطاء"، لكنني أعتقد أنه كان يسخر مني، كان الشيء الحقيقي الموجود بيني وبين دافيد هو أننا لدينا الكثير من الأشياء المشتركة، لقد كان هناك الكثير مما يمكننا التحدث عنه، ولكن ذلك لم يكن مثيرا حقا، أعتقد أنه سيتجاهل أي وجهة نظر أو نصيحة يمكن توجيهها إليه، كل ما كان يريده حقيقة هو أن يتحدث عن مدى كوني حقيرا... أضربه وأضربها، أعتقد أنه كان غاضبا مني بسبب أنني كان يجب أن أحاول، إن الموضوع كله هو أنني كان لي وجهة نظر معينة، فالمجرمون والمرضى النفسيون، وحتى الملائكة أيضا يكون لكل واحد منهم وجهة نظر، ولا يتحتم عليك أن تتفق معهم في وجهات نظرهم، لكن إذا أصبح لديك نوع ما من العلاقة الحميمة معهم فيجب أن تتفهم ذلك الاختلاف، وأن تتفهم وجهات نظرهم، ولكن ربما كان دافيد لا يريد الدخول في أي علاقة معي.

أصبحنا نرى بعضنا قليلا منذ عودته، وكنت أسكن فى مكان صغير على الطريق، وقد قمت بمحاولة إصلاح نفسى، لذا كان يجب أن يعطينى فرصة أخرى. اعتاد أن يأتى إلىَّ ويجعلنى أحمل حفيدتى، وكنت شاكرًا له ذلك جدا، ولا أزال أراها حتى الآن... كانت جيما تأتى من وقت لآخر، فأصطحبها مع الطفلة فى جولة فى الحديقة، لنطعم البط وأدفع الصغيرة فى الأرجوحة...

كنت أصبح: "مرحبا يا سحاب".

فتصبح الطفلة قائلة بلغة الأطفال: "ياسح"

فأقول: "مرحبا يا سماء!"

فترد قائلة: "سواء...".

- "مرحبا يا طيور!"

- "طيور..."

فأقول: "مرحبا يا رب"

وكنت أتساءل هل سيوافق والدها؟

إنه لم يتحدث إلىَّ كثيرا عن حياته الشخصية، كان يتحدث عنى فقط، وكان ينبغي علينا أن نحاول أن نمحو الماضى معًا، لكننا لم ننجح فى ذلك أبدا، لقد خرج دافيد من السجن ولم ترغب أمه حتى فى أن تعرف ذلك، لهذا أقول إنها لم تكن قصة حب، لقد تقابلنا أنا وجين ووقعنا فى الحب بدون أى تصنع أو افتعال، وظللنا واقعين فى الحب، أعتقد أننا لا نزال كذلك بالرغم من كل هذا الغضب والفشل والعنف والجعة المعتقد.

ليس من المستحيل أن نحيا سويًا معًا- بالطبع- وتلك هي المأساة، ولكننا أحببنا بعضنا بعضًا... ولا نزال نحب، أنا أفعل ذلك على أية حال، ولكن دافيد وجيما كانا يتعاطيان المخدرات في اليوم الذي تقابلنا فيه، وأستطيع أقول إنها ثلثة الشاطي، وليس الهيروين، لكن المخدرات هي المخدرات، أليس كذلك؟.

اتهمته بتعاطي المخدرات، فأدار عينيه وقال: "إنه فقط قليل من الدخان، وذلك هو كل شيء".

- "هل هو كذلك؟".

قال "إنها أفضل من السجائر".

قلنا ذلك معًا، كنت أقول دائمًا نستطيع عمل أى شيء، وضحكنا على ذلك كثيرًا، على أى حال، إذا لم ينجح في الاستمرار مع جيما، وتلك كانت هي النقطة، فلقد أراد دافيد ذلك، ولكنها لم تكن تريده، أنا لا أحب جيما كثيرًا، وألومها، وألوم نفسي، لكنني ألومها هي أيضًا، ومن الواضح أن ذلك سوف يستمر لعدة أشهر، وقد طلبت منه جيما أن يذهب، لكنه لم يكن يريد الذهاب... إنها طفلته هو أيضًا، فلماذا ينبغي عليه أن يذهب، وما إلى ذلك من الأمور.

رجعت جيما إلى منزل والديها في النهاية، وأخبرت تار أنها لن تعود، وظل باقيًا في انتظارها لمدة أسبوع، ثم استسلم للأمر وانتقل من الشقة لكي تستطيع جيما أن تعود إليها، وكان من الواضح أنه لن يستطيع أن يظل موجودًا في الشقة، ويتركها هي والطفلة يحيون مع مثل هذين الوالدين الفطعيين.

عرضت عليه أن أستضيفه عندي، كما كان يمكنه البقاء مع والدته أيضًا، فهناك متسع لذلك، ولكنه رفض وذهب وأقام عند بعض أصدقائه، كان من الواضح

أننى لم أسمع عنه بعد ذلك لفترة طويلة، لقد أغضبته جدًا، كان أمرًا مريبًا بالنسبة له، أخذ يتجول حول منزلها فى وقت متأخر، ويظل يصيح خارج الباب لكى تسمح له بالدخول، صراخ، شراب، إزعاج للطفلة، وتكدير لنفسه ومضايقتها، قد أصبح ذلك الشيء مألوفًا جدًا بالنسبة له.

وفى أحد الأيام، لاختصار القصة الطويلة، قام بالذهاب إلى هناك وتبول وتبرز.

أوه، نعم، لقد قام بضربها وركلها فى الغرفة، ومسح بها الأرض، لم يكن الأمر بالنسبة لها هو هذا الألم، ولا الهالات السوداء والتورم حول عينيها أو الشفاه المتورمة، لم يكن ذلك هو الموضوع، إن الموضوع هو أنه ضربها وركلها، وهو لم يخبرنى عن ذلك الأمر بالطبع، لكن عندما أتت جيما بعدما تركت مينلى عرفت هذه المعلومات منها، لم أكن قد رأيته منذ فترة طويلة، ولم أكن أعرف حتى أن تار قد ذهب وترك جيما.

انتظرت أن يتصل بى لفترة طويلة، وأردت أن أتحدث معه عن ذلك الأمر، أقصد أننى أردته أن يتحدث معى، واعتقدت- أوه- ما الذى لديك لتقوله لنفسك الآن يا سيد؟.

كنت أتمنى أن يعود إلىّ فى النهاية، ليس من أجل أن أقدم له النصيح، لكننى كنت أعتقد أن ذلك التشابه الموجود بيننا سوف يكون أقوى من أن يستطيع تجاهله، وكان من اللطيف أن نتشارك معًا فى كثير من نقاط الضعف العام بيننا، كنت سيئًا، أنشفى وأتلدذ بعذاب الآخرين حقًا، وقد قضى دافيد وقتًا طويلًا يخبرنى فيه كم كنت دنيئًا وحقييرًا، والآن... حسنًا، أنا أعرف أننى لم أكن عادلاً، لكن الأمر كان مختلفًا، لم يحدث ذلك إلا مرة واحدة فقط، فقد ذهب، ولكنه عاد

واعتذر فى اليوم التالى، ربما أكون قد هولت الأمر، لكن أى إنسان يمكن أن يفقد أعصابه، خاصة بعد كل ما مر به، أراهن أن ذلك جعله مذعوراً، وأراهن أيضاً أنه كان يعتقد أنه كان يتحول إلى الرجل البدائى، الرجل الغول.

لكن كلانا فقد علاقته بالآخرين، كلانا فقد طفله، كلانا أصبحنا مدمنين لشىء أو آخر، أنا أعرف أن شكل حياتنا كان مختلفاً، فقد كنت مدرساً محترماً، لدىّ أملاك وحياة أسرية أعيشها بشكل صحيح وقانونى، أما هو فكان مدمناً يعيش فى ساحة خارجاً على القانون، لكن لا يزال لدى أمل فى أن يكون بيننا رباط ما، وأن يكون قد اكتسب منى بعض الأشياء التى يمكن أن ينتمى إليها ويرتبط بها.

لكنه رحل بعيداً، ولم يتصل بى، استلمت بطاقة بريد من هيرفور بعد مدة طويلة، يبدو أن لديه أصدقاء هناك، وسيؤدى اختبار المستوى الأول للقبول فى الكلية، ولديه صديقة، ويبدو أنه سعيد بما فيه الكفاية، إن جيما تقول ذلك عنه، إنهما صديقان هذه الأيام، أكثر مما كنت أنا وجين فيما مضى.

إنها تقول: "إنه حقيقة شخص جيد ولديه صديقة جميلة، إنه عظيم، إنه نظيف وخال من المخدرات، نحن نسير إلى الأفضل".

وهو يأتى ليراها هي وطفلته أونا من وقت لآخر، وقد اصطحب أونا معه فى إجازة طويلة، لذا أصبح لدى جيما وقت فراغ بعد أن أخذ الطفلة معه، ويبدو أن كل ذلك قد نجح، بالرغم من أنه كان يأتى إلى مينلى من وقت لآخر، فإنه لم يحضر ليرانى أبداً، لكنى صبور، وأتعشم أن يتصل بى هاتفياً أو يطرق بابى يوماً ما، إنه ولد طيب وشخص جيد، إن مساعدة الآخرين طبيعة غريزية فيه، وأعتقد أنه قادر على العطاء والحب الكبير وتبادل المشاعر مع الآخرين.

أنا أعرف جيدًا أنني لن أحصل على مثل هذه المشاعر الطيبة منه أبدًا، لكنني أحب أن أعتقد أنني كنت عديم الإحساس والمشاعر معه، وكنت أعامله بطريقة جامدة مثل الرجل الآلي عندما كان صغيرًا في فترة حضانتى له وتربيته قبل أن تسوء الأمور بيننا.

يومًا ما يا ولدى كل ذلك سيكون ملكك، كما يقولون، كل ممتلكاتى ونقودى مهما تكون، ليس هناك أحد آخر غيرك، إن الشيء الآخر الذى تتركه لأطفالك هو حياتك، ومثال حياتك التى عشتها يومًا ما، يا ولدى....

وهكذا يا دافيد أنا أرفع كأسى لك فى غيابك، مجرد كوب من الشاي وليس خمرًا أو جعة، وأقول هذا لك، حظًا سعيدًا، افعل أفضل ما فى وسعك لكى لا ينتهى بك الأمر إلى مثل ما انتهيت أنا إليه.

(٣٢)

تار

دائماً أقع فى حب شخص ما.

دائماً أقع فى حب.

حب شخص ما.

أقع فى حب شخص ما.

لا ينبغي عليك أن تقع فى حب مسخ.

الديوك الصياحة

كانت قصة حب، أنا وجيما والمخدرات، وكنت أعتقد أن هذه القصة سوف
تظل إلى الأبد، لقد كانت أكبر مغامرة قمت بها فى حياتى، أنتم تعرفون، إن جيما
شئ خاص جداً، أليس كذلك، وكذلك المخدرات.

أحب أن أكون فى حالة حب، إنه مثل أن تلقى بقطعة من جسمك بعيداً عنك،
الحب للأبد، نعم، حسناً أنا لم أعد أثق فى ذلك الآن، إنه شئ ما يحدث لك مثل أى
شئ آخر، إنه يبدأ ثم يتوقف، أما كونك مدمناً... فإن هذا يبدأ ثم يستمر إلى
الأبد، وكما قالوا لنا فى مركز التأهيل إن الإدمان يظل دائماً إدمان، إنك لن تجرؤ
على تعاطي المخدرات مرة أخرى بعد العلاج مهما كان السبب ومهما كان

شعورك، وهذا الأمر رحمة حقاً، لأن الهيروين هو حب لحظى فقط، ولكن أن تحب شخصاً ما فلا بد من أن تشعر بالأمان معه، ويجب أن تكون مستعداً لذلك، إنه ليس أمراً سهلاً، ولكن مع الهيروين كل ما ينبغي عليك فعله هو أن تضغط على زناد القداحة، ومرحباً يا بائعة الهوى، وهذا كله حقيقى جداً.

ولكننى لا أريد أن أتحدث عن ذلك الشيء القديم، يجب أن نظل إيجابياً، إن المستقبل يبدو جميلاً أمامى، أنا أتحرك للأمام، ولدى الآن صديقة جديدة، اسمها "كارول"، وهى أفضل من جيما بالنسبة لى، إن قدميها ثابتتان على الأرض، لقد كانت جيما تملأ المكان كله، ألم تكن كذلك؟ أعتقد أنها عرفت الأمر كله، عندما تكون فى مثل الحالة التى كنت أنا فيها، فإن أى شخص حتى مثل جيما سيبدو متميزاً.

قابلت كارول فى مكان إقامة الرفاق، واستمررنا فى الإقامة معهم، ثم انتقلنا إلى مسكنها الخاص بعد عدة أشهر، إنه بيت كبير كنا نتشارك فيه مع أشخاص آخرين، والأمر الجيد الآن هو أن جسمى نظيف من المخدرات، لقد حصلت على صديقة عظيمة، وأنا أعمل الآن...

نعم أنا أعمل! أعمل فى مخزن، علمونى ترتيب الأرفف ورصها وما شابه ذلك من أعمال، لن أدخل الكلية هذا العام، لقد اجتزت المستوى العادى فى مينلى، وحصلت على درجات مرتفعة، وسجلت فى التكنولوجيا هنا فى "هيرفورد"، ولكننى سأترك المستوى الأول هذا العام، ودخول الكلية ينتظرنى، أنا أعرف أننى سأذهب هناك يوماً ما عندما أكون مستعداً لذلك، أنا وكارول نحيا حياة جميلة فعلاً، وذلك هو كل ما أحتاج إليه الآن.

إنى أرى جيما كل عدة أشهر... من أجل ابنتى "أونا"، أنا وجيما، أتوقع أن أظل على اتصال بها بطريقة ما، على الرغم من أننى لا أراها إلا قليلاً، وليس مثلما كنت أراها عندما كانت تعيش فى الساحة، أنت تعرف، يوجد ذكريات سيئة، الافتراق، أنا لا أريد التحدث عن ذلك حقاً، لقد انتهى ذلك الأمر الآن، إن "أونا" هى المستقبل، إنها السبب فى بعدى عن تعاطى المخدرات، كذلك وكارول بالطبع، أونا جميلة، وأنا أحضرها هنا لتعيش معى فى الإجازات لكى أعطى لجيما فترة استراحة من رعاية أونا، إنها تجعلنى أنا وكارول فى غاية السعادة عندما تكون هنا، قلت لكارول: "ألا تجعلك تريدان أن تحظى بطفلة مثلها".

قالت: "لا".

هكذا هى كارول! إنها تعرفنى جيداً، لقد أدخلت رأسها فى رأسى، إنها تعرف أشياء مهمة أكثر من مجرد إنجابها الأطفال منى، إنها تجعلنى سعيداً أضحك، كارول.

أنا لا أقضى وقتاً طويلاً مع جيما عندما أذهب إلى مينلى، لا بأس من التحدث إليها فى الهاتف، أو رؤيتها فى الحانة، ولكن عندما أراها مع أونا، فإن ذلك كان يؤلمنى؛ لأنه كان يمثل بالنسبة لى مكاناً كنت أنا أريد أن أكون فيه، ولكن جيما لن تجعلنى أفعل ذلك، لماذا؟

لقد انتهى الأمر بيننا عند تلك النقطة، أنا وجيما، وكل ما أتأوله هو تلك الأقراص الصغيرة قليلة العدد، خمسة مللى ميتادون، وكانت كارول تعرف كل شىء عن الماضى، حكيت لها عن كل شىء، إنها تعرف أنتى الآن تحت العلاج، خمسة مللى لا تعد شيئاً يُذكر، أنا لا أكاد أشعر بها، ولست فى حاجة إليها، إننى لم

أعد مدمناً، من الجميل أن تعرف، أنه هناك، وذلك هو كل شيء، وأنه سوف ينتهى وينقضى قليلاً قليلاً كل أسبوع.

أصبحت أعرف نفسى بصورة أفضل كثيراً الآن، أنا أعرف أننى لن أستطيع القيام بالتخلص النهائى من الإدمان بمفردى، وأحتاج إلى المساعدة، ويوجد الكثير من المخدرات فى هيرفورد، حسناً، إنها فى كل مكان، ولكن هناك بعض الوجوه المألوفة هنا أيضاً، بعض الأشخاص القلائل من مدينة بريستول انتهى بهم الأمر إلى بالمجىء إلى هنا لسبب ما، ويمكننى الذهاب والتسجيل بالكلية الآن إذا أردت، لا يمكنك تجنب ذلك بالطبع.

من المدهش أن الأشياء والمخدرات تبحث عنك، فبعد حوالى ثلاثة أشهر من المجىء إلى هنا، وبعد أن قضيت مع كارول عدة أسابيع، كنت أتحدث مع أحد الأشخاص فى حفلة، قال لى: "هل تريد بعض المخدرات؟"، كان ذلك شيئاً غريباً، أنا لا أعرفه وهو لا يعرفنى، ولكن يبدو أنه كان على علم بكل شيء.

هزرت رأسى وقلت "لا"، فتركنى وصعد إلى الطابق الأعلى فى صحبة شخص آخر، هذا ما كان بالنسبة لى، لكنى كنت أفكر فى أنهما كانا هناك فى الطابق الأعلى مع المخدرات وأنا بالطابق الأسفل بدونها.... ذهبت وأتيت بكارول وقلت لها: "يجب أن نذهب الآن".

- لماذا؟ -

- "يجب أن نذهب فقط".

استطاعت أن تدرك أننى كنت فى حالة ضياع تام، فتناولت معطفها، ورحلنا على الرغم من أن الحفلة كانت جميلة، قمنا باللف حول المبنى، وقالت: "حسناً،

ماذا هناك؟" فأخبرتها بما حدث، كانت تعرف كل شيء عن الإبر، وعن جيمما، وعن كل شيء، قالت: "إن جسمك ليس خالياً تماماً من المخدرات هل أنت كذلك؟".

كنت محاصراً وواقعاً في شرك المخدرات، وكانت كارول مستقيمة وطيبة حقاً، لم أكن أعرف كيف كنت سأتكيف مع الحياة مرة أخرى إن لم يكن ذلك من أجلها، وكان يمكن أن أعود إلى تعاطي المخدرات بالتأكيد، لكن بعد العرض الذي قدمه ذلك الشخص في الحفلة بدأت أشعر بتلك الآلام كما لو أنني لم أتعاط مخدرات منذ أكثر من سنة، كنت أعرف أن المخدرات موجودة في ذلك المكان، وكانت هذه أول مرة أتعرض فيها لذلك منذ دخلت للعلاج وعرفت فيها أنني أستطيع أن أهيئ السلم لأخرج من الباب وأشتري ما أريد من المخدرات التي لم أستطع فيها التوقف عن التفكير في ذلك، ذهبت لرؤية الطبيب وأخبرته بالأمر، ولكنه لم يعطني الميثادون لأنني لم أعد أتعاطي أي مخدرات، لذا ابتعدت فقط وأخذت أفكر في ذلك، وعرفت أنني لن أنجح بدون مساعدة.

عدت في اليوم التالي إلى الطبيب وأخبرته أنني كذبت عليه، وأنني تعاطيت، لقد حدث ذلك بالفعل من قبل، ولكنه كان في وقت آخر، أثناء زيارتي لبريستول، لم يكن ذلك الأمر مهماً لأنه كان مثل إجازة رومانسية، وهو نفس الأمر الذي يحدث عندما تعود إلى المنزل، لم أهتم لذلك لأنني كنت خاضعاً للعلاج وتحت المراقبة، لذا فقد كنت قد تعودت على قول بعض الأكاذيب الصغيرة، وأخبرته بأن ذلك قد حدث في الأسبوع الماضي، ولكن في الحقيقة إنه حدث منذ ما يزيد عن شهرين، لكن تلك الحيلة نجحت وحصلت على الروشّة بسبب أنني عدت للابتعاد عن التعاطي مرة أخرى، كنت أتخلص من إدمان المخدرات ببطء، قليلاً قليلاً، لكنني أردت أن أتخلص منه بسرعة، كنت متعجلاً للاستمرار في التحسن السريع، ولكن

الطبيب قال إن ذلك ليس أسلوبًا جيدًا للتخلص من تعاطي المخدرات، وينبغي أن يتم ذلك ببطء، لذا يجب على أن ألاحظ نفسي، وما يطرأ على من تحسن.

سيكون الأمر كله على ما يرام، أنا أقوم بفعل كل الأشياء الصحيحة الآن، كان ذلك جميلًا حقًا أن أفاجئ شخصًا ما بتاريخي، وكان الشيء الذي ينبغي على تجنبه هو تلك الكمائن التي يمكن أن ينصبها لي الآخرون، كنت أتناول أحيانًا حفنة من الميثادون كمخدر، لكنني لم أخبر كارول بذلك الأمر، واو، لم أكن أجرو على ذلك، يجب أن تكون حذرًا جدًا مع كارول، إنها عظيمة، فهي لم تتناول أى مخدرات فى حياتها ولم تتعاطها أبدًا، لذا لا يمكنها أبدًا تفهم مثل هذه الأمور، ولا يمكننى حتى التحدث عنها معها.

أنا أفعل كل ما فى وسعى، وذلك هو المهم، كما أننى أحاول أن أكون إيجابيًا فى ذلك على قدر الإمكان، وأنا أقوم بفعل كل الأشياء الصحيحة، لا أحاول أن أغلق عيني كي أتغاضى عن أى شيء، أنا أعترف بأن الأمور لا تسير على ما يرام تمامًا أو بسهولة دائمًا، وأننى انزلت إلى العودة للإدمان عدة مرات، لكننى لا أجرو على قول ذلك لكارول أيضًا، وأنا بالتأكيد لم أخبر جيما بذلك؛ لأنها ربما ترفض السماح لى برؤية طفلتى أونا إذا علمت أننى لم أزل أتعاطي، برغم أنه ليس لديها الحق فى ذلك، فأنا أبوها، ومن حقى أن أراها، وهى كذلك من حقها أن ترانى.

إن الذين لهم تاريخ مثل تاريخى لا يمكنهم تعجل الأمور أبدًا، ويكون من السهل عليك أن تفكر، أوه يا إلهى، ها أنا ذا أتعاطي الميثادون، لقد انزلت مرة أخرى، أنا مجرد مدمن، وعندما تصبح فكرتك عن ذاتك متدنية ستعجز عن تقديرها، وسوف تلجأ إلى التعاطي، ولكن يجب عليك أن تفكر فى أن تأثير

الميثادون ينتهى، وأنا أراجع الطبيب أسبوعيًا، وقد توقفت الآن عن التعاطي وتخلصت من الإدمان نهائيًا، أنا أفعل الصواب والأشياء الصحيحة فقط، وذلك كله بسبب تشجيع كارول والآخرين لى، لكننى أعتقد أننى حتى إذا استطعت التخلص من الإدمان نهائيًا فإننى كنت سأعود لتعاطيه مرة أخرى لو استمرت علاقتى مع جيما.

أنا أعرف، أنا أعرف، لم تتركنى جيما لأننى كنت أتعاطى... فقد كان جسمى نظيفًا وخاليًا من المخدرات فى ذلك الوقت على أية حال، ولكن يجب أن يكون لديك أمل دائمًا، وكما قال الطبيب يجب أن تكون إيجابيًا قبل أن تغادر مكان العلاج وتذهب إلى أى مكان آخر.

المؤلف فى سطور:

ملفن برجس

يعد ملفن برجس واحدًا من أفضل الكتاب والمؤلفين فى أدب الأطفال المعاصر، وقد ولد هذا المؤلف عام (١٩٥٤) ونشأ فى مدينتى سوسكس وبركشير، بدأ التدريب على العمل صحفيًا بعد تركه للدراسة فى عامه الثامن عشر، واشتغل فى عدة وظائف مؤقتة، خاصة فى مجال البناء والتشييد، وفى العشرين من عمره بدأ ملفن فى القيام بعدة محاولات لكتابة القصص، ولكنه لم يكتب بصورة مستمرة فكان يتوقف أحيانًا عن الكتابة، واستمر على هذه الحال - بين الاستمرار فى الكتابة والتوقف عنها - لمدة خمسة عشر عامًا، وذلك قبل إنهائه لكتابه الأول "صرخة الذئب" المنشور عام (١٩٩٠)، وفى عام ١٩٩٧ حقق كتابه المثير للجدل "المخدرات" أفضل المبيعات، وفاز بجائزة جارديان Guardian Children's Fiction award، وكذلك ميدالية كارنيجى Carnegie medal، وتم تسجيل كتبه التالية فى قائمة كتب العام وميدالية كارنيجى وهى: صرخة الذئب - ملاك مايو - الطفل وذبابة للفطير - وشبح خلف الحائط.

وقد أصبح ملفن برجس اليوم كاتبًا محترفًا طوال الوقت، ويعيش الآن فى مانشيستر مع زوجته وطفليه.

المترجمة فى سطور:

سميرة أبو الحسن عبد السلام النجار

- بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية - قسم سياسة- جامعة القاهرة
- دكتوراه فى التربية- تخصص إرشاد نفسى - جامعة القاهرة (٢٠٠١).
- من أهم أعمالها:
- الإرشاد النفسى للأطفال - المجلس الأعلى للثقافة بوزارة الثقافة - ٢٠٠٤.
- سيكولوجية الإعاقة ومبادئ التربية الخاصة- دار حورس للنشر - ٢٠٠٣.
- مجموعة من البحوث والدراسات فى مجال الإرشاد النفسى وإعداد البرامج الإرشادية والتدريبية للأطفال والمراهقين العاديين وذوى الاحتياجات الخاصة.
- 1- Psychology of handicap and principles of special education, Cairo: Jours House for publishing, 2008.

التصحيح اللغوي: صفاء الدين محمد

الإشراف الفني: حسن كامل